المكتبة القبطية على الانترنت

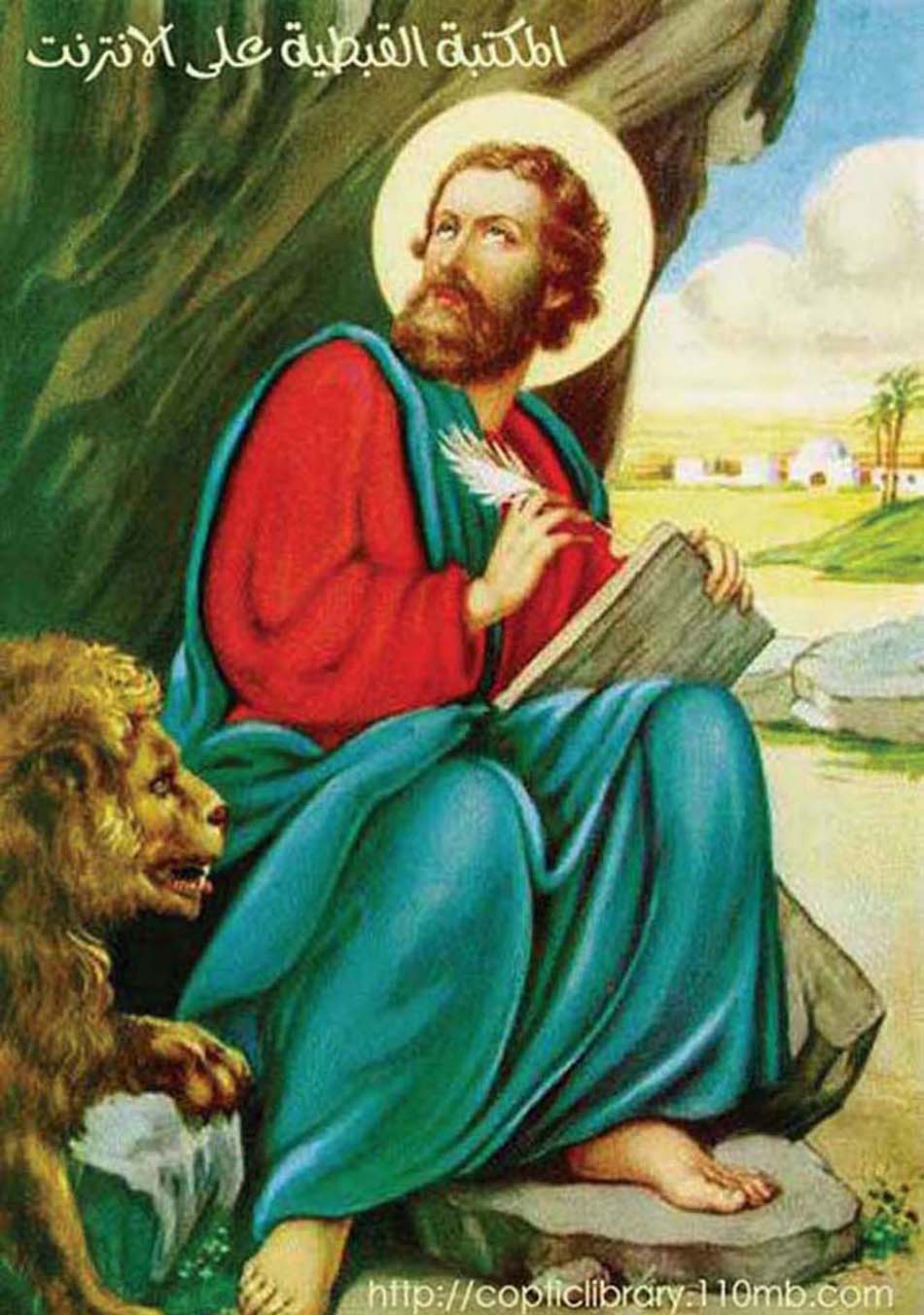

http://copticlibrary.110mb.com

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية

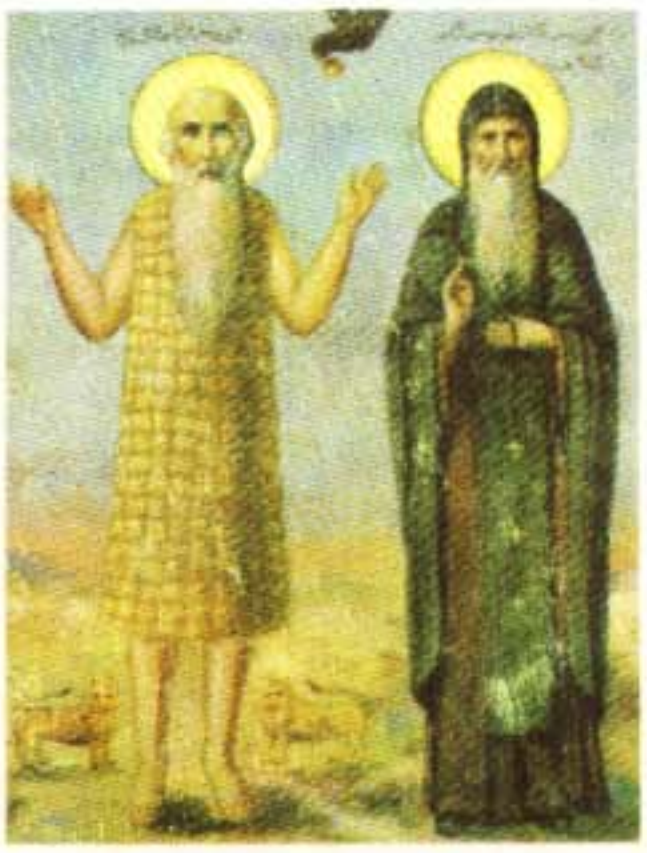

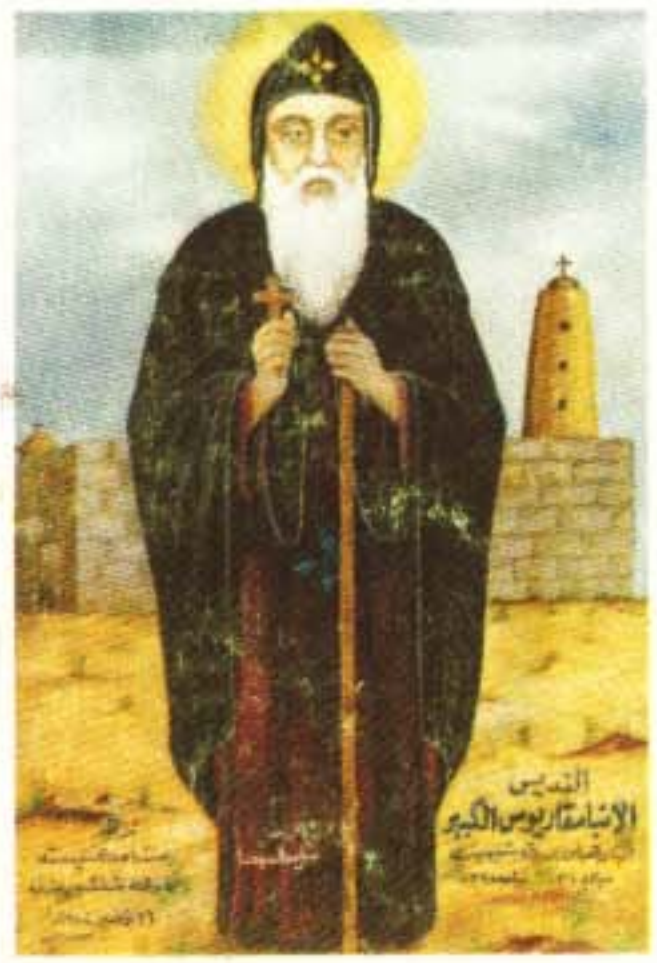

القمص تادرس يعقوب ملطى

المحتـويـات

مبـارك شعبـي مصـر ٥

١ ـ الكنيسة القبطية كنيسة رسولية ٧

من هـم الأقباط ؟ ـ العائلة المقدسة في مصـر ـ كرسي القديس مرقـس ـ الكنيسة القبطية والفكر الرسولي .

٢ ـ الكنيسة القبطية ما قبل مجمع خلقيدونية ١٩

الأقباط والاضطهاد الروماني ـ مدرسة الاسكندرية وعلماؤها ـ الكنيسة القبطية والمجامع المسكونية ـ الكنيسة القبطية والحركة الرهبانية .

٣ ـ الكنيسة القبطية ومجمع خلقيـدون ٤٣

مجمع خلقيدونية وكنيسة الاسكندرية ـ الأحداث السابقة لمجمع خلقيدونية ـ مجمع خلقيدونية وجلساته ـ هل أمكن لمجمع خلقيدونية أن يصالح المدرستين ؟

٤ ـ الكنيسة القبطية والحكـم البيزنطي ٥٩

بطريرك دخيل ملكي ـ كنيسة الاسكندرية في عـهد يوستنيان الأول ـ كنيسة الاسكندرية بعد عهد يوستينيان ـ من رجال هذا العصر .

٥ ـ الكنيسة القبطية من القرن السابع حتى العشرين ... ٧٣

القـرون من السابع حتى العاشر ـ شخصيات قبطية في القرون الأربعة (٧ ـ ١٠) ـ العصر الفاطمي ـ شخصيات

قبطيــة في العصر الفاطمي ـ فترة الحروب الصليبية ـ شخصيات قبطية في عصري الأيوبيين والمماليك ـ العصر التركي ـ شخصيات قبطية في العصر العثماني ـ الحملة الفرنسية ـ شخصيات قبطية أثنــاء الحملة الفرنسية ـ القرن التاسع عشر ـ شخصيات قبطية في القرن التاسع عشر ـ القرن العشرون ـ شخصيات قبطية في القرن العشرين .

٦ ـ **الكنيسة القبطية والحيــاة التعبدية** ١٣٩

كنيسة عابــدة ـ العبادة الانجليلية في الكنيسة القبطية ـ العبادة الليتورجية في الكنيسة القبطية ـ الأعياد القبطية ـ الكنيسة القبطية وروحانية الطقس ـ القراءات الكنسية في الكنيسة القبطية ـ العبادة الخاصة في الكنيسة القبطية ـ الأصــوام في الكنيسة القبطية .

٧ ـ **الكنيسة القبطية والعقائــد** ١٦٧

الاسكندرية والعقائد المسيحية ـ إيماننا بالله ـ الانسان وخلاصــه ـ الكنيسة ـ السمائيون ـ القديسون ـ الحياة السرائرية ـ التقليد (التسليم) الكــنسي .

٨ ـ **الكنيســة القبطية كنيسة شعبيــة** ١٨٩

دور الشعب كنسياً ـ دور المرأة كنسياً ـ دور الطفل كنسياً .

٩ ـ **الكنيسة القبطية والحياة المسكونــية** ١٩٧

الحركة المسكونية في الكنيسة القبطية الأولى ـ الكنيسة القبطية في الخارج .

١٠ ـ **الثقافــة القبطيــة** ٢٠٣

الأقباط والثقافة ـ الموسيقى القبطية .

\+ + +

"مبارك شعبي مصر " إش ١٩ : ٢٥

وعـــد الله لشعبه قائم على الدوام ، إذ سبق فأعلن إنه راكب على سحابة سريعة وخفيفة ، قادم إلى مصر (إش ١٩ : ١) ، وإنه يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر ، وعمود للرب عند تخومها (إش ١٩ : ١٩) . تحقق هذا بهروب العائلة المقدسة من أمام وجـــه الطاغية هيرودس ، لتجد وسط الأمم ملجأ لها : وكأن السيد المسيح قد جاء في طفولته ليضع بنفسه حجر أساس كنيسته في مصر ، التي صارت أحد الكراسي الأربعة الأولى في العالم مع كنائس أورشليم وأنطاكية وروما ، ثم انضم إليهم كرسي القسطنطينية فيما بعد .

تلألأ نجم كنيسة مصـــر بمدرسة الأسكندرية معلمة العالم المسيحي تفسير الكتاب ، خاصة رمزيا وروحيا ، وقائدة حركة الدفاع عن الايمان المستقيم على مستوى مسكوني .

من مصـــر انطلقت حركة الرهبنة المسيحية بكل صورها لتسحب قلب الكنيسة إلى البرية ، فتمارس الحياة الداخلية الملائكية ، في نفس الوقت الذي فيه انفتحت أبواب البلاط الامبراطوري لرجال الدين ، وكان الخطر يلاحق الكنيسة حيث يختلط العمل الروحي الكنسي الهادىء بالسلطة الزمنية والسياسية .

حملت كنيسة مصـــر صليب عريسها عبر الأجيال فاحتملت الآلام حتى من المسيحيين أنفسهم ، وبقيت تقدم للفردوس أعدادا بلا حصر من الشهداء والمعترفين ، عبر العصور ، فاستشهدت أحيانا مدنا بأسرها ، وكان الكثيرون يتسابقون على نوال أكاليل الاستشهاد بفرح وبهجة قلب .

كنيستنا قديمـــة جديدة : قديمة بكونها رسولية أسسها القديس مار مرقس الانجيلي ، تقليدية ، تحفظ وديعة الايمان الرسولي بلا انحراف : جديدة على الدوام بمسيحها الحي الذي لا يشيخ وروح الله الذي يجدد شبابها (مز ١٠٣ : ٥) .

الكنيســـة القبطية غنية بحياتها الانجيلية النسكية ، وتراثها الآبائي الأصيل ، وعبادتها السماوية ، وطقوسها الروحية ، وألحانها الحية الفعالة ، وأيقوناتهـــا الجميلة ... تسحب القلب إلى السماء دون تجاهل للواقع الانساني والحياة اليومية . يمكننا أن نقول بأنها كنيسة رسولية معاصرة ، تحمل الحياة الرسولية والفكر الانجيلي للانسان المعاصر بلا انحراف ، فيجد فيها حياة وعذوبة وقوة وروح مع تقدير وتقديس للفن والأدب والثقافة البشرية .

تعـــرف الكنيسة بكثرة قديسيها من نساك ورعاة وشعب ، قدمت عبر العصور قديسين ولاتزال تقدم قديسين إلى يومنا هذا ... فهي تؤمن أولا بالحياة القدسية والشركة العملية مع الله القدوس قبل إشباع الفكر بدراسات عقلانية جافة

هي كنيسة الشعب كله ، لكل عضو دوره الايجابي ، سواء كان كاهناً أو علمانياً ، رجلاً أو إمرأة ، شيخاً أو طفلاً ... هي كنيسة العائلة كما هي كنيسة كل عضو ، كنيسة الفتاة كما هي كنيسة الفتي والطفل ...

يستطيـــع حتى الرضيع أن يجد بهجته فيها خلال بساطة طقوسها وعذوبة ألحانها ، فتجده " يلاغي " متهللا كمن هو في بيته الخاص أو بيت أبيه بلا كلفة ، ويجد عالم اللاهوت متعة خلال أعماق مفاهيم هذه الطقوس بعينها !

أخـــيراً فانني أرجو في الرب تقديم الخطوط العريضة لفكر الكنيسة ومفاهيمها ككنيسة إنجيلية رسولية آبائية تحمل الفكر السماوي ، وتؤمن بقدسية الانسان في كليته ، واحترام كل موهبة ، وتقدير كل نفس ، ليعلن السيد المسيح السماوي في داخلها كعريس أبدي يقدس عروسه ويجملها بروحه القدوس ، ويضمها إليه فتتنعم بمجده الأبدي .

حقـــاً ، ربما اضطر إلى الحديث عن الجانب القومي المصري ، لكنني أود بروح الله القدوس أن يدخل كل قارىء إلى الفكر الأرثوذكسي ليعيشه كل إنسان أياً كانت جنسيته ، كعضو في جسد المسيح الواحد ، خلال الايمان الواحد والروح الواحد .

القمص تادرس يعقـــوب ملطي

عيد القديس مرقس الرسول ،
نوفمبر ١٩٨٦

+ + +

الفصـــل الأول

الكنيسة القبطية كنيسة رسولية

من هــم الأقبــاط ؟

تعبــير " أقبــاط "[1]

تعبير " أقبــاط " يعادل كلمة " مصريين " ، وهو تعبير مشتق عن اليونانية " إيجيبتوس " ، مأخوذ بدوره عن المصرية القديمة " هاك ـ كابتاح " ، بيت روح بتاح ، من أعظم الآلهة في الأساطير المصرية . منذ الفتح العربي وحتى يومنا هذا يستخدم هذا التعبير عن مسيحيي مصــر تمييزاً لهم عن المواطنين المسلمين .

أبنــاء الفراعنــة[2]

الأقبــاط هم خلف قدماء المصريين ، لذلك يدعون أبناء الفرّاعنة المحدثين . لعب الأقباط دوراً رئيسياً في العالم المسيحي ، خاصة خلال الخمسة قرون الأولى ، لأن خلفيتهم قد ساعدتهم على قبول المسيحية بغيرة متقدة ، متمتعين بأعماقها خلال حياتهم النسكية ، حياة التأمل ، ودراسة الكتاب المقدس .

وإنني أود في هذا المقال أن ألقي بالضوء على الثقافة المصرية القديمة ، واستجابتها نحو الايمان المسيحي الجديد .

١ ـ **خلفيتهــم الدينيــة** : يشتهر قدماء المصريين بالفكر الديني كأمر طبيعي نشأوا عليه منذ العصور الأولى[3] . يقول المؤرخ هيرودت : " المصريون متدينون بمبالغة ، يسبقون كل جنس البشر " . حدث شبع لشغفهم الديني بقبولهم الايمان المسيحي الذي لا يضع حدوداً للنمو الروحي ، بل يرفع المؤمنين نحو حضن الآب لينعموا بالتشبه بالله ، وبالشركة العميقة معه ، والتعرف على الأسرار الالهية .

٢ ـ **أساسهــم العملي المرتفع** : مع ما بلغه العلم الحديث من تقدم فائق خاصة في القرن الأخير لكن لاتزال أعمال قدماء المصريين العلمية منذ آلاف السنين قبل الميلاد تعتبر سراً غامضاً ، نذكر على سبيل المثال الأهرامات بقدراتها الفنية وأسرارها ، والتحنيط ، والنحت ، والألوان الخ ... هذه جميعها لاتزال تحت البحث ، حتى ظن البعض أن قدماء المصريين كانوا يعملون تحت قيادة أناس خارقين (رجال فضاء) جاءوا من كواكب أخرى . ويرى البعض أنه لولا حرق مكتبة الأسكندرية واندثار أسرار علمية ذات شأن كبير لبلغ الانسان إلى الفضاء منذ وقت مبكر جداً .

علــى أي الأحوال تسخير قدماء المصريين لكل طاقاتهم العلمية لحساب الفكر الديني مثل إقامة الاهرامات والتحنيط كان له أثره على الأقباط ، إذ رأوا العلم ليس عدواً للدين ولا مناقضاً له ، إنما يرونه عاملاً لحسابه ، وقد جاءت مدرسة الأسكندرية المسيحية تفتح أبوابها أمام العلماء والفلاسفة ، إذ تؤمن أن كل علم أو فلسفة يمكن أن يخدم الحياة الروحية الصادقة .

٣ ـ عقائـــدهم الدينيـــة :

أ] عرفت كل مدينة رئيسية في مصر نوعاً من الثالوث ، لكنه كان ثالوثاً يختلف تماماً عن " الثالوث القدوس " في الفكر المسيحي .

ب] اعتقد فلاسفتهم في كائن واحد أعظم ، والمثل الأفضل في ذلك هو الملك اخناتون (١٣٨٣ ـ ١٣٦٥ ق . م) .

ج] بينما انغمست غالبية الحضارات القديمة في الحياة الأرضية ، تطلب الملذات الزمنية ، إذا بالفكر المصري يمتص بالعالم الآتي وبالقيامة . عندما قبلوا المسيحية انشغلوا بمجيء المسيح القائم من الأموات ، بألحانهم الطويلة وأصوامهم الشديدة محتملين هذا بفرح . هذا الاتجاه الأسخاتولوجي (الأخروي) له أثره على عبادتنا وليتورجياتنا بل وعلى حياتنا اليومية .

د] الصليب : اتجه المصريون إلى تعريف الصليب كعلامتهم الخاصة بالحياة الأبدية " علامة أونخ " ، التي أمسك بها الخالدون ـ آلهـــة وفراعنة . علامة " أونخ " تأخذ شكل صليب مع قمة دائرية ، تبناها الأقباط واستخدموها منذ عصر مبكر جداً .

هـ] بجانب هذا عرف المصريون فكرة وحدة الله ، أبديته ، لا محدوديته ، أيضاً حنو محبته(٤) .

---

1. Dr. Aziz S. Atiya: The Copts and Christan Civilisation, 1985, p. 1, 2.
Mourad Kamel: Coptic Church, Ch. 1.
2. Fr. Malaty: The Coptic Church, "Church of Alexandria", Melbourne 1978; ch. 1.
3. Dr. Aziz S. Atiya: Hist. of Eastern Christianity, 1968, p. 20.
4. W. Budge: The Dwellers of the Nile, p. 130, 132

\+ + +

العائلة المقدســـة في مصـــر(١)

مصـــر في الكتـــاب المقـــدس

ركـــز الكتاب المقدس على أورشليم " أرض السلام " أو " رؤية السلام " بكونها مركزاً لأرض الموعد ، فيها يعلن الله سكناه وسط الناس ؛ يقبل أن يكون لـــه في داخلها هيكل مقدس ، فيه يمارس الشعب عبادته ويقدم الذبائح والتقدمات ويتهلل بالأعباء الكثيرة علامة الفرح السماوي . هذه هي أورشليم رمز السماء التي دعيت أورشليم العليا الحرة أمنـــا جميعاً (غل ٤ : ٢٦) ، يقابلها من الجانب الآخر بابل ومصـــر . بابل تمثل حالة عصيان الله مع العنف والعجرفة (برج بابل ، تك ١١) ومقاومة الله في أشخاص مؤمنيه (السبـــي البـــابلي) ، والزنـــا والرجاســـات (رؤ ١٧ : ٥) . أما مصـــر فاذ عرفت بخيراتها الكثيرة والتجاء إسرائيل ويهوذا إلى

فرعونها للاحتماء من بابل كانت تمثل محبة العالم والاتكال على الذراع البشري (امل ١٨ : ٢١) .

كانت مصـــر ملجأ للكثيرين خاصة في فترات الجوع ، فجاء إليها أبونا ابراهيم (تك ١٢ : ١٠) ، واستقبلت يوسف الذي صار الرجل الثاني بعد فرعون يقدم من مخازنها لكل البلاد المحيطة بها ، وإليها جاء أبونا يعقوب وبنوه حيث بدأت نواة شعب الله والأسباط الاثني عشر في داخلها ، وظهر أول قائد لهم هو موسى العظيم في الأنبياء يسنده هـــرون أول رئيس كهنة في تحريرهما الشعب من عبودية فرعون . يقول اسطفانوس : " فتهذب موسى بكل حكمة المصريين ، وكان مقتدراً في الأقـــوال والأعمال " (أع ٧ : ٢٠) .

من بين الأنبياء الذين جاءوا إلى مصر إرميا الذي حث الشعب ألا يهربوا إلى مصر ، لكنه عبثاً حاول أن يثنيهم عن عزمهم ، بل أرغموه على مرافقتهم في رحلتهم (إر ٤١ : ١ : ٤٣ : ٧) . وقد نطق بنبواته الأخـــيرة في تحفنيس في مصر (إر ٤٣ : ٨ ـ ٤٤ : ٣) .

هذا وقد صارت مصر تمثل جماعة الأمم الذين جاء إليهم السيد المسيح ليقيم كنيسته وشعبه الجديد منهم .

مبـــارك شعـــبي مصـــر

بـــروح النبوة نظر هوشع النبي ابن الله الحي منطلقاً من بيت لحم ، حيث لم يكن له أين يسند رأسه في كل أورشليم ، ليلتجىء إلى أرض مصـــر ، ويجد له موضعاً في قلوب الأمميين ، فقال على لســـان الآب : " مـــن مصر دعـــوت ابنـــي " (هو ١١ : ١) .

وفي أكثـــر تفصيل يحدثنا إشعياء النبي عن هذه الرحلة المقدسة ، فيقول : « يدخل الرب أرض مصر محمولا على سحابة خفيفة فتتزلزل أوثانها ... ويقام للرب مذبح في أرض مصر » (إش ١٩ : ١) . ويفسر القديس كيرلس الكبير هذه النبوة بقوله : " السحابة المتألقة التي حملت الرب يسوع إلى مصـــر هي أمه العذراء مريم التي فاقت السحاب نقاء وطهراً . أما المذبح الذي أقيم للرب في وسط أرض مصر فهي الكنيسة المسيحية التي قامت على أنقاض الهياكل الوثنية على أثر تزلزل أوثانها وانهيار برابيها أمام وجه الرب يسوع " .

لهـــذا تسبح الكنيسة في عيد دخول السيد المسيح مصر ، قائله " إفرحي وتهللي يا مصر مع بنيها وكل تخومها ، لأنه قد أتى إليك محب البشر ، الكائن قبل كل الدهور " .

يمكننـــا أن نقول أن مجيء المسيح السماوي إلى أرضنا صبغ كنيستنا بروح البركة الربانية ، فجاءت عبادتها وطقوسها وألحانها تحمل نغم الحياة السماوية .

المســـيرة المقدســـة

لعـــل أهم المحطات التي توقفت فيها العائلة المقدسة هـــي :

١ ـ **تـــل بســـطة** : انطلقت العائلة المقدسة من بيت لحم إلى مصر عن طريق صحراء سيناء ، تسير في طريق القافلة الجنوبي بمحاذاة ساحل البحر الأبيض المتوسط من غزة إلى رفح ، ثم اجتازت إلى رينوكولورا[٢] حاليا العريش ، ومنها إلى أوستراكيني التي صارت فيما بعد كرسي الأسقف ابراهيم الذي اشترك في مجمع أفسس عام ٤٣١ م[٣] . آخر محطة في صحراء سيناء هي مدينة البلسم ، حاليا الفرما[٤] ، الواقعة ما بين العريش وبورسعيد ، وهي مفتاح الدخول إلى مصـــر من الجانب الشرقي .

عـــبرت العائلة بعد ذلك إلى مدينة بسطة أو تل بسطة بجوار مدينة الزقازيق حاليا ، حيث استراحت تحت شجرة قيل أنها بقيت على قيد الحيـــاة حتـــى سنة ١٨٥٠ م .

وفي تـــل بسطة تفجرت عين ماء استقى منها السيد المسيح ، وكان ماؤها مصدر بركة في الابراء من الأمراض .

دخلت العائلة المدينة فسقطت الأصنام مما أثار الكهنة ضدها ، واضطرت إلى النزوح خارج المدينة في موضع يدعى الآن « مسطرد » .

٢ ـ **المطـــرية** : انتقلت العائلة المقدسة إلى بلبيس ، ومن هناك اتجهت إلى « منية جناح » التي تدعى حاليا « منية سمنود » ، ثم عبرت النهر إلى سمنود ، ومنها إلى البرلس . عبرت فرع النيل إلى الجهة الغربية حيث سخـــا ، ثم سارت غربا بمحازاة وادي النطرون جنوب برية شيهيت التي صارت فيما بعد فردوسا للرهبـــان ، الملائكة الأرضيين .

اتجهـــت العائلة المقدسة إلى عين شمس في المكان المعروف حاليا بالمطرية حيث استراحت تحت ظلال شجرة تعرف الآن باسم « شجرة العذراء » ، تعتز بها الكنيسة . تفجرت على مقربة منها عين ماء ، ونبتت على جوانبها زهور البلسم أو البلسان التي تضاف إلى الأطياب التي يصنع منها الميرون المقدس .

وتعتبـــر المطرية مع شجرة العذراء من أهم المناطق التي جاء إليها رحالة العصور الوسطى ولايزال يزورها السواح إلى يومنا هذا .

٣ ـ **مصـــر القديمـــة** : كنيسة السيدة العذراء ودير الراهبات بحارة زويلة يحتضنان المركز الثالث الذي يقدسه الأقباط كموضع باركته العائلة المقدسة ؛ أما الموضع الذي جذب الأنظار فهو المغارة التي شيدت عليها كنيسة القديس سرجيوس « أبي سرجة » في القرن الرابع بمنطقة بابيلون بمصر القديمة ، وقد احتفظت بمقصورة خاصة تحت الأرض بها مذبح وشرقية نيش (Niche) يحتمل أن يكون الطفل يسوع قد اضطجع فيها .

لم يمض أسبوع حتى تحطمت الأوثان فثار الكهنة ، وخرجوا وراء العائلة الغريبة التي اضطرت أن تسير إلى منف ثم المعادي في الموضع الذي شيدت عليه كنيسة السيدة العذراء ، وربما كان معبداً يهودياً قبل بناء الكنيسة ، والتي بقبابها الحالية تشير أنها من صنع القرن الثالث عشر(٥) .

٤ ـ **في صعيد مصر** : عبرت العائلة المقدسة النيل واجتازت إلى صعيد مصر ، إلى مير والقوصية بمحافظة أسيوط ... وفي جبل قسقام اختفت حوالي ستة شهور ، في الموضع الذي أقيم عليه الآن دير العذراء الشهير بالمحرق . من هناك أعلن للقديس يوسف أن يرجعوا حيث سلكوا طريقاً آخر انحرف بهم إلى الجنوب قليلا حتى جبل أسيوط ، وهناك بقوا قليلا في مغارة بجبل أسيوط المشهورة بدير العذراء بجبل درنكة بأسيوط .

كنيسة العذراء بالزيتون : يحتمل أن تكون العائلة المقدسة قد مرت في ذات الطريق .. وقد ظهرت القديسة مريم في يوم ٢ أبريل عام ١٩٦٨ ، وبقي الظهور يتكرر شهوراً كثيرة لمدة ساعات طويلة علناً أمام الجماهير . وقد انشغل العالم الكنسي كله بهذا الظهور الفريد الذي رد كثيرين إلى الايمان عملياً .

مقصورة العذراء « العزباوية » : توجد قصة طريفة بخصوص هذه التسمية ، فقد أنشئت على عزبة كان يزرع فيها فلاح بطيخاً حيث مرت به العائلة المقدسة . طلب القديس يوسف من المزارع إن سأله أحد الجند عنهم أن يخبره بأنهم عبروا به حين كان يزرع البطيخ . وفعلا بعد يومين مر به الجنود القادمون من أورشليم فسألوه إن كانت قد عبرت به عائلة غريبة ، فأجاب بما قال له القديس يوسف . وإذ كان النبات قد ظهر وأثمر بطيخاً خلال اليومين بطريقة معجزية .. ظن الجنود أن العائلة قد مرت من الطريق من شهور فأبطأوا في اقتفاء أثرها ؛ وقد صارت هذه المقصورة بركة لكثيرين .

جبل الكف

قيل أن العائلة المقدسة ، عند عبورها في النيل عند جبل الطير بالقرب من سمالوط ، أن صخرة عظيمة كادت تسقط من جبل هناك على السفينة فخافت القديسة مريم ، أما الطفل يسوع ـ الذي له السلطان على الطبيعة ـ فمد يده وللحال توقفت الصخرة ، وانطبع كف يده عليها . دعى الجبل إلى يومنا هذا « جبل الكف » ، وقد أمرت الملكة هيلانه ببناء كنيسة في نفس الموضع .

---

1. Father Malaty: Tha Coptic Church, p. 11-18.
2. The identification with the Coptic "Rhinocunoura" is accepted on sufferance by Amelineau Geographie, p. 404. In this city the Romans exiled criminals and cut off their noses.
3. Dr. Aziz Atiya: Hist. of Eastern Christianity, p. 23.
4. From the Coptic "Pheromi".
5. Dr. Aziz S. Atiya: page 24.

كـرسي القـديس مرقـس[1]

تدعـى الكنيسة القبطيـة أو كنيسـة الاسكندريـة " كرسي مار مرقس " ، أحـد الكراسي الأربعة الأولى : أورشليم ، أنطاكية ، الاسكندرية وروما .

كيـف دخلـت المسـيحية مصـر ؟

يعتبـر القديس مرقس هو مؤسس الكنيسة القبطية . على أي الأحوال ، تشير الشواهد إلى أن المسيحية قد دخلت إلى مصر حتى قبل القديس مرقس ، وإن كان بلا شك على نطاق ضيق للغاية . فيما يلي بعض النقاط التي لها اعتبارها في هذا الشأن :

١ ـ يشـير سفر أعمال الرسل إلى اليهود الذين من مصر ، وقد حضروا يوم العنصرة (أع ٢ : ١٠) هؤلاء بالتأكيد عند عودتهم إلى بلدهم نقلوا إلى أقاربهم ما رأوه وما سمعوه عن السيد المسيح .

٢ ـ أشـار ذات السفر إلى رجل يهودي اسكندري يدعى أبولس ، وصل إلى أفسس ... وقد نعت انـه " فصيح مقتدر في الكتب " ، بشر بغيرة روحية ، كان قادرا أن يوضح من الكتب المقدسة أن يسوع هو المسيح المنتظر (أع ١٨ : ٤ و ٢٨) . يحتمل أن يكون أبولس هذا هو أحد جماعة صغيرة مسيحية من أصل يهودي عاشت في الاسكندرية .

٣ ـ وجه القديس لوقا إنجيله إلى " العزيز ثيلوثاوس " ، مؤمن مسيحي من الأسكندرية (لو ١ : ٣) .

٤ ـ جـاء في السنكسار القبطي (١٤ بشنس) عن كرازة سمعان الغيور في منطقتي جنوب مصر والنوبة[2] .

القديس مرقـس مؤسـس الكنيسة

يعتـز الأقباط برسولية كنيستهم ، هذه الكنيسة التي أسسها القديس مرقس أحد السبعين رسولا (مر ١٠ : ١٠) ، وأحد الانجيليين الأربعة . يتطلع إليه الأقباط باعتباره أول حلقة فـي سلسلة البطاركة الـ ١١٧ دون انقطاع ، ولكونـه على رأس فيض الشهداء[3] .

هـذه الرسولية لا تقوم فقط على تأسيس الكنيسة وإنما أيضاً على مثابرة كنيستنا فـي الحفاظ على ذات الايمـان الـذي سلمـه الرسـل وخلفاؤهـم الآباء القديسون .

حيـــاة القديـــس مرقـــس

مواطـــن اغريقي من والدين يهوديين ينتميان لسبط لاوي[٤] . عاشت أسرته في قيروان حتى هجم عليهما البربر وفقدا ممتلكاتهما ، فانتقلوا إلى أورشليم ومعهما طفلهما يوحنا مرقس (أي ١٢ : ١٣ و ٢٥ : و ١٥ : ٣٧) . واضح أنه تلقى قسطاً كبيراً من التعليم ، فصار يجيـد التحدث باليونانيـة واللاتينيـة إلـى جانب العبرانية .

كانـــت أسرته متدينة للغاية ، ملتصقة جداً بيسوع المسيح . من أقاربه القديس برنابا إبن عمـــه ، والقديس بطرس . لعبت والدته مريم دوراً هاماً في الأيام الأولى في كنيسة أورشليم[٥] عليتها هي أول كنيسة مسيحية في العالم ، فيها أسس السيد المسيح الأفخارستيا المقدسة (مر ١٤ : ١٢ ـ ٢٦) ، وفيها ظهر الرب للتلاميذ بعـد قيامته ، وأرسل روحه القدوس عليهم .

التصـــق الشاب مرقس بالرب ، الذي اختاره أحد السبعين رسولا[٦] . أشير إليه في الكتاب المقدس في بعض الأحداث الخاصة بالرب : فقد كان حاضراً في عرس قانا الجليل ، وهو الرجل الذي كان حاملا الجرة حينما ذهب تلميذان ليعدا الموضع للفصح (مر ١٤ : ١٣ و ١٤ ـ لو ٢٢ : ١١) وهو ذات الانسان الذي هرب عرياناً عند الصلب (مر ١٤ : ٥١)[٧] .. لهذا تصـــر الكنيسة على دعوته : ثيؤريموس أي ناظر الالـــه ، لمنع مغالطات بعض المؤرخين .

القديـــس مرقـــس والأســـد

يرمـــز الأسد للقديس مرقس ، لسببين :

١ ـ بـــدأ إنجيله بوصف يوحنـــا المعمـــدان كأســـد يزأر في البريـــة (مر ١ :٣) .

٢ ـ قصتـــه الشهيرة التي وصفها القديس سويرس بن المقفع : حدث أن أسداً ولبؤة ظهرا ليوحنا مرقس ووالده أرساليس وهما في الطريق إلى الأردن . ارتعب الأب ، وطلب من إبنه أن يهرب ويبقى هو يلاقي مصيره ؛ لكن يوحنا مرقس أكـــد لوالده أن يسوع المسيح ينقذهما ، ثم بـــدأ يصلي ، فسقط الوحشان ميتين وآمن الأب بالسيد المسيح ، وبعد زمن قليل رقـــد .

كرازتـــه مـــع الرســـل

في البـــداية رافق القديس بطرس في رحلاته التبشيرية داخل أورشليـــم واليهودية ، وبعد ذلك رافق القديسين بولس وبرنابا في أول رحلتيهما التبشيرية إلى أنطاكيا وقبرص وآسيا الصغرى . لسبب أو آخـــر تركهمـــا راجعاً إلى بلـــده (أع ١٣ : ١٣) في الرحلة الثانية رفض القديس بولس أن يأخذه معه لأنه سبق فقطع الرحلة الأولى ورجع ، بسبب هذا انفصل القديس برنابا عن القديس بولس ،

وذهب الأول إلى قبرص مع ابن عمه مرقس (أع ١٥ : ٣٦ ـ ٤١) . هناك رقد في الرب وقام القديس مرقس بدفنه .

بعد ذلك احتـــاج القديس بولس إلى القديس مرقس وقاما بالكرازة معاً في كولوسي (٤ : ١١) وروما (في ٢٤ : ٢ تي ٤ : ١١) وربما في غينيسيا .

في افريقيـــا

عمـــل القديس مرقس الحقيقي هو في افريقيـــا ، فقـــد ترك رومـــا إلى بنتابوليس[٨] ، موطن ميلاده . إذ ألقى بـــذار الايمان وصنع معجزات كثيرة . سافر إلى مصر عبر الواحات بصحراء ليبيا فصعيد مصـــر ، ثم إلى الأسكندرية ، حيث دخلها من الباب الشرقي عام ٦١ م .

عنـــد وصوله تهرأ حذاؤه ، فذهب إلى إسكافي يدعى انيانوس . وإذ استخدم الاسكافي مخرازاً ثقب يده ، فصرخ " يا الله الواحد " . تهلل القديس مرقس بهذا ، وبعد شفائه لجرحه بطريقة معجزية ، تشجع وبدأ يكرز لأول من قبل الايمان[٩] . التهبت الشعلة ، وأخذ أنيانوس الرسول إلى بيته حيث اعتمد هو وأهل بيته وكثيرون تبعـــوه .

لوحـــظ نشر المسيحية بهدوء إذ ثار الوثنيون وكانوا يطلبون القديس مرقس في كل موضع . وإذ أحدق به الخطر سام أسقفاً (أنيانوس) ، وثلاثة كهنة ، وسبعة شمامسة لخدمة الجماعة . إن حل به خطر ، ترك الأسكندرية إلى برقة ، ومنها إلى روما حيث التقى بالقديس بطرس وبولس ، وبقى هناك حتـــى استشهادهمـــا عام ٦٤ م .

إذ عـــاد إلى الأسكندرية (عام ٦٥ م) ، وجد القديس مرقس أن المسيحيين قد ازداد عددهم جداً ، وصاروا قادرين على بناء كنيسة لها اعتبارها في بوكاليا .

استشهـــاده

في عـــام ٦٨ م ، جاء عيد القيامة في ذات يوم عيد سيرابيس ، فاجتمع عامة الوثنيين الثائرين في هيكل سيرابيس بالأسكندرية ، وهجموا على المسيحيين ببوكاليا ، ألقوا القبض على القديس مرقس ، حيث ربطوه وصاروا يسحبونه في شوارع المدينة الرئيسية . فكانت الجماهير تصرخ : " ليؤتي بالثور إلى بوكاليا " ، حيث كان الموضع صخرياً ، هناك كانت الثيران تعلف لذبحها للأوثان .

ألقـــي القديس في السجن عند المساء ، حيث تمتع برؤية ملاك يشجعه ، قائلا : " لقد جاءت ساعتك يا مرقس ، الخادم الصالح ، لكي تنال مكافأتك . تشجع ، فقد كتب إسمك في سفر الحياة ... " . وإذ اختفى الملاك شكر القديس مرقس الله الذي أرسل له ملاكه ... فجأة ظهر له المخلص نفسه ، وقال له " السلام لك يا مرقس تلميذي وإنجيلي " . صرخ القـــديس : " يا ربـــي يســـوع المسيـــح " ، لكن الرؤية اختفت .

في الصبـــاح ، سحب مرة أخرى في المدينة ، ربما أثناء موكب الغلبـــة لسيرابيس ، حتى تنيح . مزق جسده الملطخ بالدماء ، وقد أرادوا حرقه لكن ريحا هبت وأمطارا سقطت بغزارة فتفرقت الجماهير . سرق المسيحيون جسده ، ودفنوه سرا في مقبرة نحتت في صخرة تحت مذبح الكنيسة .

وفـــاتـــــه

أثنـــاء الانشقاق الذي حدث بين الأقباط والملكيين[١٠] ، احتفظ الأقباط بالرأس والآخرون بالجسد . وفي عام ٦٤٤ م . تسلل جندي إلى الكنيسة حيث كان الرأس مدفونا ، فأخذها إلى سفينة حاسبا إياها كنزا . وإذ أمر عمرو بن العاص (قائد الفرق العربية) أن تترك السفن الأسكندرية بقيت هذه السفينة على الشاطىء لا تتحرك ، عندئذ اعترف الجندي بما فعل ، فرد عمـــرو الـــرأس إلى البابـــا بنيامـــين[١١] .

لم يبـــق جسد القديس في مصر ، إذ سرق ونقل إلى فينيسيا بواسطة تجار إيطاليين . لقد بنوا كاتدرائية عظيمة باسمه هناك ، معتبرين أن القديس شفيعهم . وفي عام ١٩٦٨ قدم البابا بولس السادس جزءا من رفات القديس إلى البابا المصري كيرلس السادس ، بقي محفوظا في الكاتدرائية الجديدة بالقاهرة .

---

1. Fr. T. Malaty: The Coptic Church, Melbourne 1978, p. 19ff.
2. Kamel Saleh Nakhla: St. Mark, Ch. 6 (Arabic).
3. Dr. Aziz S. Atiya: Hist. of Eastern Christianity, p. 25.
4. Sawiris Ibn El-Mokaffa: Hist. of Patriarchs, 13:13 (Arabic).
5. Douglas: Dict. of the Christian Church, p. 632.
6. Origen: De Reta in Deum Fide; Epiphanus: Adv. Haer 51:5; Cheneau: Les Saintes d'Egypte, vol. 1, p. 495.
7. Sawiris: 15 R.
8. Pentapolis, or "The Five Western Countries", consist of: Cyrene; Beronice (Hesperis), now Beni-Ghazi; Appolonia (Souzah); Touchira or Arsinoe; and Ptolemias, or Tolomita, now Berce.
9. Dr. Aziz S. Atiya: p. 27.
10. The Melkites were loyal to the Emperor of Constantinople; they were in authority, because Egypt was following the Eastern Empire.
11. Abou El-Sebaa: "Al-Gawhara Al-Nafisa Fi Oloom Al-Kanissa", p. 140-1 (Arabic).

أعمـــاله الرســـولية

كـــان القديس مرقس رسولا ذا فكر متسع ، فكانت خدمته مثمرة ، غطت ميادين كثيرة ، ضمـــت :

+ الكـــرازة في مصر ، بنتابوليس ، اليهودية ، آسيا الصغرى ، ايطاليا ، خلالها سام أساقفة وكهنة وشمامسة .
+ أقـــام مدرسة الأسكندرية ، التي دافعت عن المسيحية ضد مدرسة اسكندرية الفلسفية ، وقدمت لنا عدداً كبيراً من الآباء العظام .
+ كتب ليتورجية الأفخارستيا ، التي عدلها القديس كيرلس ، حالياً تعرف بليتورجيا القديس كيرلس .
+ كتب الانجيل بحسب مار مرقس .

+ + +

الكنيســة القبطيــة والفكــر الرســولي

الكنيســة القبطية الأرثوذكسية كنيسة رسولية ، ليس فقط لأن مؤسسها هو القديس مرقس الرسول الذي خدم فيها وأقام أسقفا وكهنة وشمامسة لمعاونته في خدمتها واستشهد في الأسكندرية ، ولا فقط لأن بطريركها هو خليفة مار مرقس خلال سلسلة من الباباوات منذ العصر الرسولي دون انقطاع ، وإنما أيضا لبقائها تحفظ في حياتها وروحانياتها وليتورجياتها وعقائدها الفكر الرسولي : فهي امتداد حتى للكنيسة في عيد الرسل دون انحراف .

قــد تتهم كنيستنا أحيانا بالجمود ورفضها للتنازلات ، لكنها بالحقيقة ليست هي كنيسة جامدة بل أمينة ومحافظة للحياة الرسولية ، تود تقديم وديعة الايمان بكل صوره في أمانة عبر الأجيال .

أذكــر على سبيل المثال في عام ١٩٧١ كنت أعمــد طفلا في مدينة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية ، وإذ كان حاضرا أحد رعاة الكنائس الأمريكية العماد ، جلست مع الراعي على انفراد ، فقال لــي : " هذا الطفل محظوظ ولما سألته عن سبب هذا التعليق أجاب : " خلال هذا الطقس الطويل للعماد أحسست كأني في جو العصر الرسولي "

يقــول الآب جنجمان في كتابه : " الليتورجيا الأولى[1] » في التكوين العام للقداس احتفظت الطقوس الشرقية بكثير من الملامح الأولى التي اختفت في الطقس الروماني .. فبينما يتغير قداسنا من يوم إلى آخر ، إذا بالشرق يكرر ذات الطقس بلا تغيير ... » .

إذ لم يحــدث تغيير يذكر في عبادتها بليتورجياتها وطقوسها وألحانها ، كما بقت محافظة على العقيدة بكثير من الحزم ... يتجلى السيد المسيح فيها ليجتذب الكثيرين إليه خلالها ، عاملا في أعضائها بقوة الروح .

أذكــر على سبيل المثال ، حوالي عام ١٩٧٩ ، حضر إنسان أمريكي إلى كنيستنا بالاسكندرية ـ مار جرجس باسبورتنج ـ وكان مرتبطا بموعد هام ... جاء لمجرد حضور نصف ساعة في الكنيسة كنوع من السياحة : حاول المرافق له أن يذكره بالميعاد ليخرج فرفض التجاوب معه حتى نهاية القداس الالهي ... وعندما خرج قال لــه إنــه كان يشعر بجاذبية للقداس الالهي بالرغم من عــدم معرفته لكلماته ، إذ لم يكن يعرف العربية ، أحس أنه كمن في السماء .

لقــد تكرر هذا الأمر كثيرا في بلاد المهجر .

وإننــي أتركك تتلمــس هذا الفكــر الرسولي عند حديثنــا عن الكنيسة في حياتها التعبدية وفي نظرتهــا للعقائد والتقليد الكنســي وحياتها السلوكية ألخ ..

\+ \+ \+

الفصـــل الثانـــي

الكنيسة القبطية ما قبل مجمع خلقيدونية

الأقبـــاط والاضطهـــاد الرومانـــي(١)

الدولـــة الرومانية والمسيحيون المصـــريون

غالبـــاً ما كان الأباطرة الرومان في اضطهادهم للمسيحيين يركزون على مصـــر ، خاصة الاسكندرية ، للأسباب التاليـــة :

١ ـ نجـــاح كنيسة الاسكندرية ونجاح مدرستها في جذب حتى الفلاسفة للايمان الجديد .

٢ ـ كانـــت الاسكندرية تمثل مركزاً حيوياً لمـــد العاصمة الرومانيـــة بالمحاصيل . لذلك غالباً ما كان الأباطرة يخشون حدوث أي ثورة في مصر ، الاتهام الذي أثار قسطنطين ضد القديس أثناسيوس إنـــه منـــع إرســـال المحاصيـــل إلى القسطنطينية .

٣ ـ شجاعة مسيحيي مصر ورغبتهم الصادقة في نوال أكاليل الاستشهاد حير المضطهدين ، حتى جاء دقلديانوس بنفسه إلى الاسكندرية يمارس الاضطهاد .

الأقبـــاط والاستشهـــاد

أصـــر الأقباط أن يبدأوا تقويمهم ببدء حكم دقلديانوس عام ٢٨٤ م ، ودعوه " تقويم الشهداء " ، إذ ربحت الكنيسة في عهده أعداداً كبيرة من الشهداء ، يتمجدون في الفردوس .

في حـــوالي الحادي عشر من شهر سبتمبر من كل عام نحتفل ببدء العام القبطي ، ندعوه " عيد النيروز " ، فيه نحتفل بعيد الشهداء ، لتهيئة روحية لبدء العام .

بهـذا الفهم الفريد تظهر كنيسة الاسكندرية للعالم إيمانها الروحي العميق ، وانفتاح بصيرتها على الأبدية ، ومفهومها للاستشهاد . فهي لا تتطلع إلى الاستشهاد كموت أو كأمر مرعب بل بالحري تراه ميلاداً جديداً ودخولا إلى الفردوس .

أ] الاستشـــهاد تدريب يومي يحياه كل مؤمن ، حتى ولو لم يوجد مضطهد أو إنسان عدو ، حتى وإن عاش في دير أو توحد أو صار سائحاً . لأن الاستشهاد هو مشاركة مستمرة في صلب ربنا يسوع . لقـد دعى القديس كليمندس الاسكندرى الغنوسي (المسيحي الحق) الذي له اتحاد مع الله شهيداً[٢] .

ب] الاستشـــهاد هو دخول في الأبدية . لقد حسب العلامة أوريجين عصور الاستشهاد كعصور عظيمة (مجيدة) للكنيسة[٣] .

ج] الاستشهاد هو صراع سام ضد إبليس .

د] ينظـر للاستشهاد كطريق لتجلي المسيح المصلوب القائم من الأموات فينا ، فان السيد المسيح نفسه يتألم في الشهداء[٤] .

الأقبـاط والاضطهـادات الرومانيـة

يلقـب المؤرخون كنيستنا " كنيسة الشهداء " ، ليس فقط بسبب الاعداد غير المحصية من شهداء كنيستنا ، وإنمـا أيضاً من أجل الشوق الصادق لاعضائها نحو التمتع بالاستشهاد . حينما منعوا من العبادة لم يلجأوا إلى السراديب ولا صاروا يتعبدون في المقابر بل كانوا يمارسون العبادة علانية في الحقول . كثير من الأقباط كانوا يتنقلون من موضع إلى آخر يطلبون أكاليل الاستشهاد .

بدأت موجـات الاضطهاد في مصـر منذ القرن الأول ، حينما استشهد الرسول مرقس على أيدى عامة الوثنيين الثائرين ، بينما أخذ الوالي موقف المستطيب للأمر أو على الأقل موقف الصامت .

صمتـت المصادر التاريخية عن الاضطهادات التي حدثت في مصر حتى سيامة البطريرك الثاني عشر ديمتريوس (٦٧ ـ ١١٨ م) ، إلا أن هذا لا يعني عدم حدوث اضطهادات في هذه الفترة . نذكر على سبيل المثال إنه بعد موت كوروزون (١٠٦ م) لم يكن ممكناً سيامة بطريرك لمدة ثلاث سنوات بسبب الاضطهاد[٥] . مثل آخر ، في عهد البطريرك السابع أومنيوس (١٢٩ ـ ١٥١ م) ، استشهدت القديسة صوفيا ، من مدينة منفيس القديمة بمصر الوسطى .

في عهـد سبتميوس ساويرس (١٩٣ ـ ٢١١ م) عانى الأقباط من مرارة الاضطهاد الذي استمر حوالي سبع سنوات . لقد زار ساويرس مصـر ، وذهب إلى الصعيد حيث وجـد المسيحية منتشرة ، فأصدر أمره في الحال أن يزيد الوالي اضطهاده ويمنع الكرازة مهما كلفه الأمر . أغلقت مدرسة الاسكندرية ، واضطر عميدها القديس اكليمندس إلى الهروب ، واحتل اوريجانوس مكانه وهو في السابعة عشر من عمره .

في عـــام ٢٥٠ م أصدر داكيوس منشوراً لكل الولاة أن يعيدوا إحياء ديانة الدولة بكل وسيلة ، أما في مصر فقد بدأ الاضطهاد غالباً قبل إصدار المنشور . آلاف من المسيحيين استشهدوا في المدن والقرى !

في عامـــي ٢٥٧ ، ٢٥٨ م أصدر الامبراطور غاليريان منشورين لتحطيم الكنيسة ، فألقى القبض على القيادات الكنسية بمصر وقرطاجنة ، ونفي البابا ديوناسيوس الاسكندري .

في عهـــد دقلديانوس ، أعلن لقيوس دوميتوس دومتيانوس ، قائد روماني بالاسكندرية ، إنه امبراطور . في الحال نزل دقلديانوس بنفسه إلى ساحل مصـــر واستولى على المدينة بعد حصار ثمانية أشهر . في عام ٣٠٢ م بدأ دقلديانوس اضطهاده للمسيحيين بطرد كل جندي يرفض تقديم ذبائح للآلهة الرومان . وفي السنة التالية أصدر مرسومه الامبراطوري ضد المسيحيين . يبدو ان الاضطهاد في مصر فاق أغلب مدن العالم إن لم يكن جميعها ، فقد اعتقد دقلديانوس أن رأس الحية في مصـــر ، إن سحقت أمكن بسهولة الانهاء على المسيحية في كل الامبراطورية ، وقد بلغ عدد الذين ضربت أعناقهم بالسيف ٨٠٠ ٠٠٠ مسيحي مصري .

يليـــق بنا ملاحظة أن اضطهاد دقلديانـــوس عضـــده مكسيمـــوس دازا (٣٠٥ ـ ٢١٣ م) والـــي مصر وسوريا ، وقد اتسم عهده بسفك الدماء أكثر من كل الاضطهـــادات الـــواردة في تاريـــخ الكنيســـة . ينســـب شهـــداء عصره للاضطهاد الدقلدياني .

\+ + +

أمثلـــة للشـــهداء

أعمـــال الشـــهداء

خـــلال موجات الاضطهاد كرس كثير من القادة الروحيين حياتهم لمساندة الشهداء والمعترفين ، فكانوا يزورون السجون ، ويرافقون المعترفين في المحكمة ، وأحياناً يذهبون معهم إلى ساحة الاستشهاد . كتب بعضهم حيـــاة الشهـــداء ومحاكماتهم واستشهادهم كشهود عيان ، دعيت كتاباتهم " أعمال الشهداء " .

١ ـ ثيـــودورة ، العـــذراء الاسكندرانية

اســـتدعيت إلى المحكمة ، في أثناء الاضطهاد الدقلدياني ، وكان الاتهام إنها مسيحية ، ربما لأنها رفضت الزواج بأحد الأشراف . أرسلت إلى بيت للدعارة ، حيث أنقذها جندي مسيحي يدعى ديديموس أعطاها ملابسه . وإذ أرسل ديديموس للاستشهاد ظهرت ثيؤدوره لتنعم معه بالاكليل .

٢ ـ القديــس مارمينــا العجايبي

من أشهــر الشهداء في الشرق والغرب ، وذلك بسبب المعجزات التي تمت بصلواته عنا . هذا ما يشهد به الاعداد الكبيرة من الأواني الفخارية الصغيرة التي تحمل صورته واسمه ، وجدها علماء الآثار في كثير من المدن في العالم ، مثل هيدلبرج بألمانيا ، ميلان ، دالماتا بيوغوسلافيا ، مارسيل ، دنقلة بالسودان ، أورشليم .

ولد القديــس مينا عام ٢٥٨ م في نقيوس . كانت أوفيمية والدته التقية عاقراً ، تطلب من الله طفلا ، وذلك في عيد القديسة مريم وأمام أيقونتها ، فسمعت صوتاً يقول : " آمين " ، لذلك دعي « مينا » . توفى والده اودكسيوس والــي أحد الولايات ، وعندما بلغ مينا الخامسة عشر من عمره التحق بالجيش ، ونال مرتبة عالية . بعد ثلاث سنوات ترك الجيش ليعيش في البرية . إذ نظر رؤيا أسرع إلى الوالي وشهد ليسوع المسيح ، وقد جذب احتماله للعذابات غير المحصية الكثير من الوثنيين حتى الاستشهاد . دفن جسده في مريوط ، بجوار الاسكندرية ، وقد اكتشفته إبنــة الملك زينون ، إذ رقدت هناك وشفيت من مرضها ، بنى الملك كنيسة هناك ، وأنشأ مدينة حيث كان الناس يأتون للاستشفاء من أنحاء العالم . هناك أنشأ المتنيح البابا كيرلس السادس ديراً .

٣ ـ القديســة رفقــة

كانــت القديسة رفقــة وأبناؤها الخمسة من مدينة قوص بالصعيد ، تقدموا للوالي هناك بعد ما وزعوا كل ممتلكاتهم على الفقراء والمحتاجين . كانت أسرة القديسة مشهورة ومحبوبة من كل المواطنين ، لهذا أرسلهم الوالي إلى أرمانيوس والــى الاسكندرية الذي كان في زيارته في شبرا (ضاحية بدمنهور) في ذلك الوقت . هناك احتملوا عذابات قاسية ، وأخــيراً قطعــت أعناقهــم مقدمــين مثــلا عظيمــاً لمحبة الاستشهاد .

٤ ـ الشــهيدة دميانــة

إحــدى مشاهير الشهداء المصريين ، عاشت مع أربعين عذراء في قصرها كدير . وفي عهد دقلديانوس وبخت والدها مرقس والــي البرلس (الزعفران) ، لأنه جحــد السيد المسيح ، وحثته على الاستشهاد . لاقت عذابات عنيفــة ، واستشهــدت مع العذارى .

٥ ـ القديســة كاترينــا

في القــرن السابع كتب Tillemont أنه يصعب وجود قديس (أو قديسة) أشهر من القديسة كاترينا ، العذراء الاسكندرانية[٧] ، التي واجهت الاستشهاد في سن مبكر في الثامنة عشر من عمرها ، عام ٣٠٧ م . بارونيوس يقول بانه لا يوجد في

بلجيكا بلده مدينة تخلو من كنيسة أو مذبح باسمها[٨] ، وكان عيدها من الأعياد الرسمية في بعض البلاد الأوروبية مثل انجلترا في القرن ١٣ .

قيـــل إنها احتملت عذابات مريرة ، تجرأت لتدخل في حوار عام مع فلاسفة الاسكندرية وحولتهم هم وبعض رجال القضاء إلى المسيحية ... وأن جسدها نقل إلى جبل سيناء بواسطة ملائكة[٩] .

بوجـــه عام ينظر إليها كشفيعة للمدارس ، ربما بسبب حوارها مع فلاسفة الاسكندرية . في أوروبا ، عام ١٠٦٣ م أنشأ شبه دير تكريما لها ، حيث ينذر الملتحقون به الطهارة والبتولية...

٦ ـ أريانـــا والـــي أنصنـــا[١٠]

لم تعـــرف الامبراطورية الرومانية والياً قاسياً مثل أريانا ، الذي كرس كل طاقته لممارسة العذابات العنيفة ضد المسيحيين ، حتى أن بعض الولاة بمصر وخارج مصـــر اعتادوا أن يرسلوا إليه المسيحيين الرافضين جحد ايمانهم . كان يجـــد لذته العظمى في التنقل بين البلاد ، مثل إسنا (لاتوبوليس) بالصعيد حيث قتل اسقفها وكل شعبه .

عـــرف أن شماساً مسيحياً يدعى ابولونيوس بمدينة انتويه ، فاستدعاه . وإذ خاف الشماس أرسل صديقه الزمار الوثني فليمون ليظهر أمام الوالي (متخفياً) بعد أن قدم له ذهباً ، وهناك يقدم ذبائح للأوثان . ارتدى الزمار ملابس الشماس ووقف أمام الوالي ، لكن نعمة الله غيرته ، ورفض تقديم ذبائح للأوثان .

بعـــد محاولات فاشلة متعددة أرسل الوالي يستدعي فليمون الزمار ، ظاناً أن ابولونيوس أمامه ، حاسباً أن الزمار قادراً بالموسيقى أن يغير إيمانه ، وإذ بحث الرسول عن فليمون فلم يجده التزم أخ فليمون أن يكشف الأمر . في غضب شديد أمر الوالي باستدعاء فليمون والشماس أمامه ، وأنزل عليهما عذابات مرة ، وألقى بالسهام على أجسادهم ، لكن سهماً ما لم يصبهما ، بل أن أحد السهام ارتد نحو الوالي وفقأ عينه . صرخ الوالي مستنجداً ، فقال له فليمون أن ينتظر إلى اليوم التالي ليأخذ من تراب قدميهما فتشفى عينه ، وذلك بعد قتلهما بسبب عدم إنكارهما للايمان .

قطع عنقي المسيحيين ، ولم يستطع أريانا أن ينام الليل ، وفي الصباح جاء إلى قبر الشهيدين وفعل ما أمره به فليمون ، عندئذ شفيت عينه في الحال . في حزن وتوبة قبل الوالي الايمان المسيحي ، وقام باطلاق المسيحيين من السجن .

وإذ جـــاء دقلديانوس إلى الاسكندرية ثار جداً ، غير مصدق ما حدث ، فأرسل يستدعي أريانا . أطاع أريانا ، وقبل رحيله زار مقبرة الشهيدين ومعه الرسل ، حيث سمعوا صوتاً يشجعه على الاستشهاد .

وهـــب الله أريانا عطية صنع المعجزات ، وأخيراً استشهد مع رسل الامبراطور الذين قبلوا المسيحية .

٧ ـ الكتيبـــة الطيبيـــة

في عـــام ٢٨٦ م ثارت بعض قبائل بلاد الغال ضد الامبراطور مكسيميانوس ، بقيادة قائدين رومانيين ، أجولونيوس واموندیوس ، فاستدعى كتيبة من الشرق تدعى " الطيبية " إذ نشأت في منطقة طيبة بمصـــر . كان قوامها ٦٦٦٦ شخصاً . قبل الدخول في المعركة أمرهم الامبراطور أن يقسموا ويمارسوا الطقوس الوطنية ، لكنهم رفضوا ذلك ، بمعاونة قائدهم موريتوس (موريس) . قطعت رؤوس عشر العدد أمام الكل ، فعوض الخنوع كتبوا رسالة إلى الامبراطور ، جاء فيها :

" أيهـــا القيصر العظيم ، نحن جنودك ، وفي نفس الوقت عبيد الله . يلزمنا أن نمارس الخدمة الوطنية (في الجيش) ، لكننا بقلوبنا نخضع لله . ننال منك الجزاء الوقتي ، أما الأبدي فمن الله . لا يمكننا أن نطيع أوامر ضد وصايا الله " .

عند قراءة الرســـالة صدر الأمر بقتل عشر آخر من الجند ، فرفض البقية تقديم ذبائح للأوثان فاستشهدوا .

---

1. Fr. T. Malaty: The Coptic Church, Melbourne 1978, p. 78—109.
2. Strom: 4:14:96.
3. In Jer. hom 4:3.
4. Origen: In Joan. Hom 14:17.
5. Mourad Kamel: Coptic Egypt, p. 33.
6. Smith & Wace: Dict. of Christian Bibliog., vol. 1 p. 422.
7. Mem. Eccl. VII, p. 447.
8. Baronius: Arm. Eccl. (Ed. Theiner) III, p. 307.
9. Martin: Vies des Saints, t. 3, p. 1841f.
10. Now Known as "Al-Sheikh Abadah", a village near Mallawi.

\+ + +

مدرســـة الاســـكندرية وعلماؤهـــا

قبـــل ظهور المسيحية بزمن طويل اشتهرت الاسكندرية بمدراسها المتنوعة ، ولعل أعظمها هـــي " المتحف أو الموزيم Museum " التي أسسها بطليموس ، وصارت أشهر مدرسة في الشرق . ضمت مكتبتها الضخمة ما بين مائتين ألفاً ونصف مليون مخطوطاً وكتاباً في أيام بطلميوس الأول . بجانب هذه المدرسة ، مدرسة السيرابيوم ومدارس يهودية كثيرة انتشرت في بقاع البلاد .

نستطـــيع القول بأن الاسكندرية كمدينة عالمية قد أختيرت بيتاً للعلم[٢] : كانت مركزاً فريداً للحياة الفكرية المتألقة[٣] ، ازدهرت فيها ثقافات متنوعة من مصرية وهيلينية (يونانية) ويهودية لتقيم ثقافة جديدة .

في مثـــل هذا الجو لم يكن أمام الكنيسة بديل آخر سوى إقامة مركز للتعليم المسيحي[٤] ، يسندها في مواجهة المعركة التي شنتها هذه المدارس القوية .

المدرســـة المسيحيـــة

شهـــد القديس جيروم أن القديس مرقس قام بتأسيس مدرسة الاسكندرية المسيحية[٥] ، فقد أوحى له بالروح القدس أن يقيمها للتعليم بالمسيحية ، كطريق لتثبيت الدين الجديد في هذه المدرسة على أساس راسخ[٦] .

صـــارت مدرسة الاسكندرية أقدم مركز للعلوم القدسية في تاريخ المسيحية[٧] ، إذ نشأ فيها أول نظام للاهوت المسيحي ، كما انطلقت منها طريقة التفسير الرمزي للكتاب المقدس . في هذا الأمر ، يقول Dom D. Ress : " كانت مدرسة الاسكندرية التعليمية (ديدسقاليون Didascalion) بلا شك أشهر معهد عقلي في العالـــم المسيحي الأول ، وكان اهتمامها الأول منصباً على دراسة الكتاب المقدس ، وقد ارتبط اسمها بالتفسير الكتابي ... كان شغل هذه المدرسة التفسيرية الأول هو اكتشاف المعني الروحي في كل موضع وراء السطور في الكتاب[٨] .

تطـــورهـــا

بـــدأت مدرسة الاسكندرية كمدرسة للموعوظين ، تضم طالبي العماد من أمم ويهود لتعليم الايمان المسيحي ، تقدم لهم دراسات تؤهلهم لنوال سر العمودية . فتحت المدرسة أبوابها أمام الجميع ، يلتحق بها أناس من ديانات مختلفة وثقافات متباينة وذوو مراكز اجتماعية مختلفة وأعمال متفاوتة ...

في القـــرن الثاني صار للمدرسة أثرها الفعال على حياة الكنيسة ، كما يظهر من الآتـــي :

١ ـ استطاعـــت أن تروي ظمأ المسيحيين في المعرفة الدينية ، وأن تشجع على الدراسات العالية ، وتخلق مجالا للبحث في ميادين كثيرة .

٢ ـ أوجـــدت أعداداً كبيرة من قادة الكنيسة المشهورين عبر الأجيال ، كثير منهم تأهلوا للجلوس على كرسي القديس مرقس .

٣ ـ بغـــيرتها نحو الكرازة ، ربحت الكثير من النفوس للايمان المسيحي ، سواء في مصر أو الخارج .

٤ ـ بروح مســـكوني صادق ، جذبت طلبة من أمم أخرى ؛ صار الكثير منهم قادة وأساقفة في كنائسهم .

٥ ـ خلقـــت إدراكاً عاماً لأهمية التعليم كأساس للتكوين الديني . وقد استفادت كل كنيسة في مصر بهذا الأمر بطريقة أو أخرى

٦ ـ قدمـــت للعالم أول دراسات لاهوتية منهجية .

٧ ـ استخدمت الفلسفة كسلاح للمناورة لتضرب بهم في عقر دارهم[٩] .

برنـــامجهـــا

١ ــ من الخطـــأ أن نحدد نشاط هذه المدرسة باللاهوت[١٠] ، فقد كانت دراستها تقوم على أساس موسوعي شامل encyclopedic : تبدأ الدراسة بسلسلة من العلوم العلمانية (غير الدينية) ، ثم تتدرج إلى الأخلاقيات والفلسفة الدينية ، وأخـــيرا إلى اللاهوت المسيحي ، خلال تفسير الكتب المقدسة . هذا المنهج الموسوعي في التعليم يحتل التقليد الاسكندري ، وجد أيضاً في المدارس الوثنية واليهودية .

٢ ــ كتب القـــديس كليمندس الثلاثة تكشف عن برنامج المدرسة في ذلك الحين بطريقة واضحة ، إذ كان البرنامج يضم ثلاثة صفوف :

أ] دراســـة خاصة بغير المسيحيين ، تقدم أساسيات المسيحيين للطلبة .

ب] دراســـة خاصة بالسلوكيات المسيحية .

ج] دراســـات متقدمة عن الحكمة الالهية والمعرفة للمسيحي الروحي .

٣ ــ اتسمت هذه المدرسة بأن العبادة تسير جنباً إلى جنب مع الدراسة[١١] . الأساتذة والطلبة يمارسون الصلوات والأصوام والحياة النسكية بطرق متنوعة . حياة العفة والكمال التي اتسموا بها كانت مثلا يقتدى بها ؛ وكانت البتولية مستحبة التزم بها كثيرون ... وبجانب نسكهم في الطعام والشراب عاشوا زاهدين الممتلـــكات الزمنية[١٢] .

عمـــداء المدرســـة

نظـــرة سريعة على أسماء عمداء المدرسة تكفي للكشف عن تاريخ المدرسة وسموها بين المعاهد المناظرة لها . من بين قادتها اثيناغوراس ، بنتينـــوس ، كليمندس ، أوريجـــين ، هيراقـــلاس ، الاسكنـــدر ، ديونسيـــوس ، بيريـــوس ، تيؤغنوستس ، بطرس خاتم الشهداء ، مقاريوس ، ديديموس الضرير ... بجانب اثناسيوس الرسولي ، كيرلس الكبير ، وديسقورس الخ ...

١ ــ **اثيناغـــوراس** : كان شغوفاً بالكتابة ضد المسيحية ، فقرأ الكتاب المقدس ليحقق غايته بأكثر دقة فاذا بالروح القدس يمسك به بقوة ليصير مدافعاً عن الايمان الذي كان يقاومه ، كما صار من أشهر عمـــداء المدرسة اللاهوتية المسيحية[١٣] ، وقد بقي مرتدياً زي الفلاسفة . كتب اثيناغوراس دفاعه عن المسيحية عام ١٧٧ م في ٣٧ فصلا ، وجهه إلى الامبراطور مرقس أورليوس انطونيوس وابنه كومودس شريكه في الحكم . كما كتب " عن قيامة الموتى " في ٢٥ فصلا .

٢ ــ **بنتينـــوس** : تولى رئاسة المدرسة حوالي عام ١٨١ م . كان رواقيـــاً مشهوراً ، اعتنق المسيحية على يدي اثيناغوراس ؛ إليه ينسب إدخال الفلسفة والعلوم إلى المدرسة لكسب الهراطقة والوثنيين المثقفين . أدخل الأبجدية القبطية ، مستخدماً الحروف اليونانية مضيفاً إليها سبعة حروف من اللهجة الديموطيقية القديمة ، كما تمكن من ترجمة الكتاب المقدس إلى القبطية تحت إشرافه يعاونه في هذا تلميذاه

اكليمندس واوريجانوس . ترجـم الكثير من الأدب المسيحي إلى هذه اللغة بكونها آخر شكل من تطور اللغة المصرية القديمة . في عام ١٩٠ م ، اختاره البابا ديمتريوس الاسكندري للذهاب إلى الهند ، في عمل كـرازي ، وقد أحضر معه من الهند إنجيل القديس متى مكتوباً بيده بالعبرية كان قد وصل على يدي الرسول برثلماوس[١٤] . قام بشرح كل أسفار الكتاب المقدس .

٣ ـ **القديـس كليمنـدس الاسكنـدري** : أبـو الفلسفـة المسيحيـة الاسكندرانية[١٥] ، كان متمرناً في الكتب المقدسة ، ولـد حوالي عام ١٥٠ م ، كان دائم البحث عن الله : حتى بعد اعتناقه المسيحية قام برحلات باهظة يبحث عن معلم حقيقي يتتلمذ على يديه ، أخيراً استقر بالاسكندرية حيث جذبته محاضرات القديس بنتينوس . سيم كاهناً بالاسكندرية ، وإذ سافر استاذه إلى الهند تسلم رئاسة المدرسة إلى حين عودته ، وإذ تنيح القديس بنتينوس تسلم رئاستها من جديد . تتلمذ على يديه أوريجانوس والكسندروس أسقف أورشليم . في أيام الاضطهاد الذي أثاره سبتيموس سويرس حوالي عام ٢٠٢ م اضطر إلى مغادرة الاسكندرية والتجأ ربما إلى فلسطين وسوريا ، حيث تنيح عام ٢١٥ م .

أول كاتـب مسيحي يقدم التعليم المسيحي في مواجهة مع أفكار العصر وتقدمـه . لقد آمن أن قوام الكنيسة والكتب المقدسة ليس متضارباً مع الفلسفة اليونانية ، وأنه لا عداوة بين المسيحية والفلسفة . الخلاف هو إن الفلاسفة القدامي لم يستطيعوا إلا نوال ومضات من الحق الذي ترك للمسيحية أن تعلنه في المسيح الحق الكامل .

ثالـوث في الكتابة : نصح لليونانيين Protrepticus ، المعلم Paedagogus ، المتفرقات Stromata . الأول يحث الوثنيين على قبول الايمان ، الثاني يدعو إلى التمتع بالحياة المسيحية تحت قيادة المعلم (السيد المسيح) ، الثالث يعلق على الحاجة إلى المعرفة .

كتـب أيضـاً : " مـن هو الغنـى الـذي يخلص ؟ " ، " المجمـل Hypotyposes " ، رسالة عيد الفصح وأعمال أخرى مفقودة .

٤ ـ **أوريجـانوس** : يقول كواستن : " بلغت مدرسة الاسكندرية أوج عظمتها في عهد أوريجانوس[١٦] ، خليفة القديس اكليمندس . وهو المعلم والباحث الممتاز في الكنيسة الأولى ، شخصيته لا يشوبها عيب ، يحمل في تعليمه دائرة معارف ، ويعتبر أحد المفكرين الأصليين الذين شاهدهم العالم[١٧] . غير أن انحرافه في بعض العقائد مثل الاعتقاد بخلاص الشيطان والخلاص الجامع لكل البشرية ... مع قبول الكهنوت بعد أن خصى نفسه ألزم الكنيسة القبطية أن تحرمه في حياته ، بينما حرمته الكنائس الأخرى وحرمت أفكاره في مجمع القسطنطينية الثاني سنة ٥٥٣ م .

يبـــدو أنه ولد سنة ١٨٥ م بالأسكندرية ، اهتم به والده ليونيدس فهذبه بمعرفة الكتاب المقدس . في عام ٢٠٢ م ألقى القبض على والده ، فاشتهى أوريجانوس أن يشارك والده إكليل الاستشهاد ، ولما منعته والدته أرسل إلى أبيه يقول : " احذر أن تغير قلبك بسببنا " . لجأ إلى سيدة غنية لكنه لم يحتمل البقاء كثيراً لأنها قبلت رجلا هرطوقياً يدعى بولس الانطاكي ينشر هرطقة في بيتها . صار يعلم الوثنيين الأدب والنحو ، فوجد الفرصة سانحة لاجتذاب بعضهم للايمان بل وهيأ بعضهم لقبول الاستشهاد . وإذ رحل القديس اكليمندس من الاسكندرية أثناء الضيق تسلم اوريجانوس مدرسة الاسكندرية في الثامنة عشرة من عمره . عاش يكرس حياته لقراءة الكتاب المقدس وتفسيره رمزياً ، بروح نسكي ، وبسبب حضور النسوة إلى محاضراته خصى نفسه . قام بعدة رحلات منها زيارة روما سنة ٢١٢ م ، وبلاد العرب سنة ٢١٤ م ، ٢٢٤ م ، وفلسطين عام ٢١٦ م حيث صار يفسر الكتاب أمام اسقفها واسقف أورشليم الأمر الذي أغضب البابا ديمتريوس ، لأنه بحسب التقليـد الاسكندري لا يجوز لعلماني أن يعظ في حضرة اساقفة . سافر أيضاً إلى انطاكيا ليلتقي بمامسيا والدة الامبراطور ، وذهب إلى اليونان لشئون كنسية ، وفي عودته عبـــر بفلسطين فسامه اسقف قيصرية كاهناً حتى يمكن له أن يعظ في وجود الاساقفة ... الأمر الذي أغضب البابا ديمتريوس ، لأنه قبل السيامة من غير اسقفه ، فحسبها باطلة ، خاصة وأنه كان قد خصى نفسه . انعقد مجمع بالاسكندرية واستبعد أوريجانوس منها ، فاحتضنه اسقف قيصرية لينشىء مدرسة جديدة بها . أثناء الاضطهاد الذي أثاره مكسيميان التجأ إلى انطاكية ، ليعود بعد ذلك إلى فلسطين . وفي أيام داكيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١ م) ألقي القبض عليه واحتمل عذابات كثيرة ، وإن كان لم يمت أثناءها ، لكنه مات بعد فترة وجيزة ، ربما بسبب الآلام .

أهم كتاباته : الهكسابلا Hexapla (السداسيات) ، يحوي ستة أعمدة متوازية تشمل نصوص الكتاب المقدس بالعبرية واليونانية ؛ أما تفاسيره الرمزية فشملت تقريباً كل حقل الكتاب المقدس ، كتاباته العقيدية مثل " حق المبادىء " ، " مناقشة مع هيراقلدس " ، " عن القيامة " ، " حث على الاستشهاد " ، كما له عدة رسائل .

٥ ـ **هيراقـــلاس :** " ياروكلاس " : أحد تلاميذ العلامة أوريجانـــوس المشهورين ، درس الأفلاطونية الحديثة قبل معلمه أوريجانوس ، على يدي أمونيوس الشماس . صار مساعداً لأوريجين ، ثم خليفة له عندما هرب إلى فلسطين . اكتشف القديس ديمتريوس امكانياته الروحية في الكرازة فسامه على الكاتدرائية . جذب الكثير من الوثنيين إلى الايمان المسيحي كما أظهر حباً فائقاً في خدمة المؤمنين . وفي عـــام ٢٢٤ م اختير خليفة للقديس ديمتريوس بابا الاسكندرية .

احتمـــل الاضطهاد ، وكان يفتقد المدن والقرى في أنحاء البلاد يسند المؤمنين . وفي زياراته سام حوالي ٢٠ أسقفاً ليهتموا برعاية شعب الله . وقد أراد الشعب مع الكهنة في مصر ، الذين أحبوه جداً أن يميزوه عن بقية الأساقفة ، فدعوه بالقبطية

" بابا " التي تعني " أب " ، وهكذا يعتبر أول مسؤول كنسي في العالم المسيحي يحمل هذا اللقب ، قبل أن يستخدم في روما .

قيـــل أن البابا هيراقلاس طلب من أوريجانوس أن يعود إلى الاسكندرية(١٨) ، لكنه اعتذر بأن مدرسة الاسكندرية قد استقرت وان مدرسة قيصرية تحتاج إلى رعايته(١٩) .

اســـتطاع بسيرته الفاضلة أن يجتذب الكثيرين ، فعلى يديه آمن يوليوس أفريقايانوس(٢٠)

٦ ـ **القديس ديونسيوس الاسكندري** : لقبه القديس أثناسيوس : " معلم الكنيسة الجامعـــة(٢١) ". ولد بالاسكندرية مع نهاية القرن الثانـــي حوالي عام ١٩٠ م من أبوين وثنيين غنيين ، كان من مذهب الصابئة يعبد الكواكب ، محبا للقراءة ، يعمل كطبيب ناجح . مرت به أرملة عجوز ومعها كتابات الرسول بولس تريد بيعها ، فاشتراها منها ، وأخذ يدرسها ويفحصها ، فأعجب بها وحسبها أفضل ما قرأه من كتب الفلاسفة ... مضى إلى الكنيسة حيث التقى بشماس يدعى أغنسطين الذي دفع إليه رسائل معلمنا بولس الرسول كاملة فقرأها وقبل الايمان المسيحي . مضى ديونسيوس إلى البابا ديمتريوس ونال منه سر العماد ، ثم التحق بالمدرسة اللاهوتية ، حيث تتلمذ على يدي العلامة أوريجانوس ، وصار أحد كواكبهـــا اللامعين(٢٢) . سيم شماساً بواسطة البابا ديمتريوس ، وقساً بواسطة البابـــا هيراقليس .

خلـــف هيراقليس في رئاسة المدرسة حوالي ١٦ أو ١٧ عاماً كما خلفه في البابوية عام ٢٤٧ م . في اضطهاد داكيوس للكنيسة عام ٢٥٠ م بقي في داره أربعة أيام بينما كان الجند يبحثون عنه ، وأخيرا قبض عليه ، فدخلت الجماهير السجن لتجده نائماً . حملوه من يديه ورجليه ورفعوه إلى خارج السجن . وفي اضطهاد فاليريان عام ٢٥٧ م نفي إلى قرية خفرو ، فصار يبشر الوثنيين ، اضطر الوالي إلى نفيه إلى Collutko بصحراء ليبيا فاهتم ببعث رسائل لشعبه . وفي عهده هوجمت مدينة الاسكندرية بواسطة قبائل بربرية ، كما تمرد اميليانوس والي الاسكندرية على الامبراطور فنشبت حرب مدنية انتهت بأسر الوالي بينما تدمرت المدينة وحلت بها مجاعة وأوبئة .

مركـــز هذا القديس وعلمه واعتداله ألزمه بالتدخل في كثير من الصراعات داخل مصـــر وخارجها ، مثل انقسام بنوفاتيوس الذي سيم على كرسي روما بطريقة غير شرعية ، وهرطقة نيبيوس أسقف أرسينوا بالفيوم ، وسابليوس أسقف بتولمايس (المدن الخمس الغربية) وبولس السومسطائي ، كما تدخل في النزاع بين اسطفانوس أسقف روما وكبريانوس أسقف قرطاجنة بخصوص معمودية الهراطقة .

بخصـــوص كتاباته يقول نيل Neale : " فقدان كتابات ديونسيوس هي إحدى الخسائر العظمى التي لحقت بالتاريخ الكنسي(٢٣) .

٧ ـ **ثيؤغنستس** : كاهن اسكندري ولاهوتي ، نعرف عنه القليل جدا من خلال مقتطفات له وردت في فوتيوس واثناسيوس وغريغوريوس أسقف نيصص .

٨ ـ **الأب بيريوس** : كاهــن مثقف ، مفسر ممتاز لكلمة الله وكارز ، يدعوه جيروم : " أوريجانوس الصغير " . نشر مقالات كثيرة في مواضيع متعددة ، منها مقاله عن هوشع النبي ، و " عن إنجيل لوقا " ، و " عن والدة الاله " ، " حياة القديس بامفيليوس " ، كما كتب اثني عشر " لوغياً " أي يخص اللوغوس

٩ ـ **القديس بطــرس خاتم الشهداء**[٢٤] : هو ثمرة صلوات أمه التي كانت بدموع تطلب أن يهبها الله إبناً يخدمه كل أيام حياته . أقيم أغنسطساً (قارئاً) في السابعة من عمره ، وشماساً في الثانية عشرة ، وقساً في السادسة عشرة . قيل أنه كثيراً ما يرى يد ابن الله تناول المؤمنين بيد البابا ثاؤونا . اهتم بدراسة الكتاب حتى تأهل أن يكون مديراً لمدرسة اسكندرية اللاهوتيــة ونــال لقــب " المعلــم البــارع في المسيحية "

وهو كاهــن أفحم سابيليوس أسقف بطولمايس منكر حقيقة الثالوث ، حاسباً انهم ثلاثة أشكال لاعلان الله الذاتي .

ســيم بابا للاسكندرية عام ٣٠٢ م ، وسط اضطهاد دقلديانوس ومكسيميانوس للكنيسة . انشق ضده مليتوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط) وصــار يرســم أساقفة وكهنة .

ســام أريوس شماساً ثم قساً بالاسكندرية ، وإذ لاحظ في عظاته عبارات يشتم منها إنكار لاهوت السيد المسيح وعدم مساواته للآب حرمه ؛ وعندما سجن البابا حذر تلميذيه ارشلاوس والكسندروس منه ، إذ رأى السيد المسيح في رؤيا مشقوق الثوب ، ولما سأل السيد أجابه أن أريوس مزق ثوبه .

إذ تجمهــر الشعب حول السجن لانقاذ باباهم (عام ٣١١ م) ، أرسل هو إلى القائد سراً ليخطط لخروجه إلى موضع الاستشهاد ، حتى لا يكون سبباً لمتاعب أحد من شعبه .

لــه مقالات لاهوتية ورسائل حوت قوانينه الخاصة بمن جحد الايمان أثناء الاضطهاد وتاب .

١٠ ـ **القديس ديديمــوس الضــرير** : ولد حوالي عام ٣١٣ م ، فقد بصره في الرابعة من عمره ، فاخترع الحروف البارزة بالنحت ليقرأها بأصبعه ، بهذا سبق برايل ١٥ قرناً . حفظ الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة عن ظهر قلب كما نبغ في النحو والبيان والفلسفة والمنطق والرياضة والموسيقي ، وذاع صيته في كل مكان . صار مديراً للمدرسة بعد نياحة مقاريوس ، فتتلمذ على يديه القديسون غريغوريوس النزينزي وجيروم وروفينوس وبالاديوس .

كــان صديقاً حميماً للقديس أنبا انطونيوس ، إذ زاره الأخير عدة مرات ، كما زاره القديس بالاديوس أربع مرات .

دافـــع عن أوريجانوس ، وقاوم الأريوسيين مناظراً إياهم .

فســـر الكتاب المقدس بعهديه بجانب مقالاته " عن الثالوث " ، و " عن الروح القدس " ، و " ضد أتباع ماني " ، و " عن الفلسفة " ، و " عـــن التجسد " ...

ســـأترك الحديث عن بعض آباء مدرسة الاسكندرية مثل القديسين أثناسيوس وكيرلس الكبير وديسقورس إلى الفصول التالية الخاصة بالمجامع المسكونية ومشكلة طبيعة السيد المسيح الخ ...

---

1. Fr. T. Malaty: The Coptic Church, Melbourne 1978, p. 26f.
2. H. M. Gwathin: Early Church History, London 1909, vol. 2, p. 155.
3. Quasten: Patrology, vol. 2, p. 1.
4. Lebreton Y.: Hist. of the Primitive Church, London 1949, vol. 3, p. 731.
5. De Viris Illustribus: 36.
6. Coptic Orthodox Patriarchate: St. Mark & The Coptic Church, 1968, p. 61.
7. Quasten: Patrology, vol. 2.
8. Nelson: A New Catholic Comm. on The Holy Scripture, 1969, p. 15.
9. Douglas: Dict. of the Christian Church, p. 26.
10. Dr. Aziz S. Atiya: Hist. of Eastern Church, p. 33 & Mourad Kamel: Coptic Church, p. 36.
11. Y. Lebreton: p. 732.
12. Coptic Patr.: St. Mark, page 63.
13. W. Schoedel: Athenagaras, Oxford 1972, p. IX.
14. Tolinton: Clem. of Alex., London 1914, vol. 1m p. 14.
15. Schaff: History of Christian Church, vol. 2, p 782.
16. "Origen" means "Son of or (Horus), the Egyptian Sun-God.
17. Quasten: vol. 2, p 37.
18. Carrington: Early Christian Church, vol. 2, p. 463.
19. W. Budge: Ethiopian Synixarium, vol. 2, p 337-8.
20. Paul d'Orleans: Les Saints d'Egypte, 1923, t.2, p. 197.
21. De Seyt. Dion: 6.
22. F. W. Farrar: Lives of The Fathers, London 1907, vol. 1, p. 343.
23. Holy Eastern Church, vol. 1, page 84.
24. Father Malaty: Pope Peter I, Melbourne, 1975.

+ + +

الكنيســة القبطية والمجــامع المسكونية

مدرســة الاسكندرية والمجــامع المسكونية

من يدرس المجــامع المسكونية الأولى ، إنما يلتقي برجال الفكر المسيحي الاسكندري كأبطال إيمان وقادة فكر على مستوى مسكوني : لا يسندهم في هذا مركز سياسي ، لأن الاسكندرية عاشت خاضعة للدولة الرومانية تحكمها رومــا ثم بيزنطة فيما بعد حتى دخول العرب مصــر ، إنما يسندهم مركزهم الروحي التقوي اللاهوتي والانجيلي . فكانت مدرسة الاسكندرية بما تحمله من قوة روح ومن فكر لاهوتي عميق ودراسات كتابية هي سر قوة آباء الاسكندرية .

لم يطمع آباء الاسكندرية في مراكز قيادية لأغراض شخصية ، إنما اتساع قلبهم بالحب الالهي وعمق دراساتهم جذبت الكثيرين إلى مدرسة الاسكندرية وإلى برية مصــر ، يرتوون بلاهوتياتها ويتدربون على الحياة النسكية على يدي رهبان مصر . هذا بجانب ما اتسم به الأقباط منذ فجر المسيحية بالغيرة على الايمان المستقيم ، فكان لهم دورهم الايجابي لعلاج الكثير من المشاكل اللاهوتية في الشرق كما في الغرب . لم يقحموا أنفسهم في مشاكل كنائس أخرى ولا تطفلوا عليهم إنما بروح الحب والوحدة وخلال علاقات الأخوة الصادقة كانوا يستدعون لحل هذه المشاكل أو يطلب إليهم خلال رسائل متبادلة .

عنــدما قبل الأباطرة الايمان المسيحي وهدأت موجات الاضطهاد المتوالية ، وجــد الهراطقة مجالات متسعة لنشر أفكار مضادة للايمان ، خاصة أريوس ونسطور وأوطيخا وابوليناريوس الخ ... وكان لابد لآباء الاسكندرية أن يكون لهم دورهم الايجابي في محاولة رد الهراطقة بطول أناة لكن ليس على حساب الايمان الكنسي الانجيلي .

الآن اكتفــي بعرض دور بعض آباء الاسكندرية في المجامع المسكونية ، تاركا الحديث عن القديس ديسقورس وموقف مجمع خلقيدونية منه لفصل مستقل وذلك لأهميته بالنسبة لنظرة الكنائس الخلقيدونية لنا ، ولعــدم إدراك البعض لحقيقة إيماننا بالنسبة لطبيعة السيد المسيح .

البابا أثناســيوس الرسولي ومجمــع نيقية :

في كتــابنا « الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة علم ولاهوت " أفردت فصلا خاصاً عن البابا أثناسيوس والأريوسية . هنا أكتفي بما قاله القديس غريغوريوس النزيانزي : [عندما أمدح أثناسيوس ، أكون ممتدحا الفضيلة ؛ فانني أذكر كل فضيلة عندما أشير إلى ذاك الذي اقتنى كل الفضائل ؛ كان عمود الكنيسة الحقيقي ، حياته وسلوكه يمثلان نظامــاً للأساقفــة ، وتعليمــه يمثــل قانــون الايمــان الأرثوذكسي][1] .

سـيم بطريركاً (بابا) للاسكندرية عام ٣٢٨ م ، ودامت رئاسته ٤٦ عاماً ، قضى منها أكثر من ١٧ عاماً في النفي بسبب مقاومته العنيفة لانتشار الأريوسية التي كان يسندها بعض الأباطرة ، وقد نفي خمس مرات .

في سـنة ٣٢٥ م انعقد أول مجمع مسكوني ، في مدينة نيقية ، وذلك بسبب خطورة انتشار الأريوسية التي أنكرت لاهوت السيد المسيح ، وجعلت منه مخلوقاً وجد قبل الزمن كأداة للخلق ، يقوم بدور الوساطة بين الله والعالم . كما نادوا أيضاً بأن الروح القدس ليس هو الله بل هو إلـه أقل من اللوغوس (الكلمة) .

انعقـد المجمع بناء على دعوة الامبراطور قسطنطين ، حضره ١١٨ أسقفاً ، من بينهم البابا الكسندروس الاسكندري يصحبه سكرتيره القديس أثناسيوس ، وكان شاباً صغير السن . لم يكن يسمح له كشماس أن يشترك في المناقشات ، وقد قيل أن البابا سامه قساً ليحق له الاشتراك في المناقشات ، فدخل في حوار مع أريوس وأتباعه وأفحمهم بغيرته المتقدة وقدرته اللاهوتية وقوة حجته . كما وضع قانون الايمان الذي تردده كل الكنائس اليوم . وإذ انتهى المجمع تركه يصحبه إعجاب كل الأساقفة كما تصحبه كراهية الجانب الهرطوقي الذي آثار ضده عواصف كثيرة في حياته .

كتـب عنه جون هنري نيومان : [هذا الرجل الفائق ... هو أداة رئيسية بعد الرسل ، سلمت الحقائق المسيحية القدسية وأمنت بالكلمة][٢] .

البابا تيموثاوس ومجمـع القسطنطينية

انعقـد المجمع المسكوني الثاني سنة ٣٨١ م بمدينة القسطنطينية ، بدعوة من الامبراطور ثيؤدوسيوس الكبير ، حضره ١٥٠ أسقفاً ، أساساً لمحاكمة مقدونيوس : منكر لاهوت الروح القدس . وهو رجل أريوسي استطاع أن يصير بطريـركاً على القسطنطينية .

كان للبابا الاسكنـدري تيموثاوس دوره الفعال في المجمع ، حتي قال المؤرخ سوزومين[٣] إنه كان رئيساً للمجمع .

إذ انتهـى المجمع من معالجـة الأمور اللاهوتية بقوة ، ونوقشت بعض الأمور الادارية فدخلت الكرامة الزمنية إلى الكنيسة ، فجعل المجمع كرامة الاسكندرية بعد رومـا والقسطنطينية ، الأولى لأنها العاصمة والثانية لأنها رومـا الجديدة ، فانسحب البابا والأساقفة .

هـذا الانسحاب لم يقلل من غيرة آباء الاسكندرية في عملهم الايماني على مستوى المسكونة ، ولا قلل من تقديرنا لآباء المجمع إذ نذكرهم في كل قداس إلهي ، كما لم يحط من شأن الاسكندرية ، فنجد وليم وارل عند معالجته للحركة المسكونية ، يقـول : [كان كرسي (الاسكندرية) هو أهم الكراسي في الكنيسة ، إذ كانت المدينة هي أهم مدن الشرق . بجانب هيبة مصر القديمة والاسكندرية بهيلينيتها ، صيتها في التعليم المسيحي وقدرتها على القيادة][٤] .

البابا كيرلـــس الكبير والنسطورية

في ٢٢ يونيو سنة ٤٣١ م انعقد المجمع المسكوني الثالث في مدينة أفسس ، بأمر الامبراطور ثيؤدوسيوس الصغير ، حضره ٢٠٠ أسقفا . وكان القديس كيرلس الكبير ـ بابا الاسكندرية ـ رئيساً للمجمع : وذلك لمحاكمة نسطـور بطريـرك القسطنطينية ، هذا الذي قسم السيد المسيح إلى شخصين منفصلين ، ابن الله وابن الانسان .

اهتـم القديس كيرلس بتأكيد وحدة اللاهوت والناسوت دون اختلاط أو امتزاج ... وقد ركـز على لقب " ثيؤتوكوس " أي " والدة الالـه " للقديسة مريم ، لتوضيح أن المولود منها هو بالحقيقة الله الكلمة المتأنس ، وليس إنساناً عادياً حل عليه اللاهوت فيما بعد .

وقـد سبق لنا معالجة هذا الموضوع في كتاب : كنيسة علم ولاهوت " .

---

1. Oratione: 21.
2. The Penguin Dict. of Saints: p. 53.
3. Sozomen: H. E. 7 : 7,9.
4. A Short Account of the Copts, Michigan, 1945: p. 17.

\+ + +

الكنيســة القبطية والحركــة الرهبانية

نســك إنجيلــي

تعـرف الكنيسة القبطية باتجاهاتها النسكية ، ليس فقط بسبب انطلاق الحركات الرهبانية فيها ، وإنما كملامح تمس حياتها كلها وعبادتها . قامت هذه الاتجاهات على أساس إنجيلي .

" لأنـه ماذا ينتفع الانسان لو ربـح العالـم كلـه وخسر نفسـه ؟ " (مت ١٦ : ٢٦) .

" اذهـب وبع كل مالك ووزعه على الفقراء وتعال اتبعني " (مز ١٠ : ٢١ ؛ لو ١٨ : ٢٢) .

" أقمـع جسدي واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً " (أكو ٩ : ٢٧) .

هذا الفكـر الانجيلي وجد استعذاباً عند الأقباط الذين التهبت قلوبهم بمحبة الأبدية .

الحيـــاة النســكية والعالـــم الآتـــي[١]

بينمـــا ارتبطت أغلب الحضارات القديمة بالحياة الزمنية فكانوا يسعون وراء الملذات الوقتية إذا بالفكـــر المصري يبتلع بالعالم الآتي . فكان المصريون القدماء يعتقدون فيما يسمى بالقيامة ، أي في إمكانية عودة الميت إلى الحياة أبدياً إن مورست بعض الطقوس[٢] . لهذا يلزم تحنيط الأجساد في مقابر مختومة ، حتى لا يقدر أحد أن يزور القبر ويسكن فيه غير النفس (كا) .

لـــذلك كانت المقابر تزود بكل احتياجات الحياة اليومية من ملابس وطعام وشراب وأوان وسكاكين وكراسي وأسلحة ومركبات وحلى للنساء وأدوات لعـــب للأطفال[٣] .

عنـــدما قبل الأقباط المسيحية ازداد شوقهم للعالم الآتي والتهب حنينهم له ، لكن على أساس إنجيلي . فعوض انشغالهم بعودة الأرواح إلى الأجساد المحفوظة في المقابر اشتهوا أن ترتفع أرواحهم وأفكارهم وقلوبهم لتنعم بالحياة السماوية حتى وهم بأجسادهم يسلكون على الأرض . بمعنى آخر ، شوقهم للعالم الآتي أعد الطريق لممارسة الحياة النسكية على أساس إنجيلي .

مفهـــوم النســـك القبطـــي

النســـك في الكنيسة القبطية ليس غاية في ذاته يشتهى المؤمنون بلوغها ، إنما هو تجاوب عملي للمحبة الالهية . فان كان ربنا قد قدم حياته لأجلنا ، يليق بنا نحن ـ من جانبنا ـ أن نتوق إلى تقديم حياتنا ذبيحة حب من أجل الله . إننا نزهد الملذات الزمنية كعلامة عن شوقنا الداخلي للتمتع بالنعيم الأبوي خلال الحياة الجديدة في المسيح يسوع . المؤمنون ـ خاصة الرهبان ـ لهم هدف واحد ألا وهو التمتع بملكوت الله الداخلي كعربون لملاقاة الله وجهاً لوجه في الحياة الأبدية .

النســـك والحيـــاة الكنســـية

كثـــيراً ما تحدثت عن النسك في الكنيسة القبطية ومفاهيمها اللاهوتية وحياتها التعبدية وسلوكها ... لذا اكتفي هنا بابراز النقاط التاليـــة :

١ ـ أثـــر الحياة النسكية على الكنيسة القبطية واضح في عبادتها ، فالألحان طويلة لكنها ممتعة ومبهجة للنفس ، أصوامها كثيرة تتعدي النصف سنة سنوياً ، ليتورجياتها تتركز حول انتظار مجيء السيد المسيح (بفكر اسخاتولوجي) .

٢ ـ عرفـــت الكنيسة القبطية بكثرة عدد شهدائها حتى يتطلع البعض إلى بقائها كعمل إلهي معجزي ... مدن بأسرها استشهدت ، وكان الشهداء يواجهون مضطهديهم بفرح كمن ينتظر التمتع باكليل الاستشهاد .

٣ ـ كان للفكـــر النسكي الروحي أثره على اللاهوت الاسكندري ، إذ حمل اتجاهاً خلاصياً ، فتركز اللاهوت في التمتع بالخلاص (سوتيريولوجي) . اللاهوت

ليس موضوع أفكار فلسفية للمباحثات بقدر ما هو متعة لتذوق عمل الله الخلاصي في حياة المؤمن[٤] .

٤ ـ الحياة النسكية لا تعني معاداة الجسد وحواسه وطاقاته ، وإنما بالحري التطلع إليه بقدسية خاصة كمعين للنفس[٥] .

٥ ـ إن كانـت الحياة النسكية قد مهدت الطريق لبدء انطلاق الحركات الرهبانية بكل صورها من نظام الوحدة ، ونظام الجماعات ، ونظام الشركة ، فان هذه الحركات كانت تهدف إلى حياة الاتحاد مع الله ، بصورة أو أخرى . لهذا فهم المصريون الوحدة لا بمعنى العزلة عن الناس بل الوحدة مع الله ... فالراهب حتى وإن عاش في البرية وحده لا يعتزل بقلبه البشرية بل يحملهم بالحب في قلبه ، يصلى من أجلهم ، ويئـن مع أنينهم ، مشتاقاً نحو خلاص الكل .

٦ ـ قـاوم كثير من الآباء المصريين المبالغة في النسك ، خاصة إن كان بدون إفراز (تمييز) أو حكمة .

الحـركـة الرهبـانيـة[٦]

من مصـر انطلقت كل النظم الرهبانية إلى العالم كله ، وذلك في القرن الرابع ، لترد قلب الكنيسة إلى الحياة الداخلية بعد أن قبلت الدولة المسيحية ، وانفتح باب الامبراطور أمام الأساقفة والكهنة . غـير أن هذه النظم التي أسسها الأقباط لم تظهر خلال خطة كنسية مسبقة ، إنما ظهرت إلى النور خلال حب طبيعي التهب بقوة في قلوب كثير من المسيحيين الأوائـل .

١ ـ في العصـر الرسولي ، مارس كثيرون النسك بغية التمتع بكمال الانجيل .

٢ ـ أشعل الاتجـاه الاسخاتولوجي (الأخروي) في الكنيسـة شوق المؤمنين نحو مجيء عريسهم ، فاستحسن بعض المؤمنين أن يعيشوا في بتولية مكرسين كل أوقاتهم للعبادة كتهيئة لوليمة العرس السماوي . في القرن الثاني ، كانت العذارى المسيحيات في سميرنا وكورنثوس يسرن في مواكب الليتورجية خلف الكهنة ، أمام الأرامل . كذلك وجدت جماعات كثيرة من العذارى في الاسكندرية وفي مدن كثيرة من العالم ، وكانت المقالات الخاصة بالبتولية تمثل جزءا حيا من كتابات الآباء في الثلاثة قرون الأولى .

٣ ـ شعـر بعض العذارى والنساك بالحاجة إلى جـو روحي معين ، فكانت العذارى يعشن معاً ، واستحسن الرجال ترك المدن ليعيشوا في أكواخ بسيطة في القرى ، وكانوا يدعون « مكرسين » . وإذ شعر البعض بالعطش نحو الحياة الملائكية هربوا إلى البرية ، ولم نعرف منهم إلا القليل مثل القديس الأنبا بولا السائح الذي عاش قرابة تسعين عاما في البرية (حوالي ٢٥٠ ـ ٣٤١ م) .

٤ ـ بظهـور القديس أنبا أنطونيوس تأسست الحركة الرهبانية ، واعتبر أب الرهبنة في العالم كله ، وإن كان قد سبقه كثيرون ، ذلك لعلاقته الوثيقة بقادة

الكنيسة خاصة البابا أثناسيوس الذي كتب عنه للعالم الروماني . ولأنه فتح مغارته بعد حوالي عشرين عاما من العزلة التامة ليتتلمذ عليه قادة رهبان ، ويحاور الفلاسفة ببساطة إيمانه ، ويستقبل الحكام ، كما كان للقديس دوره الحي في الكنيسة فنزل الى الاسكندرية يسند الشهداء ويقف ضد الأريوسية .

٥ ـ ظهـر القديس باخوميوس أب الشركة الذي أحس أن نظام التوحد لا يناسب كل راغبي الرهبنة ، فأقام جماعة رهبانية داخل أسوار الأديرة .

٦ ـ أقـام القديسون أنبا مقاريوس الكبير وأنبا آمون وغيرهما نظام الجماعات في منطقة وادي النطرون ... حيث جاء كثيرون من أنحاء العالم يمارسون الحياة النسكية على أرض مصر ، ويكتبون عنها لينقلوا الفكر إلى الخارج . هذا ويلاحظ أن قادة هذه الأنظمة الثلاثة لم يتعصبوا لأنظمتهم ، بل كانوا يتزاورون ويمتدح كل منهم النظامين الآخرين .

٧ ـ قامـت الحركة الرهبانية النسائية جنبا إلى جنب مع حركة الرهبنة للرجال ، وساهم الرهبان في بناء أديرة النساء ... وظهرت قيادات نسائية لها دورها الفعال مثل الأم سارة والأم ثيؤدورة . كما تخفـى بعض النساء المصريات والأجانب في زي رجال وعشن حياة ناسكة في أديرة الرجال وغلبن بنسكهن وجهادهن وروحانياتهن الكثيرون .

بعـض القيـادات الرهبانيـة

١ ـ **القديس بولا الطيبـي (رئيس السـواح)** : كتب سيرته القديس جيروم عام ٣٧٤ أو ٣٧٥ م . نشأ في شمال الصعيد ، نال قسطا وافرا من العلوم اليونانية والمصرية ، وإذ بلغ السادسة عشر من عمره نال قسطا وافرا من الميراث عن والديه . وفي أثناء اضطهاد داكيوس (حوالي سنة ٢٥٠ م) انطلق إلى البرية بعد أن تعرض لرغبة أخيه بطرس في اغتصاب ممتلكاته . وإذ بلغ من العمر المئة والثلاثة عشر سنة يمارس الحياة الملائكية وهو على الأرض التقى به القديس انطونيوس ، حيث ناداه الأنبا بولا باسمه . وصارا يتحدثان عن عجائب الله ويسبحانه . عند الغروب نزل غراب كان مستقرا على نخلة وألقى خبزة كاملة أمامهما ، مع أنه كان قد اعتاد أن يلقي نصف خبزة للقديس أنبا بولا . في اليوم الثالث صرف الأنبا بولا الأنبا انطونيوس ليحضر له ثوب القديس أثناسيوس الذي وهبه إياه ، لكي يكفنه به . وإذ عاد الأنبا انطونيوس وجد الأنبا بولا راكعا كمن يصلي ، وأخيرا اكتشف أنه قد رقد . جاء أسدان وحفرا في الرمل حتى يدفن القديس بولا .

٢ ـ **القـديس انطونيـوس** : ولد حوالي سنة ٢٥١ م في مدينة كوما (قمن العروس) بمصر الوسطى . في الثامنة عشرة من عمره إذ سمع الانجيل " إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعـط الفقـراء ... وتعـال اتبعنـى " (مت ١٩ : ٢١) ، قام ببيع ممتلكاته وأودع اخته في بيت للعذارى . وسكن في كوخ يتتلمذ على يدي رجل قديس . بعد فترة رحل إلى الصحراء الغربية ليجاهد بنفسه في

قبر منحوت في جانب الجبل . وفي سن الخامسة والثلاثين استقر على الضفة الشرقية من النيل في منطقة بسبير ، حيث عاش متوحداً ، فجاء كثيرون يطلبون التلمذة . انطلق إلى البرية الداخلية بجبل القلزم ليعيش في هدوء . لكن محبته الداخلية ألزمته بزيارة الاسكندرية ليسند الشهداء عام ٣١٦ م ، ويسند البابا أثناسيوس ضد الاريوسية عام ٣٥٢ م . جاء إليه كثيرون يتتلمذون على يديه . تنيح عام ٣٥٦ م .

من تلاميـــذه القديس هيلاريون من غزه ، القديس مقاريوس الاسقيطي ، القديس آمون بجبل نتريا ، القديس بولس البسيط .

٣ ـ **القـــديس باخوميـــوس** : ولد بصعيد مصر حوالي سنة ٢٩٠ م ، قبل المسيحية في مدينة إسنا بالصعيد بسبب كرمهم وحبهم للاعداء ، فترك الجيش واعتمد حوالي سنة ٣٠٧ في " شينوفسكيون " . تتلمذ على يدي القديس أنبا بلامون المتوحد ، حتى ظهر له ملاك وأرشده لتأسيس نظام الشركة . كان قائداً ناجحاً محباً لخلاص النفوس ، فأسس أديرة كثيرة بصعيد مصر بنظام دقيق محكم ، كما أنشأ دير للراهبات تحت قيادة أخته . ترجمت أصول نظامه إلى اليونانية واللاتينيـــة : استخدمها الأنبا باسيليوس الكبير ، كما استخدمت في بلاد الغال في القرن الخامس . تبناها بندكت أب الرهبنة الغربية وقيصريوس أسقف آرل .

٤ ـ **القديـــس آمـــون** : عاصر الأنبا أنطونيوس ، ولد حوالي سنة ٢٧٥ م ، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره الزمه عمه بالزواج ، فعاش مع زوجته في نتريا كناسكين ، وبعد ١٨ سنة طلبت منه زوجته أن ينفرد عنها ، فخرج إلى جبل نتريا والتف حوله كثيرون ، فأسس نظام الجماعات جنباً إلى جنب مع الوحدة . نظام الجماعات هو نظام وسط فيه لا يلتزم الرهبان بالشركة اليومية في العبادة معاً والطعام وإنما يومي السبت والأحد فقط ، غالباً ما يسكنون في قلال أو مغائر متقاربة ، حول كنيسة في الوسط .

٥ ـ **القـــديس مقاريـــوس الكبـــير** : (حوالي ٣٠٠ ـ ٣٩٠ م) مؤسس رهبنة الجماعات ببرية الاسقيط ، زار القديس انطونيوس على الأقل مرتين . ألزمه والده بالزواج ، لكن الله سمح بانتقال زوجته البتول . سكن في كوخ بقرية يمارس الحياة النسكية حوالي عشرة سنوات تحت مشورة أحد النساك . تاق إلى الوحدة فسكن في الاسقيط ، وكان شاروب يرافقه . عاش محباً للعبادة والنسك بقلب متسع بالحب فتتلمذ على يديه كثيرون ، فجاء إلى البرية شرقيون وغربيون للتلمذة .

٦ ـ **القـــديس شنودة رئيس المتوحدين** : كان أبا (رئيسا) للدير الأبيض في أترب بصحراء طيبة لأكثر من ٥٦ عاما (القرن الرابع / الخامس) ، قاد ٢٠٠ ٢ راهبا ، و ٨٠٠ ١ راهبة . دعي رئيس المتوحدين إذ مارس الوحدة من حين إلى آخر ، كما شجع رهبان ديره على الانسحاب نحو البرية بعد ممارستهم حياة الشركة . في سنة ٤٣١ رافق القديس كيرلس الكبير في مجمع أفسس المسكوني . اشتهر بحركة تحرير الأدب القبطي من كل ثقافة هيلينية ، ولم يسمح لأجنبي أن

يلتحق بجماعاته ، لذا حسب قائداً سياسياً ومصلحاً اجتماعياً بجانب عمق روحانياته .

٧ ـ **القديسة الأم سارة** : وجدت أول جماعة رهبانية نسائية في العالم في مدينة الاسكندية على يدي القديسة سينكليتكي ، وقد حفظ البابا أثناسيوس سيرتها وتعاليمها ، كما أسس القديس باخوميوس ديرين للراهبات ، وظهرت راهبات متوحدات في البرية . وجاء إلى مصر بعض أمهات دير أجنبيات مثل القديسة ميلانيا الكبرى (سنة ٣٧٤) وحفيدتها ميلانيا الصغري (سنة ٤١٨) . هذا ولا نتجاهل القديسة مريم المصرية التي تابت في أورشليم ، وعاشت ٤٨ سنة في البرية عبر الأردن لم تر وجه إنسان سوى القديس سوزيما مرتين في السنتين الأخريتين من حياتها .

كثير من الراهبات نلن عطية القيادة الحقة والتمييز الروحي ، منهن القديسة سارة التي قيل عنها انها عاشت ٦٠ عاماً بجوار النهر لم ترفع عينيها قط لتنظره ... لها أقوال كثيرة حفظت مع أقوال آباء البرية .

٨ ـ **القديسة إيلاريا** : في القرن الرابع ، ابنة الامبراطور زينون ، هربت إلى شيهيت حيث مارست الحياة النسكية في زي راهب ، ولما أصيبت اختها تيؤبستا بروح شرير أرسلها شيوخ البرية إليها لتصلي عليها دون أن يعرفوا انها فتاه . فصلت عليها طوال الليل وكانت تقبلها ، وإذ شفيت أخبرت الامبراطور عن الراهب (ايلاري) الذي شفاها وكان يقبلها فانزعج . وإذ دعاها إلى القصر كشفت له أمرها انها إبنته بعد أن وعدها ألا يعيقها عن العودة إلى مغارتها .

الرهبنة المصرية والعالم المسيحي[٧]

الرهبنة القبطية كأعمق حركة إنعاش روحي حدثت في تاريخ الكنيسة جذبت رهبان من بلدان كثيرة ، فجاء إلى مصر يونان ورومان وكبادوك وليبيون وسوريان ونوبيون واثيوبيون وغيرهم .

في اختصار شديد كان للرهبنة القبطية أثرها على العالم المسيحي :

١ ـ قام البابا أثناسيوس بنشر الفكر الرهباني أثناء نفيه في تريف (٣٣٦ ـ ٣٣٧) ، وعندما هرب إلى روما سنة ٣٣٩ . كما كتب " حياة انطونيوس " سنة ٣٥٧ الذي انتشر في العالم .

٢ ـ ترجم النظام الباخومي إلى اليونانية بواسطة بالاديوس ، وإلى اللاتينية بواسطة جيروم . زار القديس باسيليوس الأديرة الباخومية (٣٣٧ ـ ٣٥٨) وتأثر بها .

٣ ـ قوانين الأب بندكت من Nursia (٤٨٠ ـ ٥٥٠) استقاها من النظام الباخومي .

٤ ـ إذ عاش القديس يوحنا كاسيان سبع سنوات في مصر سجل كتابيه الشهيرين عن الرهبنة القبطية : " المناظرات " ، " الدساتير " .

٥ ـ عـاش الأب أوغريس البنطي (٣٤٦ ـ ٣٢٩) الذي احتل مركزا رئيسيا في تاريخ الرومانية المسيحية ، كراهب في منطقة نتريا لمدة عامين ، وفي منطقة القلالى لمدة ١٤ عاما .

٦ ـ قـام القديسان جيروم (٣٤٢ ـ ٤٥٠ م)وروفينوس (٣٤٥ ـ ٤١٠) بزيارة مصر .

٧ ـ قضـي بالاديوس (حوالي ٣٦٥ ـ ٢٤٥ م) أسقف هيلينوبوليس ومؤرخ الرهبنة الأولى سنوات كثيرة مع رهبان مصر ، وتتلمذ على يدي الأب أوغريس ، ووضع كتاب : " التاريخ اللوسياكي " حوالي سنة ٤١٩ م .

٨ ـ تتلمـذ مار أوجين على يدي القديس باخوميوس ، وأسس ديرا في نصيبين ببلاد فارس ، كما ترجم القوانين الباخومية إلى الفارسية والسريانية في منتصف القرن الرابع . بحسب التقليد الكلداني قبل أن سبعين راهبا مصريا قاموا بمساعدته في إنشاء عدة أديرة هناك .

٩ ـ تتلمذ القديس هيلاريون من غزة على يدي أنبا أنطونيوس ، حيث عاد إلى بلاده ليمارس الحياة النسكية .

١٠ ـ تهـذب القديس أبيفانيوس أسقف سلاميس بقبرص (حوالي ٣١٥ ـ ٤٠٣) بالفكر الرهباني القبطي .

١١ ـ حـوار سلبيكوس ساويرس حوالي ٤٣٠ م ، سجل ما رآه الرحالة بوستيميان في زيارة إلى مصر عام ٣٩٩ ، مقدما نظرة رائعة للرهبنة المصرية .

١٢ ـ زارت الراهبـة الاسبانية إثيريا (ايجريا) مصر في القرن الرابع .

١٣ ـ زارت الأم القديسـة ميلانيا الكبرى الرومانية برية مصر .

١٤ ـ أقـام القديس يوحنا الذهبي الفم في أحد الأديرة الباخومية في صعيد مصر ، من سنة ٣٧٣ حتى ٣٨١ م .

الحركـة الرهبـانية القبطيـة اليـوم

لعـل أحد ملامح الكنيسة القبطية الأرثوذكسية اليوم هو التزايد المستمر في راغبي الالتحاق في الحياة الديرية ، حتى بدأ التفكير في تعمير الأديرة التي خلت من الرهبان . في الوقت الحاضر يوجد أحد عشر ديرا للرجال وستة أديرة للنساء : أديرة الرجال منتشرة في المناطق الصحراوية ، أما أديرة النساء ففي داخل المدن .

اهتـم البابا كيرلس السادس بتعمير دير القديس مارمينا بجوار الاسكندرية ، كما اهتم البابا شنودة الثالث بتعمير دير القديس الأنبا بيشوي بوادي النطرون ، حيث أقام فيه مقرا بابويا لحبه الشديد للرهبنة . يقضي فيه قرابة نصف الأسبوع بانتظام .

هــذا وقد التحق بالأديرة رهبان من الشبان الذين هاجروا إلى أمريكا وكندا واستراليا بعد أن نجحوا في حياتهم العملية .

---

1. Father Tadros Malaty: The Coptic Church, "Church of Alexandria, Melbourne 1978, p. 6-7.

2. Hastings: Encycl. of Religion and Ethics, vol. 1, p. 113.

3. M. E. Harkness: Egyptian life and History, p. 17-19.

4. Father: Tadros Y. Malaty: The Terms: "Physis & Hypostasis" in the Early Church, September 1986, p. 19f.

٥ ـ القمص تادرس يعقوب ملطي : قاموس آباء الكنيسة وقديسيها ، حرف أ ، ١٩٨٦ ، ص ١٢ .

6. Father Tadros Y. Malaty: The Coptic Church as an Ascetic Church, 1986, p. 9-11.

7. Ibid: page 78-83.

+ + +

الفصـــل الثالـــث

الكنيســـة القبطية ومجمـــع خلقيدون

مجمـــع خلقيدونية وكنيسة الاسكندرية

أهميـــة إعادة دراســـة مجمع خلقيدونية

صـــارت الحاجة ماسة في العصر الحديث إلى إعادة دراسة مجمع خلقيدونية وتقييمه من جديد ، لا بقصد تفتيح الجراحات التي أصابت كنيسة الاسكندرية على أيدي اخواتها الكنائس الرسولية الأخرى ، وإنما أود هنا توضيح أن كنيسة الاسكندرية على وجه الخصوص ، انقطعت صلتها بالكنائس الأخرى ، بعد القرن السابع ، وذلك لأسباب سياسية ، ولقرون طويلة ، مما فتح المجال لاتهامها :

١ ـ إنهـــا كنيسة أوطاخية ، لقبت خطأ بالمونوفيزيت ، أي القائلة بالطبيعة الواحدة ، بمعني أن الطبيعة الالهية قد ابتعلت الناسوت تماما ... الأمر الذي هو غريب عن فكرها وعقيدة آبائها ، ولم تقبله قط كما سنرى .

٢ ـ صور الدكتور جـــاك تاجر[١] أن المسيحية كانت غريبة في أرض مصر ـ حتى القرن الخامس ـ وان المصريين قبلوا المسيحية لعوامل سياسية ، حتى شعـــر بطاركتهم بعطف العالم المسيحي عليهم وتقديره لعلمهم ونبوغهم ، فاغتنموا كل فرصة سنحت لهم للتخلص من وصاية الامبراطور عليهم ، كما تعاونوا على فرض وجهة نظرهم فيما يتعلق بالمسائل الدينية حتى ولو كانت مخالفة لرئيسهم المباشر أي البابا الروماني ... هذه الصورة المرة بعيدة كل البعد عن حقيقة الكنيسة القبطية . فالتاريخ يشهد بأن المسيحية لم تكن غريبة في مصر وقد استشهدت مئات الآلاف في العصر الروماني ، ومن مصـــر انطلقت كل الحركات الرهبانية الانجيلية ، وفي مصر نشأت أول مدرسة مسيحية في العالم وعرف أباؤها على مستوى المسكونة : أما مخالفة البطاركة لرئيسهم الروماني فلا حاجة للرد عليها ، إذ يكشف التاريخ عن علاقات الود والاحترام المتبادل بين الاسكندرية وروما !

تصوير الكنيسة القبطية ككنيسة منشقة لعوامل تحررية من بيزنطية أمر غير واقعي : على العكس نجد أن محاولة الأباطرة لحن الخلافات اللاهوتية بالقوة

العسكرية ، واضطهاد البطريرك الملكي ـ المعين من الامبراطور ـ للأقباط يسنده في ذلك سلطانه العسكري خلق ثورة داخلية في نفوس الأقباط ضده .

٣ ـ حـاول البعض تصوير القديس ديسقورس كرجل عنيف ، حاسبين أن نفيه لم يكن إلا بسبب طبيعته العنفية ... وقد ظهر اتجاه جديد بين الدارسين لمحاولة تصوير آباء الاسكندرية مثل القديسين أثناسيوس وكيرلس بالعنف عوض جهادهم بوذلهم للحفاظ على الايمان الكنسي الحق .

وإننـي في هذا المجال لا أنكر الجهود التي تبذلها الكنيسة في الشرق والغرب للوحدة بعد أن أدرك كثير من اللاهوتيين حقيقة إيماننا بخصوص طبيعة السيد المسيح . وقد أصدرت عدة مطبوعات في هذا الشأن(٢) .

الآن أكتفـي بتقديم عرض بسيط ـ خاصة من الجانب اللاهوتي ـ للكشف عن موقف الكنيسة القبطية من مجمع خلقيدونية .

بين الفكر اللاهوتي الاسكندري والفكر الأنطاكي(٣)

يـرد كثير من الدارسين مشكلة الصيغة الخاصة بطبيعة السيد المسيح إلى الصراع بين اللاهوت الاسكندري واللاهوت الأنطاكي : فبينما تبنت مدرسـة الاسكندرية " الاتحاد الأقنومي " أو " الاتحاد الطبيعي " بين لاهوت السيد المسيح وناسوته لتأكيد وحدة يسوع المسيح ، إذا بمدرسة أنطاكية تقبل نظرية " الحلول " أو " السكن " ، بمعنى أن اللاهوت سكن في الناسوت ، كما لو كأن شخصين في واحد ، وذلك بقصد توضيح انه لم يحدث اختلاط بين اللاهوت والناسوت ، ولتجنب نسب الضعف البشري للاهوت . نقطة البداية بالنسبة لمدرسة اسكندرية هي : " والكلمة صار جسداً " (يو ١ : ١٤) ، أما بالنسبة للانطاكيين فهي : " فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً " (كو ١٢ : ٩) .

هنـا يلزمنـا توضيح النقـاط التاليـة :

١ ـ مـع وجود نقاط خلاف بين المدرستين يوجد نقاط تلاق بينهما .

٢ ـ سبـب الصراع هو إساءة البعض تفسير مفاهيم المدرستين ، فأساء كل من ابوللينياريوس (الذي أنكر أن للسيد المسيح نفساً بشرية) وأوطيخا إلى مدرسة الاسكندرية : بينما أساء نسطور (الذي أكد وجود شخصيتين للسيد المسيح) ويؤدور وثيؤدورت أسقف قورش وهيا أسقف الرها إلى مدرسة أنطاكية .

٣ ـ لعبـت السياسة الخاصة بالدولة والكنيسة دوراً في خلق هوة بين المدرستين .

الاتحـاد الأقنومـي ومدرسـة الاسـكندرية

أوضـح القديس كيرلس في صراعه ضد نسطور " الاتحاد الاقنومي " كاتحاد شخصي ، طبيعي ، حقيقي ، متحفظاً على الأقل عن فكرتـين :

أ] اللاوغــوس كأقنوم أبدي اتحد الناسوت الذي لم يكن لــه كيان قبل التجسد ، ولا يمكن أن ينفصل عن اللاهوت . صار شخصاً بتقبله أقنومية خــلال الاتحاد مع اللوغوس . لم يكن الناسوت اقنوماً (شخصياً) مستقلا يقابــل اللوغوس ، إنما صار اقنوماً بالاتحاد مع اللوغوس .

ب] اتحــاد الطبيعتين معاً هو اتحاد داخلي حق .

رفــض القديس كيرلس نظرية " الحلول " الانطاكية ، أي أن لاهوت السيد المسيح قد حــل أو سكن في ناسوته ، أو نظرية " الأقباط " أو " المشاركة الشديدة " ، لأنها غير كافية لاعلان الاتحاد ، وتعطي مجالا لانقسام طبيعتي المسيح كما علم نسطور[٤] .

الطبيعة الواحــدة أو الطبيعية المتجسدة الواحــدة[٥]

يقــول Sellers أن غالبية الأساقفة في مجمع خلقيدونية كانوا يؤمنون بالصيغة الكنسية التقليدية المسلمة بواسطة القديس أثناسيوس ، وهــي : " الطبيعيــة الواحدة لكلمة الله المتجسد " ... هذه الصيغة تختلف عن " الطبيعة الواحدة " الأوطاخية .

ســبق أن أوضحت من خلال كتابات القديس كيرلس والآباء غير الخلقيدونيين مثل القديسين ديسقورس وسويرس الأنطاكي وفيلوكسينوس معنى الطبيعة الواحدة ، " ميا فيزيس " ، والتي يمكن إجمالها في النقاط التاليــة :

١ ـ نقصــد بكلمة " قيــا " " واحــد " ، لكن ليس " الواحــد المفرد " أو " الواحد البسيط "] ... إنما الوحدة " واحد من طبيعيتين " ، كما قال القديس ديسقورس .

٢ ـ إصــرار القديس كيرلس على " الطبيعية الواحدة " إنما لتأكيد وحدانية المسيح ، كخط دفاع إيماني ضد النسطورية .

٣ ـ تطلــع النساطرة إلى كلمة " واحدة " بمعنى إما أن طبيعة ابتلعت الأخرى ، أو حدث مزج بين الطبيعتن واختلاط لتكوين طبيعة واحدة ، لكن القديس كيرلس أوضح مؤكدا أنه لم يحدث ضياع لطبيعة ما ولا امتزاج بين الطبيعتين إنما حدث وحدة حقيقية .

٤ ـ يســوع المسيح واحد من الآب في جوهره (ومساوله) ، وفي نفس الوقت واحد معنا نحن البشر (من نفس جوهر ناستونا) .

٥ ـ هو الالــه المتجسد (الله والانسان في نفس الوقت) .

٦ ـ أوضــح القديس ساويرس أن الطبيعية الالهية لكلمة الله لم يصبها تغير بعد التجسد .

٧ ـ ان الكلمــة صار إنساناً حقيقياً .

٨ ـ ناســوت السيد المسيح كامل ، له الجسد والنفس معاً .

٩ ـ لــم يتشكل ناسوت السيد المسيح قط قبل التجسد ، بمعنى إنه لم يوجد ناسوت وبعد ذلك حــل فيه اللاهوت .

حــاول بعض الدارسين أن ينسبوا الفكر اللاهوتي الاسكندري لاتجاه الكنيسة المصرية نحو الحياة النسكية (تجاهل الجسد) واهتمامها بتأله الانسان ... وقد قدمنا رداً على هذا الرأي[٦] .

الديوفيزيس (الطبيعتان) في اللاهوت الأنطاكــي[٧]

لكــي نتفهم الصيغة الأنطاكية : " طبيعتان بعد الاتحاد " ، يلزمنا أن نتعرف على وضعها خــلال الجدال الخاص بطبيعة السيد المسيح الواحدة والطبيعتين :

١ ـ لم يســتطع الأريوسيون تقبل لاهوت السيد المسيح ، لأن هذا يجعل منه شخصين : الله وإنسان .

٢ ـ أكــد القديس اثناسيوس وحدة اللاهوت والناسوت ، مكــرراً عقيدة شخص واحد في " جسد المسيح " إنه جسده وليس غريباً عنه . بهذا يسوع المسيح شخص واحد وليس شخصين ، له طبيعة واحدة ، دون تجاهل للدور الديناميكي " الحركي " لحضرة لاهوتــه وناسوته .

٣ ـ استخــدم ابوللينياريوس أسقف لاودكيا الصيغة الاسكندرانية " طبيعة واحدة " بمنهجة اللاهوتي الخاص به . ففي شغفه على الدفاع عن الايمان الكنسي ضد الأربوسية ظن أن اللوغوس اتحد بجسد إنسان مجرد ، وأن اللوغوس قام بدور النفس ، هذا الذي اتحــد بجسد قبله من العذراء مريم . بمعنى آخر لكي يحقق الاتحاد الاقنومي اعتقد أن ناسوت المسيح غير كامل (جسد بدون نفس) .

٤ ـ تشكك القادة الأنطاكيون في " الاتحاد الاقنومي " للقديس كيرلس وحسبوه فكراً أبوللينارياً ، لذلك تبنوا نظرية " حلول " اللوغوس في الناسوت ، وذلك ناسوت المسيح وانه كان إنساناً حقيقياً وكاملا . أعلن نسطور هذه النظرية عندما رفض دعوة القديسة مريم " تيؤتوكوس " ، رافضاً القول الاسكندري : " مات إبن الله " . في الواقع رغب الانطاكيون في تأكيد ثلاث حقائق خاصة بالتجســد :

أ] ناســوت المسيح حقيقي وكامل .

ب] لا يوجــد اختلاط بين الطبائع التي للمسيح .

ج] لاهــوت المسيح غير خاضع للألم ، الله لم يتألم ، ولا مات .

لكنهــم في نفس الوقت يتحدثون عن المسيح كشخصين ، وابنين [ابن الله وابن الانسان] .

ثنائيــة شخص المسيح واضحة في عبارات القادة الأنطاكيين ، لكنهم إذ اعتادوا إنكار الثنائية عند دفاعهم عن أنفسهم ، يظن بعض الدارسين المحدثين انهم

لم يقصدوا الثنائية بل ورفضوها ، حتى نسطور نفسه . لذا تشكك بعضهم فيما إذا كان نسطور نفسه بحق نسطورياً ، وإن كان لايزال غالبيتهم ينظرون إلى الأنطاكيين على أنهم يفرقون طبيعتي السيد المسيح .

---

1. Dr. Tager: Copts & Moslems (Arabic) ch.1.
2. For more Details See :

a— Christology According to the Non - Chalcedonian Churches, 1986.
b— The Terms Physis & Hypostasis in the Early Church, 1986.
c— The Coptic Orthodox Church as a Church of Erudition & Theology, 1986, ch. 14.

3. See, The Terms Physis & Hypost: p.10f.
4. Ibid: 11,12.
5. Ibid: 12-19.
6. Ibid: 19f. 7. Ibid: 25f.

\+ + +

الأحـداث السابقـة لمجمـع خلقيدونية(١)

عـودة الجدال اللاهوتي حول شخص المسيح

في المجمـع المسكوني الثالث بأفسس عام ٤٣١ م عزل نسطور من كرسيه وحرم كما أدينت تعاليمه ، وثبت قانون إيمان نيقية ، وصدرت موافقة رسمية على لقب " ثيؤتوكوس " ... لكن هذه القرارات واجهت هجومـاً من أصحـاب الفـكر الأنطاكي ، إذ حضر يوحنا الأنطاكي وفي صحبته ثيؤدورت أسقف قورش وأساقفة آخرون كانوا متأخرين ، فعقدوا مجمعاً منافساً تقرر فيه حرمان القديس كيرلس وميمنون أسقف أفسس وعزلهما عن كرسيهما بتهمة استخـدام العنـف مع الهراطقة ... وكان لكل فريق من يناصره في البلاط . فكان الامبراطور في حيرة لم يعرف أي الفريقين يناصر ، لذلك وضع القديس كيرلس في السجن لمدة شهرين ، ثم سمح له بعد ذلك بالعودة إلى كرسيه ، أما نسطور فنفي في مصـر حيث مات في صعيد مصر .

تمـت مصالحة نهائية بين يوحنا وكيرلس سنة ٤٤٣ ، حيث أرسل الأول بولس أسقف الرها إلى الاسكندرية يحمل " اعتراف إيمان " لكيرلس ، وبعث كيرلس برسالته الشهيرة إلى أنطاكية Laetentur Caeli أي " صيغة إعادة الاتحاد " ... وقد فهم كل طرف هذه الصيغة بطريقته الخاصة لمجر إيجاد مصالحة . هذه الصيغة قبلها القديس كيرلس حتى يقبل الأنطاكيون مجمع أفسس دون شروط ، أما الأنطاكيون لم يرضهم إعادة الاتحاد تماماً وكانوا في ثورة بسبب نفي نسطور .

إذ لـم يكن " إعادة الاتحاد " مشبعاً للطرفين ، اللاهوت الاسكندري واللاهوت الأنطاكي ، إذ سنحت الظروف للجـدال عاد بصورة عنيفة انتهى بالانشقاق المر الذي حدث في مجمع خلقيدونية ، يمكننا في إيجاد تلخص أهـم الأحـداث :

في ســنة ٤٣٥ م انتخب هيبا أسقفا للرها الذي تحول إلى تلميذ غيور لثيؤدور أسقف الميصة القائد الأنطاكي ، فبدأ الجدال العقيدي من جديد يرتكز على كتابات تيؤدور . وفي سنة ٤٤٣ احتل دومنيوس الأسقفية عوض يوحنا الأنطاكي وكان يسترشد بثيؤدورت أسقف قورش . وفي سنة ٤٤٤ تنيح القديس كيرلس ليخلفه البابا ديسقورس على كرسي الاسكندرية . وفي سنة ٤٤٦ م رسم فلفيان على القسطنطينية ويبدو أنه كان يؤمن بـــ " الطبيعة الواحدة المتجسدة لله الكلمة من طبيعتين " لكن تيؤدورت أسقف قورش غير ذهنه .

أرســل البابا ديستورس رسائل لأخوته الأساقفة حسب التقليد الكنسي ، وكان رد ثيؤدورت رقيقاً للغاية يمتدح فيه اتضاعه ورقته ، لكن الأخير دخل في عداوة مرة ضد البابا ديسقورس ، لأن ديسقورس لام دمنيوس برقة على تشجيعه للثنائية النسطورية من جهة شخص المسيح ، واستهانته بمجمع أفسس ، وإعلانه أن نسطور ليس هرطوقياً ، وقد أجابه دمنيوس برسالة رقيقة ، جاء منها انه سر بخطابه بسبب محبته وانفتاحه .

القديــس ديســقورس وأوطيخــا

كان أوطيخــا رئيس دير بالقسطنطينية ، ناسكا شيخا ، بليغا لكنه لم يكن لاهوتياً ، له شهرته في الأوساط الديرية ، وفي البلاط الامبراطوري ، على مستوى الشعب . تقبل من صديقه القديس كيرلس صورة من قرارات مجمع أفسس ، كما قبل الصيغة اللاهوتية " الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد " " ... وفي غيرته ضد النسطورية بدأ يدافع عن " الطبيعية الواحدة " ضد " الطبيعتين " دون أساس لاهوتي سليم ، فانحرف إلى القول بأن اللاهوت ابتلع الناسوت .

إلى يومنــا هذا لا يستطيع الدارسون الجزم بحقيقة شخصية أوطيخــا ولاهوتياته ، فكثيراً ما كان يستخدم عبارات ارثوذكسية تضاد أفكاره الرئيسية ، ربما لأنه كان متزعزعاً في معرفته اللاهوتية أو عن خراع أو ربما لحذره لئلا يفقد شهرته .

حــدث نزاع بين أوطيخا وثيؤدورت ، فيه اتهم الأخير القديس كيرلس بالأبوليناريه ونشر هجوماً مطولا ضد كيرلس وأوطيخا ؛ كما حاول يوسابيوس أسقف دوريليوم إثارة فلافيان بطريرك القسطنطينية لمحاكمة أوطيخا . حاول البطريرك معالجة الأمر بشيء من الحكمة لكن يوسابيوس أصر فعقد مجمع بالقسطنطينية سنة ٤٤٨ لم يحضر أوطيخا الجلسات الست الأولى ، وأمام الضرورة حضر وأنكر أنه قال بأن جسد يسوع نزل من السماء كما كرر أنه أخذ جسده من العذراء مريم ، وأن جسده كامل ، لكنه رفض القول بأن جسده واحد معنا (مساو لنا) .

أصــر يوسابيوس أن يجيب أوطيخا على سؤالين هما : هل كان المسيح واحداً معنا ؟ هل يحمل طبيعتين بعد الاتحاد ... وكان متردداً في إجابته على السؤال الأول بينما أكد أن آباء الكنيسة قالوا بالطبيعية الواحدة .

خــرج كثير من الدارسين[٢] لمناقشات هذا المجمع أن أوطيخا لم يكن هرطوقياً أكيداً ، وأن يوسابيوس لم يكن يهدف إلى كسب أوطيخا للحق بل يدفعه لقبول ثنائية نسطور ... وان حكم المجمع على أوطيخا كان متسرعاً .

مجمــع أفســس الثانــي (سنة ٤٤٩ م)

إدانــة أوطيخا سببت متاعب كثيرة في القسطنطينية : مساعدوه اتهموا فلافيان ومساعديه بالنسطورية ، فاضطر فلافيان إلى حرم بعض القيادات الديرية ، مستخدماً العنف معهم .

التجــأ أوطيخا إلى الامبراطور خلال صديقه خريسوفيوس كبير الحجاب ، كما لجأ إلى رومــا والاسكندرية وأروشليم وتسالونيكي ... وقد كتب لأون أسقف روما رسالة إليه بمتدحه فيها على غيرته ضد الثنائية النسطورية ، وفي نفس الوقت كتب إلى فلافيان ديسقورس ــ بابا الاسكندرية ــ يدعوة لعقد مجمع لمناقشة الأمر . لاون الذي لم تكن لديه معرفة صادقة لطبيعة الصراع بين لاهوت الاسكندرية ولاهوت أنطاكية أرسل طوفسه (رسالته) إلى القسطنطينية في ١٣ يونيو ٤٤٩ م ، لا من أجل مصالحة الطرفين وإنما بغية تشويه اللاهوتيين الاسكندريين . جاء في تعليــق Titerort : [بالكاد تجد للاهوت موضعاً فيها . القديس لاون لم يناقش ولا قدم براهين وإنما حكم وبت في المصاعب][٤] .

كــان هدف لاون " البابوية " أكثر من عقيدة الكنيسة كما سنرى من خلال أحداث مجمع خلقيدونية ، وقد دعاه J. W. Wand : [أبا البابوية][٥] . هذا الاتجاه واضح ، إذ كتب للامبراطور يقول له إنه لا حاجة لعقد مجمع ، وانه قد عين مندوبين عنه يقومون بتقديم ما يحتاج إليه الامبراطور ، معلناً أن طومسه فيه كل الكفاية[٦] .

اقتنــع الامبراطور تيؤدوسيوس الثاني بضرورة عقد مجمع فطلب من القديس ديسقورس أن يمارس سلطته في المجمع كرئيس وطلب من يوبيناليوس أسقف أورشليم وتلاسيوس أسقف قيصرية كبادوكية أن يكونا رئيسين شريكين معه .

جــاءت قرارات مجمع أفسس هكــذا :

١ ــ إعــادة اعتبار أوطيخا ، وفي هذا لا يلام القديس ديسقورس لأننا نجد لاون أسقف روما نفسه يكتب إلى بولشاريا وإلى فلابيانوس وإلى يوليوس أسقف كايوس Cios بأن أوطيخا انزلق في الهرطقة عن جهل ، إن تاب فليعامل حسناً[٣] . هذا وقد أكد أوطيخا في المجمع أن كلمة الله نزل من السماء بلا جسد ، وقد صار جسداً من ذات جسد العذراء دون أن يتغير أو يتحول ، وإنه هو الله الكامل قبل الدهور صار إنساناً كاملاً لأجلنا .

٢ ــ إدانــة القيادات النسطورية كما قال شادويت H. Chadwick ، في كتابه " الكنيسة الأولى : مثل هيبا أسقف الرها ، دانيال أسقف حران ، ايرياؤس أسقف صور ، وثيؤدورت أسقف قورش ، ودمنوس الأنطــاكي وفلابيانــوس بطريــرك

القسطنطينية ... ولاتزال محاضر الجلسات (بالسريانية) تكشف عن اتجاهات هؤلاء الآباء نحو الثنائية النسطورية .

يــرى كثير من الخلقيدونيين أنه وإن كان إنشقاقاً قد حدث في مجمع خلقيدونية إنما هو رد فعل لمجمع أفسس الثاني ، أولا لأن ديسقورس حذف طومس لاون ، وثانياً لأن ديسقورس كان عنيفاً ، ويرد على ذلك بالآتــي :

حــذف طومــس لاون

اعتبــر الأسقف الروماني عدم قراءة طومسه إهانة للسلطة البطرسية ، لذا وصف هذا المجمع باللصوص . ولازال للأسف.كثير من الكتاب الغربيين يستخدمون ذات التعبير . جدير بالملاحظة أن هذا الطومس لم يكتب كمستند للمجمع ، بل هو رسالة سبق أن وجهت للامبراطور ، وأرسلت صورة منه مع مندوبي روما . هذا وقد سبق فانتشر هذا المستند في الشرق قبل اجتماع المجمع ، وان الأساقفة ــ وليس ديسقورس وحده ــ رفضوا قرائة الحق ــ بالنسبة له ــ قد ثبت ، وإنه استطاع أن يموت بسلام(٨) .

يقــول الأب فلورسكي اليوناني : [إن أخذ طومس لاون بمفرده ، ربما يخلق إيماناً مضاداً ومبالغاً فيه بخصوص الطبيعتين ، خاصة باصراره على نسب أعمال معينة للسيد المسيح لطبائع مختلفة دون التأكيد التام على وحدة شخص المسيح ، بالرغم من نية البابا نفسه الصادقة والأرثوذكسية . على أي الأحوال ، فان المفسرين للطومس بواسطة المؤرخين واللاهوتيين الكاثوليك في العصور الحديثة غالباً ما يعلق اتجاهاً نصف نسطوري ، هذا الاتجاه ظهر حديثاً بواسطــة بعض الكتــاب الرومان الكاثوليك](٩) .

هــل كان القديس ديسقورس عنيفاً ؟(١٠)

١ ــ لم يعقــد المجمع بناء على طلب البابا ديسقورس مما يــؤكد له نفع شخصي .

٢ ــ لم يصــف الخطاب الامبراطوري القديس ديسقورس بألقاب تكريم أكثر من غيره ، مما يدل على عدم وجود اتفاقات مسبقة بين الامبراطور والقديس .

٣ ــ تكشــف رسائل الامبراطور عن وجود اضطرابات لاهوتية في ايبارشية القسطنطينية .

٤ ــ أخــذت القرارات في المجمع بالتصويت ، ولم ينسحب أحد سوى فلابانوس ديوسابيوس عند إصدار الحكم .

٥ ــ في الكلمــة الافتتاحية التي ألقاها يوبيناليوس الاورشليمي لقب لاون بالقديس ومحب الله ... هذا يكشف عن روح المجمع .

٦ ــ عنــدما سأل لاون فالنتينوس امبراطور الغرب وأمه وأخته للتوسط لدى ثيؤدسيوس ليعقد مجمعاً آخر ، أجاب الأخير برسالة يمتدح فيها المجمع وكان كيف خوف الله يسوده .

٧ ــ في رســالة الامبراطور الافتتاحية يكشف عن عنف تيؤدورت أسقف قورش ... إذن فالعنف كان سائداً من الجانب النسطوري .

٨ ــ لم ينطق البابا ديسقورس كلمة ذم في لاون أسقف روما ، بينما وصفه الأخير بالسفاح المصري ومعلم أخطاء الشيطان .

---

1. The Coptic Church as a Church of Erudition & Theology: p100-1, 115.
2. Kelly: Early Christian Doctrines, 1978, page ??.
   Jobland: The Life and Times of St. Leo the Great, p.216.
3. Gregorius B. Behnam: Pope Dioscorius of Alexandria, Defender of The Faith, Cairo 1968 (Arabic) page 93.
4. History of Dogmas: Vol.3, p.81.
5. A History of The Early Church to A.D. 500, 1965, p.237.
6. Acta Conciliorum Oecumenicorum (ACO), Walter de Gruyter & Co., 1933, II,i, p.45:10.
7. Mgr. Hefele: Histoire de Conciles, Paris 1869, t2, p.555-8.
8. Henry Chadwick: The Early Church, 1974, p.202. (See Methodios Fouyos, Archbishop of Theateria..; Theological and Hist. Studies, V.8, Athens 1985, p.15.
9. Methodios Fouyos: p.12,13.
10. The Coptic Church as a Church of Erudition & Theology, p.122.

\+ + +

مجمــع خلقيدونية وجلســاته

لاون أسقــف رومــا ومجمــع خلقيدونية

إذ فشــل مندوبو روما في حماية فلابيانوس وجماعته ، كتب لاون إلى ثيؤدوسيوس الثاني وإلى كنيسة القسطنطينية ضد ديسقورس ، وأخيراً سأل امبراطور الغرب خلال أخته وأمه أن يتدخل لدى أخيه ، غير أن ثيؤدوسيوس رفض الطلب ممتدحاً القديس ديسقورس والمجمع . ومع ذلك جاءت الأحداث تخدم أسقف روما :

١ ــ وجــد فرصته في التحالف مع معارضي مجمع أفسس الثاني ليهاجم اللاهوت الاسكندري ، ملقباً مجمع أفسس الثاني : " المجمع اللصوصي " .

٢ ــ استغل موت فلابيانوس للتعاطف مع مقاومي مجمع أفسس الذين فسروا موته بأنها بسبب أتعاب جسدية لحقت به في المجمع ... غير أن هذا الاتهام لم يوجه ضد القديس ديسقورس في مجمع خلقيدونية ، إنما وجه إليه اتهام أنه دانه ظلماً .

٣ ـ في ٢٨ يوليو ٤٥٠ م مات ثيؤدوسيوس لتحتل بولشاريا أخته ورجلها مرقيان الملك في ٢٨ أغسطس ، بعد أن كسرت نذر بتوليتها . عرفت بولستاريا بارادتها الصلبة ، فقامت باعدام رئيس الحجاب خريسافوس ونفت أوطيخا ، وصارت تساند روما ضد الاسكندرية لترفع من شأن كرسي القسطنطينية ... لهذا جمعت توقيعات على طومس لاون ، وكان لاون يأمل أن يعقد مجمعاً في ايطاليا لكنها لم تسمح أن يكون لروما السلطة العليا ، وأصرت على عقد المجمع في الشرق . حاول لاون إلغاءه ففشل ... فأرسل مندوبيه ولأول مرة يصف لاون في رسالته أوطيخا كمخادع وشرير مثل نسطور ... وكان الهدف من ذلك ليس أوطيخا بل القديس ديسقورس .

في الظاهـــر كان المجمع منعقداً ضد أوطيخا ، لكن الواقع هو تحطيم كرسي الاسكندرية ، فأوطيخا كان راهباً شيخاً منفياً ، لم يستدعى لمناقشته . والقديس ديسقورس لم يدن على هرطقة عقيدته فقد حسب أرثوذكسياً من بعض الآباء القادة في المجمع مثل أناتوليوس بطريرك القسطنطينية . هذا ويؤكد الدارسون المحدثون أرثوذكسيته(١) .

الجلســة الأولــى (٨ أكتوبر ٤٥١)

إذ بدأ القضـــاة يعلنون نظام أعمـــال المجمـــع انبـــرى فستسبينـــوس (باسخاسينوس) المندوب الروماني يقول : [لدينا قرارات من كلى الطوبي ، الرجل الرسولى ، أسقف مدينة روما ، **رأس كل الكنائس** ، بأن ديسقورس ليس له موضع في المجمع ، فان عارضها يلزم طرده خارجاً . نحن ملتزمون بطاعة هذا الأمر . لذلك فليأمر سموكم بأن يخرج وإلا رحلنا نحن](٢) . عندما سأل القضاة ، ماذا فعل ديسقورس مخالفاً للقوانين أجاب مندوب روماني آخر : [لقد وضع نفسه في مركز قاض ، وأدار مجمعاً دون استئذان الكرسي الرسولي ، الأمر الذي لم يحدث قط ولا يصح أن يحدث](٣) .

أمـــا الاتهامات التي وجهت ضد القديس ديسقورس ، فهـــي :

١ ـ **رئاســـة مجمـــع أفسس** : واضح أنه ليس اتهاماً حقيقياً ، لكن محاولة من روما لفرض سلطة على الكنيسة الجامعة ، الأمر الذي لم يقتنع به القضاة المدنيون . واضح بطلان هذا الاتهام ، لأن الذي دعى له هم الأباطرة ورسائلهم لازالت محفوظة ، ولأن لاون نفسه أرسل مندوبين غضبوا لأن الطومس لم يقرأ ولم يعترضوا على عقد المجمع ، أخيراً فان القديس ديسقورس كان معه رئيسان آخران معينان من قبل الامبراطور .

٢ ـ **قصـــة الأوراق البيضاء** : قال اسطفانوس أسقف أفسس انهم ألزموا بالتوقيع على أوراق بيضاء باستخدام العنف . ويظهر بطلان هذا الاتهام من أن يوسابيوس أسقف دوريليوم لم يشر إلى ذلك في التماسه للامبراطور مع أنه كان حاضراً المجمع . لو أن هذه القصة صادقة لماذا لم نسمع عنها خلال العامين السابقين للمجمع حتى من مساندي طومس لاون ؟ ! هذا ولما سألهم القديس ديسقورس بخصوص

تسجيل أعمال المجمع اعترفوا بأن كل أسقف كان يصحبه كاتب ، وأنه توجد نسخ متعددة . ويظهر بطلان هذا الاتهام ، عندما سئل الأساقفة عن حرمهم لفلابيانوس ، اعتذروا مرتين : " كلنا أخطأنا ، نسأل العفو " ، ولم يقولوا أنهم قد وقعوا بيضاء . هذا وجاءت الأقوال متضاربة في أمر قصة الأوراق البيضاء ، كما لام القديس ديسقورس علانية الأساقفة الذين أدعوا هذا الأمر أنه يجب أن يكون الأسقف شجاعاً لاسيما حينما يوقع بخصوص الايمان الثمين(٤) .

٣ ـ **تبرئة أوطيخا** : قيل أن أوطيخا كان كذاباً ، هذا ليس ذنب القديس ديسقوروس الذي أعلن بوضوح في مجمع خلقيدونية أنه لا يبالي بالأشخاص بل بايمان الكنيسة .

٤ ـ **إدانة فلابيانوس ويوسابيوس** : سأله القضاة كيف برأ أوطيخا الذي لم يقبل صيغة " إعادة الاتحاد لسنة ٤٣٣ م " بينما حرم كل من فلابيانوس ويوسابيوس ... هنا أثيرت المشكلة الرئيسية ، فأوضح القديس ديسقورس أن القديس كيرلس ـ تسنده كتابات القديس أثناسيوس ـ يرفض صيغة " طبيعتين بعد الاتحاد " ... وإذ تحدث عن " الطبيعية الواحدة " صرخ بعض الأساقفة : " أوطيخا يقول هذا ، ديسقورس يقول هذا " . هنا أوضح القديس : [لسنا نعني اختلاطاً ولا امتزاجاً ولا تغييراً . من يقل بالاختلاط أو التغيير أو الاختلاط فليكن أناثيما](٥) ، كما أوضح أنه لا اعتراض له على القول " من طبيعتين بعد الاتحاد] .

هنا أعلن الحكم بواسطة القضاة المدنيين بعزل ستة أساقفة ـ المسؤولين عن مجمع أفسس الثاني ـ من بينهم القديس ديسقورس ويوبيناسليوس وتلاسيوس .

عند ختام الجلسة ـ وعلى خلاف ما دبر بابا لاون كعمل رئيسي للمجمع قرر القضاة بأن مناقشة الايمان المستقيم تتم في الجلسة التالية ، وان كل مندوب يمكن أن يقدم بيانا إيمانا مكتوبا مع مراعاة أن الامبراطور يؤمن بما يتفق مع قوانين نيقية والقسطنطينية وكتابات الآباء القديسين : غريغوريوس وباسيليوس وهيلاري وابروسيوس ورسالتي كيرلس (٢ ، ٣) اللتين قبلهما مجمع أفسس الأول " ملاحظة هامة : لم تقرأ الرسالة الثالثة في مجمع خلقيدونية بما فيها من الحرمانات الاثنى عشر] ، وأيضا طومس لاون .

الجلسة الثانية (١٠ أكتوبر)

لم تأت هذه الجلسة بنتائج أفضل بالنسبة للخلقيدونيين بالرغم من غياب رؤوس الأفسس الثاني . لأن العزل كان قد أعلن في اليوم قبل السابق . عارض المجمع بقوة ضد الاقتراح بأنه يلزم تقديم : " تفسير اخر بجانب التفسير الذي علم به الآباء وأن يدون كتابه(٦)] . هذا ومع أن كثيرين من الأساقفة وافقوا على الطومس قبل انقعاد المجلس لكن بعضهم خاصة أساقفة الليريون وفلسطين اعترضوا على ثلاث

عبارات به ، وطلب أثاكيوس أسقف نيكوبوليس فترة زمنية لمراجعة الطومس على الرسالة الثالثة للقديس كيرلس لنسطور .

طلــب أساقفة الليريون الترفق برؤساء مجمع أفسس لكن أحداً لم يلتفت إليهم .

أعلــن القضاة أن الجلسة القادمة ستكون بعد خمسة أيام ، وأن من لديه شك في الطومس يلتقي بأناطوليوس بطريرك القسطنطينية فيوضح ما لبس عليه(٧) .

الجلســة الثالثــة (١٣ أكتوبر)

فجــأة لم تحترم فترة الأيام الخمسة ، وعقد المجمع في ١٣ أكتوبر تحت رئاسة باسخانيوس المندوب الروماني دون حضور القضاة المدنيين والرجال الستة الذين أدينوا ... وقد تجاهلت سجلات المجمع عدد الحاضرين في هذه الجلسة ، غير أن انعقادها في " مارتيريون القديسة أوفيمية(٨) " وهي كنيسة صغيرة عوض " كنيسة أوفيمية " في الجلسات السابقة يوحي أن العدد كان صغيراً .

لكــي يتمموا الشكليات استعدى البابا ديسقورس من الحبس ، فطلب تصريحاً من السلطات للخروج واشترط حضور القضاة المدنيين والرجال الذين أدينوا معه .

في غيابــه لم يجد المقاومين صعوبة في تحريض البعض على تقديم اتهامات ضده مثل أن حياته فاسدة وأن سخطاً عاماً في الأسكندرية ضده وأنه حرض على منع شحن القمح إلى ليبيا ... هذه كلها اتهامات واهية قدمت في غيابه ، واضح أنها مزيفة ، لأن التاريخ نفسه يثبت تعلق الاسكندرية به ، حتى مقاوميه لم يتهموه في حياته الشخصية ، أما قصة القمح فهي القصة التي يمكن بها تحريض القصر الامبراطوري ضده ... كما أتهم أيضاً بحرمانه بابا روما .

ممــا يلفت النظر أن كلمات مندوبي روما الختامية توضح أن التجريد والعزل إنما صدرا من لاون ، وما على المجمع إلا الموافقة ... هكذا يتضح أن القرار في الواقع يصدر من أجل عقيدة لاهوتية وإنما لأجل الدفاع عن سيادة السلطة البابوية الرومانية . وقد تخبط معاصروه في محاولة تبرير تجريده وعزله ، لكن الغالبية العظمى لم ينسبوا إليه هرطقة ما ، ولم يحكم عليه بالحرمان .

الجلســة الرابعــة (١٧ أكتوبر)

لــم يناقش موضوع صيغة أيمان جديدة بخصوص طبيعة السيد المسيح إلا بعد أن عزل القديس ديسقورس ، ومع هذا يقول Grillemier : [إنه فقط تحت الضغط المستمر من جانب الامبراطور مرقيان وافق آباء خلقيدونية على تقديم نص جديد للايمان ، فانه حتى الجلسة الرابعة للمجمع في ١٧ أكتوبر ٤٥١ م ، كان مندوبو الامبراطور يسمعون المجمع يردد ثانية أنهم لا يريدون تقديم نص جديد للايمان غير أن قانون الايمان النيقوي وما جاء بالقسطنطينية](٩) . أيضا يقول Tixeront :

[أغلب الآباء كانوا يعارضون وضع نص جديد للايمان ، وكانوا يريدون الاكتفاء بالموافقة على بعض المستندات التي تعبر عن عقيدتهم][١٠] .

كـــان من صالح الامبراطور استبعاد الاسكندرية وإصدار قانون إيمان جديد يخرج من القسطنطينية ليقيم لها زعامتها في الشرق عوض الاسكندرية . مستخدماً بابا لاون أداة لتحقيق ذلك الذي بدوره كان ينظر إلى الاسكندرية كعائق له عن تحقيق سلطته البابوية على الكنيسة في العالم .

أحـــداث ٢٢ أكتوبر ٤٥١

جـــاء الأساقفة الشرقيون معهم مسودة لنص إيماني كي يتبناه المجمع ، وكما جاء في Tixeront : [نصها مفقود ، كل ما نعرفه بالتأكيد أنه يؤكد أن يسوع المسيح " من طبيعتين " . كان النص دقيقاً ولكنه غامض ، وبطريقة معينة غير مرضية ، إذ أعلن ديسقورس نفسه قبوله . على أي الأحوال وافق أغلب الأعضاء على قبوله ماعدا مندوبو روما وبعض أساقفة المشرق (الذين لهم ميول نسطورية)][١١] . .

هـــذا التعليق كاف ليبرز مدى ارتباط أساقفة المشرق في غالبتيهم بصغية الايمان الاسكندرانية ، ويمكن للباحث أن يدرس لماذا فقدت هذه التسويدة التي قدمها الأساقفة .

تحـــت تهديد مندوبي روما ســـأل القضاة المدنيون تقديم بيان جديد ، لكن الأساقفة أصروا أن هذا تعريف الايمان الأرثوذوكسي[١٢] ... وكما يقول Kelly بمهارة فائقة ودبلوماسية رضخ المجمع لقبول التعديل[١٣] .

أمـــا عن الدبلوسية التي استخدمها القضاة المدنيين فتظهر كما جاء في[١٤] Hefele أن محاضر الجلسات بها فجوة في هذا الموضع ، ربما انهم أشاروا إلى أن نص لاون لم يعارض فكر الكنيسة إنما يدافع ضد الأوطاخية .

---

1. The Coptic Orthodox Church as a Church of Erudition, p. 129-130.
2. ACO II, i, p.65:5.
3. Ibid. 65:9 - Mansi VI, 581 & Behnam p.134.
4. Behnam, p.140 - 2.
5. ACO II, i, p112:263 & Mansi VI, 676f.
6. Sellers: The Council of Chaledon, p109 & Mansi, VI, 953.
7. ACO II, i, 279:31.
8. Ibid: 199,2.
9. Christ in The Christian Tradition, London 1975, page 543.
10. History of Dogmas: Vol. 3, p89.
11. Ibid: (See. Mansi VII: 104,105).
12. ACO II, i, page 210: 36.
13. Early Christian Doct. pages 334, 14. p345.

+ + +

هــل أمكن لمجمــع خلقيدونية أن يصالــح المدرستين ؟

لا أود الدخــول في تفاصيل لاهوتية عميقة ، خاصة وإنني قد قدمتها في شيء من الايجاز في كتاب : " المصطلحان فيزيس وهايبوستاسز في الكنيسة الأولى " ، إنما ما أريد توضيحه هنا أن بعض الدارسين وقد شعروا بأن نص مدرسة الاسكندرية : " طبيعة واحدة من طبيعتين " هو النص الذي كان يفضله حتى غالبية آباء مجمع خلقيدونية لولا ضغط مندوبو رومــا على القضاة المدنيين لتقديم نص جديد : " في طبيعتين en dus physes " عوض " من طبيعتين ek dus phuson " ... هؤلاء يحاولون تبرير المجمع بأنه لم يرفض النص الاسكندري ولا حسبه هرطوقياً وإنما حسبه غير كاف فجاء بالنص الجديد للتوضيح .

رفضنــا للنص الخلقيدوني مبني على الأسس التالية :

١ ـ إن " الطبيعــة الواحدة " لها أساس إنجيلي يمس خلاصنا ، وقد أوضح قداسة البابا شنودة الثالث ذلك في كتابه طبيعة المسيح " ، وقدمت مختصراً له في الكتاب السابق الاشار إليه بالعربية والإنجليزية .

٢ ـ يروي بعــض الآباء واللاهوتيين الخلقيدونيين أن طومس لاون يمثل عقبة لا يمكن التغلب عليها في مجهود الاتحاد مع غير الخلقيدونيين ، حيث أن غير الخلقيدونيين ينظرون إلى القول بأن " الطبيعتين " في شخص واحد هو إتجاه نسطوري ... يدعم هذا مدح نسطور نفسه لطومس لاون[١] . كما أن الطومس إن أخذ بمفرده ربما يخلق إيحاء مضاداً ومبالغاً فيه بخصوص الطبيعتين ، كما يقول الآب الأستاذ فلوروسكي[٢] .

٣ ـ يــرى Kelly أن الغربيين كانوا يهتمون بالنظام الكنسي أكثر من اللاهوت على خلاف أخوتهم في الشرق ، ويرى Kelly أنه باستثناء ترتليان لم يقدم الغرب شيئاً يذكر في اللاهوتيات الخاصة بالسيد المسيح ، بينما يقول الأستاذ ميندورف أن لغة طومس لاون اللاتينية لم تكن قادرة على إشباع الشرق[٣] .

٤ ـ إن كنــا نتفق مع الطومس في مقاومته للأوطاخية ، وتأكيد ناسوت السيد المسيح أنه حقيقي ، وأن السيد المسيح دخل بالحق عالمنا البشري ، وأن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت تحقق دون تغيير ... لكن توجد ثلاث عبارات اعترض عليها بعض آباء مجمع خلقيدونية تحمل اتجاها نسطورياً[٤] .

٥ ـ حــدث لاون عن " شخص Prosopon " واحد للسيد المسيح ، هذا لا يكفي لأن النساطرة قبلوا هذا التعبير بمعنى " قناع " ، أي وحدة ظاهرية فقط . وكان لابد للطومس أن يؤكد الوحدة أنها حقة وأقنومية .

٦ ـ مجمـــع خلقيدونية تبنى طومس لاون ، نفي مصـــر استشهد كثيرون لا لرفضهم قرارات المجمع وإنما لعدم توقيعهم على طومس لاون ... فقبول الطومس كمستند إيماني رئيس للمجمع أساء بالأكثر للمجمع في نظر غير الخلقيدونيين .

٧ ـ لقـــد نادى المجمع بأن السيد المسيح " أقنوم واحد " ، الأمر الذي أثار بعض متطرفي النساطرة ... ولكن هؤلاء قبلوا المجمع بعد ذلك إذ فسر تعبير " أقنوم " هنا بمعنى " شخص Prosopon " .

٨ ـ نحـــن نرفض المجمع لأنه تجاهل كل النصوص الكنسية التقليدية التي تؤكد وحدانية شخص السيد المسيح ، كوحدانية حقة ، مثـــل :

" طبيعة من طبيعتين " .

" طبيعة واحدة متجسد لله الكلمة " .

\+ + +

نختتـــم حديثنا عن مجمع خلقيدونية بكلمات Sellers المدافع بقوة عن المجمع [أولا وقبل كل شيء ، يلزم أن نفهم أن اللاهوتيين (المونوفيزيت) لم يكونوا هراطقة ، ولا نظر إليهم هكذا بواسطة القادة الخلقيدونيين "(٥) .

---

1. Methodious Fouyos: pages 12, 13.
2. Christology According to The Non - Chalcedonian Churches: p 12-3.
3. Terms "Physis & Hypostasis in the Early Church: p.30-1.
4. Ibid: 30 f.
5. The Council of Chalcedon, SPCK 1961, page 269.

\+ + +

مـــلاحظـــة

تعبـــير " مونوفيزيت " أي " أصحاب الطبعية الواحدة " ، تعبير غير دقيق لم يستخدم في القرون من الخامس إلى السابع ، إنما هو دخيل ووضع بطريقة معينة وبروح جدلي لصالح الخلقيدونيين .

الفصـــل الرابـــع

الكنيسة القبطية والحكم البيزنطي

بطريـــرك دخيـــل ملكـــي

بـــين مجمع خلقيدونية ولاون

رضـــخ آباء المجمع لمندوبي رومـــا في تحقيق هدفهم بالتخلص من البابا الاسكندري ، بنفيه إلى جزيرة غنغرا ؛ وتحت ضغط شديد قبلوا وضع نص إيماني جديد حتى لا يكون للاسكندرية مركز لاهوتي ... ولكن حين حاولوا الضغط لتحقيق السلطة البابوية على الكنيسة الجامعة تحول هذا الصمت إلى ثورة ، وصـــدر القانون ٢٨ الذي ثار ضده مندوبو روما . وبسبب الرغبة في السلطة البابوية أعلن لاون أسقف رومـــا في رسائله المتكررة ـ بغضب شديد وحدة ـ مقاومته للمجمع وهاجم أناطوليوس بطريرك القسطنطينية لأنه ساوى بين روما والقسطنطينية .

أول شهيـــد بعد المجمـــع

وصـــل رسول إلى الاسكندرية ينبىء بنفي البابا ديسقورس وتعيين قس اسكندري يدعى بروتيريوس بطريركاً على الاسكندرية بموافقة الامبراطور ، كما قدم رسالة من الامبراطور يهدد فيها من يتجاسر بالعصيان . وقـــد حضر البطريرك الملكي ـ المعين من قبل الملك (الامبراطور) ـ يحفه الجند لمعاقبة من يخالف الأمر الامبراطوري .

طلب والـــي الاسكندرية ـ عميل القسطنطينية ـ الالتقاء بالأساقفة فرادى ، حاسباً إنه يقدر على التأثير عليهم كأفراد ، وكان أول أسقف هو القديس مكاريوس أسقف أدكـــو الذي أراد البقاء مع البابا في المنفى ، لكن البابا ألزمه بالعودة قائلا له ان إكليل الاستشهاد ينتظره ... وبالفعل إذ رفض الأسقف الاذعان لمطالب الوالي طعنة أحد الجند طعنة قاتلة ، وكان أول شهيد تقدمه الكنيسة يستشهد بيد مسيحية . وهكذا لاقى أساقفة مصـــر وكهنتها ورؤساء الأديرة ورهبانها وكثير من الشعب ضيقاً بأيدي إخوانهم الخلقيدونيين .

بأمـــر الوالي أغلقت الكنائس التي أصر الشعب أن يسلمها للبطريرك الأصلي ، ما عدا النذر القليل الذي تسلمه عنفاً .

خليفـــة القديـــس ديسقـــورس

في ســـنة ٤٥٠ م وفي غيبة والـــي الاسكندرية سمع الأقباط أن باباهم قد رحل في منفاه ، فاجتمع الشعب مع الكهنة وسيم تليمذه تيموثاوس بطريركاً ، وهو راهب من دير القلمون استدعاه القديس كيرلس الكبير وسامه قساً على كنيسة الاسكندرية ، ثم داوم على الخدمة في عهد البابا ديسقورس ، كان إنساناً ناسكاً غيوراً عرف بادراكه اللاهوتي ، حتى حين تحدث الأستاذ ميندورف عنه وعن سويـــريس الأنطاكي وفيلوكسينوس قال بأن غير الخلقيدونيين في ذلك الحين كان لديهم لاهوتيين أقوياء على عكس الخلقيدونيين(١) .

إذ عـــاد الوالي إلى الاسكندرية حسب هذا التصرف تمرداً على بيزنطة ، فأخذ يناصر بروتيريوس الدخيل ، ممعناً في مضايقة المصريين ... وتحت العنف الشديد لم يكسب سوى أربعة أساقفة يخضعون للدخيل . غادر البابا تيموثاوس الاسكندرية في رحلة رعوية ، أثناء ذلك جاء الكونت ديونسيوس إلى الاسكندرية ليرتكب بشائع ضد الكنيسة المصرية ، فصارت مجروحة بأيدي مسيحية . يقول الأستاذ ميندورف : [حاول الأباطرة حل الخلافات بالقوة . فبالنسبة لنا اليوم لا نشك في أن الضغوط العسكرية التي فرضت على أصحاب الطبيعة الواحدة (مونوفيزيتم) في مصر وغيرها ، وفرض السلطة الكنسية الخلقيدونية على السياسات البيزنطية ، وتكرار نفي القادة الحقيقيين والشعبيين لكنيسة مصر ، هذا كله لعب دوراً فعالا في جعل الانشقاق يحمل صورة مقاومة شعبية ضد بيزنطـــة في سيطرتها على مصـــر وسوريا وأرمنيا كنسياً وسياسياً](٢) .

عنـــد عودة البابا أغلق الكونت الأبواب كي لا يدخل البابا المدينة ، فتجمهر الشعب وإذ لم يكن ممكناً حبس مشاعرهم احتكوا بالجيش واشتبكوا معه فسقط كثيرون في المعركة عندئذ دخل جمهور إلى الكنيسة وقتلوا بروتيريوس الدخيل وحرقوا جثمانه في الطريق .

نفـــي البابا تيموثاوس وأخوه إلى غنغرا ، حيث اهتم ببعث رسائل إيمانية للشعب موضحاً إيمان الكنيسة ومحذراً بوضوح من الفكر الأوطاخي ، مستنداً في هذا على كتابات القديس ديسقورس ؛ أحبه شعب الجزيـــرة ودعـــوه " العجائبـــي المحسن "(٣) .

قـــام الوالي بتعيين سولو فاتشيولي بطريركاً فقاطعة الشعب لمدة سبع سنوات ، وفي سنة ٤٧٤ مات مرقيانوس وتسلم باسيلسكوس الامبراطورية ، وكان طبيبه اسكندارنياً حيث توسط لديه من أجل البابا . ذهب البابا من منفاه إلى القسطنطينية ليشكر الامبراطور ، حيث قوبل بحفاوة من الكنيسة والدولة ، وطلب من الامبراطور رد الأساقفة المنفيين ، كما عقد مجمعاً حضره ٥٠٠ أسقفاً أكد فيه حرمان بدعة

أوطيخا ورفض طومس لاون ... وتحقق الصلح بين كنائس أورشليم والقسطنطينية وأنطاكية والاسكندرية دام لعدة سنوات ، كما قام بنقل رفات القديس ديسقورس إلى الاسكندرية .

في هـــدوء ترك البطريرك الدخيل كرسيه ، وقام البابا بمحبة بضم الأساقفة الذين خضعوا للدخيل بعد إعلانهم رفض طومس لاون ومجمع خلقيدونيـــة ، واعترافهم بالايمان الأرثوذكسي .

علاقات مترددة بين كرسي الاسكندرية وكرسي القسطنطينية

كانـــت العلاقات بين بابا الاسكندرية وبطريرك القسطنطينية تختلف حسب الظروف السياسية واتجاهات الامبراطور وبطريرك القسطنطينية .

نذكـــر على سبيل المثال أن زينون إذ اغتصب عرش القسطنطينية أمر بنفي البابا بطرس الثالث (البابا ٢٧) ، فاختفى الأخير في إحدى الضواحي لمدة خمس سنوات ، وقاطع الشعب البطريرك الدخيل جورجيوس الذي عينه الوالي ... بعد فترة رأى الأقباط مواجهة الامبراطور ، فانتدبوا وفداً برئاسة يوحنا طلايا ، قابلوا زينون وطالبوه بحق الشعب في اختيار راعيه ، لكن زينون تردد إذ شعر أن يوحنا يأمل في اعتلاء الكرسي المرقسي ، فأقسم الأخير أنه لن يقبل الكرسي حتى لو انتخبه كل الشعب ، فأكد لهم زينون أنه سيعمل على تحقيق رغبتهم . وفي عام ٤٨٢ م مات جورجيوس فنسى يوحنا القسم واستطاع بعلاقته مع الوالي أن يحتل المركز . بعث رسالتين إلى أسقف روما وأسقف القسطنطينية (أكاكيوس) ، وبتدبير إلهي ذهب مندوبه إلى أبولس ـ شخص له دالة في البلاط ـ فوجده متغيباً لذلك وصلته الرسالة متأخرة فحسب أكاكيوس هذا التأخير ازدراء به وتمييزاً لأسقف روما عنه ، فنصح زينون أن يعيد للمصريين باباهم الشرعي بطرس الثالث . أرسل أسقف روما إلى أكاكيوس وزينون يعلن سروره باعتلاء يوحنا طلايا الكرسي الاسكندري لكن زينون رد عليه بأن مثل هذا الانسان لا يليق لهذه الكرامة السامية لأنه حنث بيمينه(٤) . وبالفعل عاد البابا بطرس وتبادل مع البطريرك أكاكيوس ١٤ رسالة ، فيها أعلن أكاكيوس تركه الاعتراف بمجمع خلقيدونية وطلب الشركة المتبادلة بين الاسكندرية والقسطنطينية ... لاتزال هذه الرسائل محفوظة . من ثمارها طلب مندوبين من الاسكندرية لحضور مجمع في القسطنطينية ، وظهور منشور الملك زينون .

الهينـــوتيكون

في ٢٨ يوليـــو سنة ٤٨٢ أصدر زينون منشور " هينوتيكون " ، جاء فيـــه وصف للحالة الدينية في الشرق ، يعتبر تقريراً واقعياً عن حـــال الكنيسة بعد مجمع خلقيدونية ، إذ جاء فيه : [خـــلال كل هذه السنوات من الحياة ، حدث أن عبر الزمن بجيل بلا حساب ، فحرم الكثيرون من نوال تجديد المعمودية ، وأخرون من شركة الأسرار الالهية حتى لحظة انتقالهم ، منتظراً حدوث تحرك إنساني ، وربوات من

الميتات لحقت بالبشر بتهور في مبالغة ، حتى ان الأرض بل والجو أيضاً صار فاسداً ؛ من لا يصلي إذن لكي تتغير هذه الأمور إلى ما هو أفضل ؟ !][٥] .

الامبـــراطور زينون الذي بدأ حياته الملوكية بالغـــاء قرار الامبراطـــور باسيلسكوس ونفي الأساقفة غير الخلقيدونيين ، الآن يدرك كيف تمررت الكنيسة في الشرق وسط الضيق الذي وجهه البلاط ضدها . لا ننسى هنا أن زينون هذا صار فيما بعد محباً لكنيسة مصر ، خاصة لآبائها الرهبان ، بعد أن تخفت إبنته ايلاريا في زي راهب وعاشت ناسكة ، ولم يكتشف أمرها إلا بعد أن شفت أختها الوحيدة من مرضها ؛ فقدم الامبراطور للأديرة في مصر بسخاء .

في هـــذا المنشور تجاهل الامبراطور زينون مجمع خلقيدون وطومس لاون ، وفي نفس الوقت أخذ الجانب الايجابي لتأكيد وحدة طبيعة السيد المسيح دون التعرض لصيغة معينة ... لقد حـــوى المنشور :

١ ــ قانون إيمـــان نيقية هو وحده قانون الايمان الذي صادق عليه الـــ ١٥٠ أباً بمدينة القسطنطينية وآباء مجمع أفسس ، وكان الهدف العودة إلى ما قبل مجمع خلقيدون[٦] .

٢ ــ حـــرم نسطور وأوطيخا ، وقبول الاثنى عشر بنداً (حرمانات) لكيرلس .

٣ ــ أكـــد إيجابياً : [نعترف أن إبن الله الوحيد هو نفسه الله الذي تأنس بكونه ربنا يسوع المسيح ، واحد معنا في الناسوت ، هذا الذي تنازل وتجسد بواسطة الروح القدس من العذراء مريم " الثيؤتوكس " ، إنه إبن واحد لا إثنين . نؤكد نسـب المعجزات كما الآلام التي احتملها ابن الله الوحيد بارادته في الجسد . إننا لن نقبل بالمرة القائلين بالتفريق أو الاختلاط أو أنه خيال . فان التجسد الحقيقي بلا خطية لم يضف شيئاً إلى الابن ، وبقي الثالوث ثالوثاً ، حتى عندما تأنس الله الكلمة ، أحد الثالوث][٧] .

٤ ــ بعد أن طلب المنشور إصلاح وحدة الكنيسة ، أعلن هذا الحرمان على كل من يخالف الايمان ، الآن أو في أي زمان ، سواء في خلقيدون أو مجمع آخر ، خاصة نسطور وأوطيخا ومن يحمل فكرهما .

لقـــد وقع البابا الاسكندري على هذا المنشور ، شارحاً للكهنة والشعب بالاسكندرية ما يحمله من مفهوم إيماني ، لأن البعض طالب أن يكون المنشور واضحاً في حرمانه لطومس لاون وقرارات مجمع خلقيدونية وتأكيد طبيعة المسيح الواحدة .

في الواقـــع الهينوتيكون لم يقدم لغير الخلقيدونيين المضطهدين حقوقهم وإنما سمح لهم أن يمارسوا عملهم الروحي والكنسي في حرية دون التزام بقبول مجمع خلقيدون ، لذلك كان ترحيبهم بالمنشور ليس من أجل ما يحمله من لاهوتيات وإنما من أجل السماح لهم بالحرية للعمل[٣] ... وإن كان المنشور حمل اتجاهاً واضحاً نحو تفكير أصحاب الطبيعة الواحدة .

قــدم هذا المنشور فرصة لاتحاد كراسي الشرق الرئيسية الأربعة ، أما كرسي الغرب " رومــا " فلم ينشغل بالأمر ، لأن اتجاهه كما قال مندوبو روما في جلسة ٢٢ أكتوبر ٤٥١ بمجمع خلقيدون : امــا أن يقبل الشرق وجهة نظر رومــا أو ينسحبوا لتبق رومــا فيما يخص شأنها ... لكنها لم تقف في سلبية بل أعلنت استياءها .

في ٢٨ يوليــو ٤٨٤ عقد فيلكس الثالث أسقف رومــا مجمعاً من ٢٧ أسقفاً حرم فيه البابا بطرس الاسكندري والبطريرك أكاكيوس ، أما هما فلم يباليا بحرمانه .

بالرغــم من نياحة كل من أكاكيوس سنة٠ ٤٨٩ م ، والبابا بطرس سنة ٤٩٠ م ، وزينون سنة ٤٩١ م تمسك الامبراطور انسطاسيوس الأول (٤٩١ ــ ٥١٨ م) بالهينوتيكون ، وكان بطاركة القسطنطينية يوقعون عليه عند سيامتهم حتى وفاة الامبراطور سنة ٥١٨ م . في هذه الفترة ظهر القديس ساويرس الأنطاكي (٥١٢ ــ ٥١٨) من أشهر اللاهوتيين في موضوع طبيعة السيد المسيح الواحدة .

عاشــت كنيسة الاسكندرية في ســلام مع بقية كراسي الشرق ، وفي علاقة حب وود مع الامبراطور انستاسيوس حتى تولى يوستنيان العرش ، لتبدأ المتاعب من جديد .

---

1. Christ In The Eastern Thought.
2. See: Christology According To The Non - Chalcedonian: p.2,3.

٣ ــ تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية لمار ساويرس يعقوب توما ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .

4. Archmandrite V. Guettee: Hist. de L'Eglise, 1806, t.5, p.44-45.
5. V. C. Samuel: Council of Chalcedon Re-examined, Madras 1977, p.108-9.
6. Dr. A. S. Atiya: Hist. of Eastern Christianity, p.72.
7. V. C. Samuel: page 114.

\+ + +

كنيســة الاســكندرية
في عهــد يوســتنيان الأول

مع البابا تيموثاوس الثالث (البابا ٣١)

في الســنة التي سيم فيها البابا تيموثاوس (٥١٩ م) مات انستاسيوس وتولى يوستنيان الامبراطورية ، وكان يميل إلى الخلقيدونية ، غير ان زوجته التقية ثيودورا كان لها دورها في تهدئته أحياناً ... لذا اتسمت مدة حكمه بفترات من التعب وأحياناً من الراحة .

دخــل يوستنيان الكنيسة مع الأسقف يوحنا الكبادوكي ، فقــام بعض الخلقيدونيين بالهتاف ضد القديس سويرس الأنطاكي مطالبين بمحاكمته ، بينما هتف آخرون بحياته كرد فعل للهتاف الأول . عندئذ قرر الامبراطور عقــد مجمع للفصل في

الأمر . وإذ عرف بابا الاسكندرية نية الامبراطور لم يذهب إلى المجمع ، فأمر الامبراطور بالقبض عليه ونفيه . اقتحمت جماهير الجند الكنيسة بينما تجمهر الشعب حـول باباهم ، وانتهى الأمر إلى معركة طرفيها جند مسلحون وشعب أعزل ، فكان الجند يفتكون بالشعب ، وأخيراً ألقوا القبض على البابا واقتيد إلى المنفى ، وفرض الامبراطور بطريركاً دخيلا يدعى ابوليناريوس .

أمـا القديس ساويرس فحضر المجمع وحكم عليه بالتجريد والحرمان ، وكان الامبراطور قد صمم أن يقطع لسانه لولا تدخل تيؤدورا ... واكتفى الامبراطور بطرده من إيبارشيته ، فلجأ إلى مصر ... في هذا المجمع لقب بطريرك القسطنطينية بـ " المسكوني " ، الأمر الذي سبب نزاعاً بين روما والقسطنطينية على الألقاب .

عـاد البابا من منفاه لكنـه صار مطارداً من بلد إلى أخرى ، ومن دير إلى دير مع القديس سويرس الأنطاكي ...

مع البابا تيؤدوسيوس الأول (البابا ٣٢)

بـدأ عهده بمتاعب داخلية إذ اجتمع حزب من الاسكندريـة وسامـوا أرشيدياكون بطريركاً (قيانوس) ، لكن الامبراطورة ثيؤدورا أرسلت وفداً حقق في الأمر ، فأقر قيانوس بخطئه ، وقبل البابا توبته وأعاده إلى رتبة أرشيدياكون .

بعـث البابا إلى الامبراطور والامبراطورة يشكرهما على موقفهما من قيانوس ، لكن الامبراطور ظن في محبة الشعب للبابا خطراً قد يحل به في المستقبل ، فأراد هدمه إذ أمره أن يوقع على قرارات مجمع خلقيدونية واعداً إياه بالولاية على الاسكندرية وجعله بابا على كل أفريقيا ... فحسب البابا هذه الوعود شيطانية ورفض التوقيع . استدعاه الامبراطور حيث قابلة بحفاوة عظيمة والتقى به ست مرات ليغريه ، أما هو فرفض ، فسجنه في القسطنطينية ، وسـام بولس التنيسي بطريركاً دخيلاً أرسله مع حاشية من الجند . بقي الدخيل عاماً كاملاً لا يجد من يصلي معه سوى الوالي والجند . وكان يسمع الكلمات : " ليسقط الخائن ! ليسقط يهوذا الدخيل " ، فطلب من الامبراطور أن يعفيه ... أما البابا فبقي في السجن ٢٨ عاماً حتى تنيح سنة ٥٦٧ م .

مجمـع القسطنطينية (الثانـي ٥٥٣ م)

تدخـل الأباطرة في المناقشات اللاهوتية واستخدامهم العنف في حلها ، مع انشغال الشرقيين في هذه المناقشات لأنها تمس عقيدتهم وحياتهم خلق في الامبراطورية جواً من التوتر ، إذ وجـد ثلاث فرق رئيسية لا يستهان بها :

١ ـ الفريـق غير الخلقيدوني ، وهو فريق لا يحمل سلطاناً ، لكنه يمثل قوة لاهوتية لم يكن ممكناً مقاومتها ، وكما يقول الأستاذ ميندورف لم يكن في الفريق الخلقيدوني من اللاهوتيين القادرين على مجادلتهم ... هذا وقد كسـب هذا الفريق شعبية قوية خاصة في مصر وسوريا ، واحتمل الشعب مع رعاته مرارة الاضطهاد ،

فخلق توتراً ضد بيزنطة واتجاهاً قومياً لتحرر البلاد على الأقل في اختيار البطاركة والأساقفة .

٢ ـ فريــق خلقيدوني ... يمثل السلطة ، يسنده البلاط والولاة .

٣ ـ فريــق ثالث ، وهو فريق يريد بالكنيسة العودة إلى ما قبل خلقيدونية ، فلا يطالب بقبول قرارات خلقيدونية ولا أيضاً بحرمانها وإنما بتجاهلها .

أمــام هذا الجو المتوتر كان الأباطرة حتى الخلقيدونيين منهم يميلون إلى وجود حلــول لأجل وحدة الامبراطورية والسلام الداخلي ، من بين هذه الجهود منشور زينون " هينوتيكون " ، والذي التزم به أيضاً أنسطاسيوس ... أما يوستنيان (جستنيان) الأول فظن أنه قادر على تهدئة أذهان المسيحيين وإعادة الوحدة للامبراطورة بادانته للثلاثة فصول Tria Kephalaia ، وهي كتابات المؤلفين شبه النساطرة ، والتي كانت ضمن مستندات مجمع خلقيدون [كتابات تيؤدور أسقف المصيصة ، وثيؤدورت أسقف قورش ، وهيبا أسقف الرها] .

وفي ســنة ٥٥٣ انعقد مجمع بالقسطنطينية يؤكد إدانة هذه الفصول الثلاثة ، كما يؤكد حرمان الامبراطور للأوريجانيين وكتابات أوريجانوس .

ولعــل فشل هذا المجمع يرجع إلى الآتــي :

١ ـ ربمــا شعر الفريقان ـ الخلقيدوني وغير الخلقيدوني ـ أن الامبراطور يحمل وجهين . يقول Vasiliev : [انتهج جوستنيان سياسة كنسية بوجهين ، فكان يتجه بوجه نحو الغرب يطلب إرشاد روما ، ويتطلع بالآخر نحو الشرق يبحث عن الحق بين الرهبان السوريين والمصريين][١] . ويرى الأب صموئيل الهندي[٢] إن هذا القول ربما يحمل مبالغة ، إنما كان يسعى لكي يسر رومــا ليجد عوناً في إعادة النصرة على الغرب لحساب الامبراطورية ، وفي نفس الوقت أراد توحيد الفرق في الكنيسة دون التخلي عن خلقيدونية .

٢ ـ حقــاً ان إدانة الفصول الثلاثة قد أعطت شيئاً من الراحة لغير الخلقيدونيين ، لأننا نجد نواب روما يعلنون أرثوذكسية رسالة هيبا الرهاوي إلى ماريس أسقف أردشير بفارس التي حرمها مجمع أفسس سنة ٤٤٩ م ... وها هو مجمع للخلقيدونيين يحرمها ككتابات نسطورية ... لكن غالبية غير الخلقيدونيين كانوا يطلبون نصاً صريحاً برفض قرارات المجمع الخقيدوني وطومس لاون . وفي نفس الوقت لم يسترح بعــض الخلقيدونيين للمجمع ، لأنــه وإن كان قد اعترف بمجمع خلقيدونية كمجمع مسكوني رابع ، لكنــه في نفس الوقت هاجمه بادانة هذه الفصول الثلاثة رغم إقراره بالمجمع السابق .

٣ ـ لــم يكن لمثل هذه المجمع أن يعطي راحة لشعب الاسكندرية بينما يقضي باباهم الشرعي غالبية مدة باباويته في سجن بالقسطنطينية ، حتى عندما مات بولس التينسي البطريرك الدخيل سيم آخر بالقسطنطينية بأمر الامبراطــور ، يدعــى أبوليناريوس . هذا دخل الاسكندرية في زي قائد حربي ، ثم أصدر أمره بأن يجتمع الناس في الكنيسة ، عندئذ خلع ثياب الجندية وارتدى ثياب الكهنة وإذ قرأ عليهم

المرسوم الامبراطوري علت الاحتجاجات ، فأصدر أمره للجنـد حتى استشهد كثيرون ، وأطلق الناس على هذا اليوم : " المذبحة " ... كان ذلك في الوقت الذي يفارق فيه الامبراطور الحياة .

يؤكـد بعض المؤرخين أن يوستينيان كان حسن النية ... لكن ما حدث للأقباط أثارهم ضد بيزنطـة .

---

1. Vasiliev: Hist. of Byzantine Empire, p.149.
2. V. C. Samuel: Council of Chalcedon Re-examined, page 130.
3. Dr. Zaher Riyad: The Church of Alexandria in Africa, Cairo 1962, page 56 (Arabic).

\+ + +

كنيســة الاسكنــدرية
بعــد عهــد يوســتنيان

بعــد يوستنيانوس الأول في ١٤ نوفمبر ٥٦٥ م ، توالي على الحكم يوستنيان الثاني (٥٦٥ ــ ٥٧٨ م) ، طيباريوس (٥٧٨ ــ ٥٨٢ م) ، موريس (٥٨٢ ــ ٦٠٢ م) ثم فوقاس (٦٠٢ ــ ٦١٠ م) . وقــد سار جميعهم على نهــج يوستنيان الأول يساندون البطريرك الدخيل الذي يمثل السلطــة البيزنطيــة لا الخدمــة الكنسية ... غير ان التوتر بين المصريين والدخلاء كان خفيفاً ــ إلى حد ما ــ في أيام يوستنيان الثاني وطيبارويس ، بالرغم من أن البابا الشرعي لم يكن يقدر على الدخول إلى الاسكندرية ... ولكن لم يكد الامبراطور موريس يعتلي عرش القسطنطينية حتى اشتدت وطأة التوتر مما دفع المصريين إلى التمرد على الامبراطور فقام ثلاثة منهم هم مينــا وأخواه ابيسخيرون ويعقوب بثورة انتصرت على القوات الرومانية ، وإن كان الامبراطور قد طلب من الأسقف الدخيل أولجيوس أن يفاوض الزعماء في الصلح ، وبخديعة أمكن القبض عليهم وقطع رؤوسهم .

هــذه الصورة تكشف حال الأقباط الكنسية والنفسية والقومية تحت ضغط بيزنطة ، بسبب التدخل في عقيدتهم وحرمانهم من باباواتهم الشرعيين .

أمــا الامبراطور فوقاس فكان أشد تعسفاً من غيره من الأباطرة ، فكان الأساقفة يضطرون إلى الهروب من المدن إلى البراري ، يمارسون عبادتهم ورعايتهم بالرسائل ... إلا أن في عهده سيم البابا انستاسيوس إبناً لأحد شرفاء الاسكندرية ، فلم يكن الوالي قادراً على طرده من الاسكندرية ، بل كان يجابه التهديدات بغير مبالاة . استطاع أن يرسم عدداً كبيراً من الكهنة وأن يسترد بعض الكنائس من الخلقيدونيين .

أرســل الأسقف الدخيل أولجيوس إلى الامبراطور فوقاس يقول له بان البابا قد عقــد مجمعاً حرم فيه قرارات مجمع خلقيدونية ومن يناصرها ... فطلب الامبراطور من الوالي الاستيلاء على كنيسة القديسين قزمان ودميــان وامهما واخوتهما وأن يشدد الضيق بالمصريين ... وبالفعل دخل الوالي مع اولوجيوس وكتيبة من الجند الكنيسة فثار الشعب وقتل منهم كثيرون ، واضطر البابا أن ينسحب إلى برية شيهيت يبكي بنت شعبه كأرميا النبى .

غــزو الفــرس

نــزح الفرس إلى مصر ، وكانوا هواة التخريب لذاته ، فحطموا الأديرة وشتتوا النساك ، ثم دخلوا الاسكندرية حيث نادى الملك برغبته في الالتقاء بكل رجال المدينة للتفاهم معهم ، وكانوا حوالي ٨٠ ٠٠٠ شخص . أبادهم بجيشه !

بقـــي المصريون تحت الاضطهاد الفارسي ... إذ كان الفرس وهم عباد الشمس يطلبون من المصريين والسوريين أن يقبلوا النسطورية كنوع من التعسف ، وإذ رفضـــوا سقطوا تحت وحشيتهم حتى جاء الامبراطور هرقل يطردهم من ديار مصر .

يـــد الله العاملـــة

إن كنـــا قد قدمنا صورة تبدو قاتمة ، عاشتها الكنيسة المصرية تحت نير بعض الأباطرة ، لكن يلزمنا تقديم أيضا الجوانب المشرقة :

١ ــ ازدهـــار الرهبنة ووجود آباء شيوخ قديسين في البرية كان عاملا ملطفاً بالنسبة لبعض الأباطرة من حين إلى آخر ، كما كان سنداً للباباوات الذين عاشوا أغلب فترة باباويتهم محرومين من دخول مدينة الاسكندرية ، أيضاً بالنسبة للأساقفة المطرودين من وسط شعبهم .

لا ننســـى ان اكتشاف الملك زينون لأمر ابنته إيلاريا التي هربت إلى مصـــر وتخفت في شكل راهب متوحد جعله ينفتح بقلبه وخزائنه على أديرة مصر ، خاصة دير أبي مقار ، فظهرت الحصون الضخمة والكنائس ذات الأعمدة الرخامية الجميلة .

٢ ــ ظهـــور بعض شخصيات روحية سامية ، وهبت نعمة عمل الآيات ، كسند للكنيسة ، مثل الأنبا بيسنتاؤس أسقف قفط والأنبا صموئيل المعترف .

٣ ــ ربمـــا بسبب الضيق الشديد اضطر كثير من الأقباط إلى الهجرة إلى النوبة ، استطاعوا أن ينشروا الايمان المسيحي . في سنة ٥٤٢ أرسل الامبراطور وفداً إلى المملكة المتاخمة لمصر لكن ملكها سيلكو رفض الوفد الامبراطوري معلناً اطمئنانه لخدمة الأقباط وسط شعبه .

٤ ــ في هـــذا الجو العاصف وجـــد الباباوات فرصة لا لكتابة رسائل روحية تعليمية عقيدية لشعبه وإنما أيضاً وضع بعضهم كتباً ومقالات عميقة .

في اختصـــار نقول بأن كنيسة مصر التي حملت الصليب والضيق حتى على أيدي إخواتها وجدت يد الله الخفية تسندها حسب وعـــده : " مبارك شعبي مصر " (إش ١٩) ، واهباً إياها تعزياته السماوية لتجتاز كل تعب بفرح داخلي حق .

مـن رجـال هـذا العصـر :

١ ـ القديـس بسنتاؤس الأسـقف[١]

ولـد القديس سنتاؤس (بسندة) بقرية شمير من أعمال أرمنت بصعيد مصر ، حوالي سنة ٥٦٨ م من أبوين تقيين ربياه بفكر أنجيلي . التهب قلبه بالحياة الرهبانية فانطلق إلى الأنبا إيليا الكبير رئيس دير أبي بفـام بجبل شامة الذي ألبسه ثياب الرهبنة في الحال بناء على كشف إلهي له قبل مجيء بسنده بست سنوات ، مدركاً انه يصير أسقفاً على قفط .

عـرف بحياته الجادة النسكية ، وحبـه للكتاب المقدس ، وصلواته المستمرة .

قيـل ان أخاً قد تطلع إليه من الكوة فرآه يقرأ في الأنبياء ، وكان متى قرأ سفراً يحضر النبي ، وفي نهاية السفر يأتي إلى النبي ويقبله ثم يرتفع إلى العلو ... هذا وقد رآه يصلي بخشية شديدة وكانت أصابعه تتقد كمصابيح مضيئة .

دفعة دخـل راهب قلاية هذا الأب بعد طرق الباب عدة مرات ، إذ ظنه مريضاً غير قادر على القيام ، لكنه وجده يتحدث مع آخر . قبل الراهب هذا الآخر قبل انصرافه ، ثم قال للقديس بسنتاؤس : " أسألك يا أبي أن تعرفني إسم هذا القديس ، فاني عندما أمسكت يده وقبلتها ووضعتها على وجهي أحسست بقوة عظيمة حلت في نفسي وجسدي ، وببهجة وفرح دخلا قلبي ، وصرت كالثمل من الخمر " . أجاب : " الرب نظر إلى ضعفي وتعبي ووحدتي ، إذ كان جسدي ضعيفاً جداً واشتد على المرض ، ولم أر أحداً من الناس منذ فارقتكم ، فأرسل إلى أحد أصفيائه القديس إيليا التثبيتي صاحب جبل الكرمل ، عزاني بكلامه الالهي ... " .

اشتهـر بكثرة العجائب التي صنعها الرب على يديه .

قبل الأسقفيـة في عهد البابا ديمانوس سنة ٥٩٨ م بعد إعلان إلهي ... عرف بسهره الروحي على شعبه وعدم القنية . كان بشوشاً ، عذباً في الحديث ، ومهوباً لا يستطيع أحد أن يتفرس في وجهه . إذ كلما صعد إلى المذبح يتلألأ وجهه كالنار وينظر الروح القدس حالاً على القرابين .

عـاصر الغزو الفارسي لمصر .

١ ـ مخطوط ٩٧/ ٤٧٠ تاريخ ١٨ مكتبة المتحف القبطي ، من القرن ١٤ ، نشرها الأستاذ نبيل سليم : للمؤلف : قاموس آباء الكنيسة وقديسيها ، ص ٨٣٩ الخ .

٢ ـ القديس يؤانس أسقف البرلـــس

عاصـــر القديس بيسنتاؤس ، التحق بالدير الذي يرأسه الأنبا دانيال قمص شيهيت ، ثم أختير أسقفاً على البرلس فكان محباً لكلمة الله ، وخادماً للفقراء والغرباء بنفسه . قيل عنه ان وجهه كان يشع أثناء ممارسة القداس الالهي . كتب الكثير من سير الآباء والشهداء والمعترفين لتقرأ على الشعب ، وكان ذلك بداية استخدام السنكسار (سير القديسين) في الكنيسة .

\+ + +

٣ ـ القـــديس دانيـــال قمص شيهيت

تبقـــى سيرة هذا القديس شهادة حية عن حيوية الرهبنة القبطية ومجدها في القرن السادس .

ولـــد سنة ٤٨٥ م ، ارتحل إلى برية شيهيت وهو صبي ؛ وقع تحت الأسر ثلاث مرات في رهبنته المبكرة ، ربما بسبب شغفه نحو الدخول إلى البرية الداخلية . في المرة الثالثة صرع أسيره بحجر فأرداه قتيلا وهرب ، لكنه ظل تحت عذاب الضمير طوال حياته . طلب من البابا تيموثاوس الثالث (٥١٨ ـ ٥٣٦ م) عقوبة ، وإذ حاول أن يقنعه بأن ذلك كان دفاعاً عن النفس إذ كان دانيال مـــر النفس جداً ، لكنه لم يقتنع فرحل إلى روما والقسطنطينية ثم أفسس وأورشليم وأنطاكية يسأل أساقفة هذه البلاد ، وأخيراً إذ لم يسترح سلم نفسه للقضاء بالاسكندرية لكن القاضي أخلى سبيله متمنياً لو قتل سبعة من هؤلاء البرابرة العنفاء .

اتســـمت حياته بكثرة التنقل داخل مصر وخارجها ، ويعلل إبفلين هوايت ذلك بسبب اضطهاد الخلقيدونيين والغيانيين (لهم ميـــول غنوسية تنكر حقيقة جسد المسيح وآلامه) للكنيسة المصرية (ثيؤذوسيين) .

تتلمـــذ على يديه قادة منهم من صاروا أساقفة أجلاء حملوا روح البذل الرعوي ، كما اهتم برعاية المتبتلات .

كان مرشـــداً للقديسة انسطاسيا ، إحدى الشماسات اللواتي هربن مع أنبا ساويرس الأنطاكي إلى مصر سنة ٥١٨ م ؛ كانت غنية جداً (بطريقة) أراد جوستنيان أن يتزوجها . عاشت متخفية في زي راهب ، تسكن في مغارة قريبة من الدير ، كراهب متوحد لمدة ٢٨ عاماً ، تحت إرشاد الأنبا دانيال .

إلتقـــى مع أولوجيوس حوالي ٥٢٥ م ، كان قاطع الأحجار محباً للغرباء ، فطلب القديس دانيال من الله أن يمنحه الكثير كي يضاعف أعمال محبته ، وإذ كان أولوجيوس يقطع الحجارة اكتشف كنزاً ثميناً ، فذهـــب إلى القسطنطينية حيث استخدم إمكانياته المالية ليصير وزيراً . حاول القديس الالتقاء به لكن الجند منعوه . صلى القديس لأجل خلاص نفس أولوجيوس ، وبالفعل حدثت مؤامرة ضد يوستنيان

سنة ٥٣٢ م اشترك فيها . وإذ أراد الامبراطور البطش به هرب من القسطنطينية إلى مصر ليعمل في قطع الحجارة ، جاء إليه الأنبا دانيال يعزيه ويسنده ويرده لمحبة الفقراء .

كشــف القديس دانيال عن القديسة أناسيمون الملكة التي تخفت في شخصية هبيلة لتعيش في إحدى أديرة البنات بمصر محتقرة ... كما كشف عن شخص قديس عظيم يسمى مرقس كان يتسول أمام دار البطريركية .

أراد لــص أن يسرق أموال دير للراهبات ، فتقمص شخصية أنبا دانيال ، ودخل الدير ليلا . سألته الراهبات أن يصلي من أجل راهبة عمياء ، وإذ لم يكن مسيحياً قال لهم أن يغسلن وجهها بالماء الذي غسلن به قدميه . وإذ انفتحت عيناها تأثر اللص جداً وخرج إلى القديس أنبا دانيال الذي استقبله ببشاشة وأعلمه أنه كان معه بالروح حين دخل دير الراهبات . آمن اللص بالمسيحية ووتتلمذ على يدي أنبا دانيال .

تعــرض القديس دانيال للضرب حتى كاد يفارق الحياة ، وذلك لأنه شجب طومس لاون وعقيــدة خلقيدونية أمام مندوب الملك يوستنيان ، وقد اضطر إلى الالتجاء إلى مدينة تامبوك (مركز شبراخيت) حيث أقام بجوارها ديراً مكث فيه حتى مات يوستنيان سنة ٥٦٥ .

ارتبــط القديس دانيال بقصة اندرونيكوس وزوجته أثناسيا ، اللذين كانا من أثرياء أنطاكية ، مات أولادهما جميعاً فجأة فدخلا في حزن شديد ، لكنهما عادا لحياة التسليم ، وقررا الرهبنة . جــاء الزوج إلى أنبا دانيال الذي نصحه أن يستودع زوجته في إحدى أديرة الراهبات ليعود إليه . تتلمذ على يدي أنبا دانيال لمدة ١٢ سنة ، وإذ أراد زيارة الأماكن المقدسة بأورشليم التقى براهب يود الذهاب إلى أورشليم ، فتحدثا معاً في الطريق . وتعاهدا أن يعيشا معاً عند عودتهما ، وبالفعل سكنا في الدير الثامن عشر بالاسكندرية (اوكتوكا يديكاثون) ، وبقيا هناك ١٢ عاماً وكان القديس أنبا دانيال يفتقدهما ، وأخيراً تنيح الراهب واكتشف اندرونيكوس ان الراهب هو زوجته أثناسيا ، فأقام في قلايتها وتنيح بعد قليل .

\+ + +

الفصـــل الخامـــس

الكنيســـة القبطيـــة
من القـــرن السابع حتى العشرين

من القرن السابع حتى العشرين

يصعـــب جداً تأريخ هذه الحقبة الطويلة الممتدة من القرن السابع حتى القرن العشرين في صفحات قليلة ، هذا وإنني لست أهدف إلى تقديم عرض تاريخي للكنيسة القبطية ، تاركاً هذا للمؤرخين ، إنما بالحري أود إعلان يـــد الله الفائقة والعجيبة مع كنيسته عبر القرون لبنيان ملكوته ، مع إبراز الجانب الوطني في حياة الكنيسة .

في هـــذه القرون الأربعة عشرة اجتازت الكنيسة أحداثاً جساماً ، وتعاملت مع حكام ينتمون لدول مختلفة ؛ ويمكن تقسيمها إلى المراحل التالية :

١ ـ القـــرون من السابع إلى العاشر : أي من دخول العرب مصر إلى بدء العصر الفاطمي .

٢ ـ العصـــر الفاطمي (٩٦٩ ـ ١١٧١ م) .

٣ ـ فتـــرة الحروب الصليبية .

٤ ـ الحملـــة الفرنسية .

٥ ـ العصـــر التركي .

٦ ـ القـــرن التاسع عشر .

٧ ـ القـــرن العشرون .

\+ + +

القــرون من السابع حتى العاشر

بدخــول العرب مصر رفع نير بيزنطة عن الأقباط من جهة الضرائب الباهظة ، وبالأكثر من جهة حقهم في اختيار راعيهم والسماح لــه بممارسة عمله الرعوي . استرجعت الكنيسة الكثير من الكنائس بل وقام الأقباط باصلاح ما تهدم منها ، وكان الود سائداً بين البابا بنيامين (٣٨) وعمرو بن العاص .

تولــى الولاية في مصــر ولاة كانوا يحملون روح السماحة مثل مسلمة في عهد البابا أغاثون(٣٩) ، الذي التجأ إلى سبعة أساقفة لمعالجة مشكلة سخا بحكمة ، حيث أشعل بعض الأهالي النيران في عدد من رجال الديوان ، وبالفعل نجحوا في استتباب الأمن ، ووهبهم الله نعمة لشفاء من أصيب ، كما قاموا بتأديب المعتدين .

لكــن هناك عنصر هام يذكره الدكتور عزيز سوريال[١] ألا وهو أن خوف الحلفاء من استقلال الولاة بمصر جعلهم لا يسمحون لهم بالبقاء كثيراً في هذا المنصب . بحسب القوائم التي أعدها[٢] Stanley Lane-Poole حكم مصر ١٠٨ والياً في مدة ٢٢٦ عاماً ، أي حتى بدء عهد الطولونيين (٨٦٩ ــ ٩٠٥) أول حكام مسلمين في مصــر استقلوا بها ، تبعهم الأخشيديون (٩٣٥ ــ ٩٦٩ م) . فكان معدل فترة الولاية حوالي عامين . في هذه الفترة الوجيزة لا يبالي الوالي بالصالح العام ولا بنمو موارد البلاد على مدى بعيد ، إنما يهتم كيف يقدم أكبر جزية للخليفة عدا ما يجمعه لنفسه . نذكر على سبيل المثال أن عبد الله بن سعد أول والي بعد عمرو جمع مليونين ديناراً زيادة عما كان يجمعه عمرو . وكان من نتيجة ذلك أن ضعفت إمكانية البلاد وقلت قدرة المصريين على الدفع ، فاضطر الولاة إلى طلب جزية من رجال الدين كهنة ورهباناً ، كما صاروا يحسبون الجزية على السنة الهجرية القمرية عوض السنة القبطية الشمسية .

حدثــت خمس ثورات ما بين سنة ٧٣٩ ، ٧٧٣ م بسبب الضغط الشديد لجمع الجزية والخراج ، وقد اشترك بعض المسلمين في هذه الثورات مع الأقباط ، ولعل أخطر ثورة هي التي قامت عام ٨٣١ في عهد الخليفة المأمون ، واضطر إلى الحضور إلى مصــر بعد أن عاد السلام للبلاد ليلاطف أهلها . تجدد الضغط المالي حتى سنة ٨٦٩ حيث قام أحمد بن المدبر ــ آخر حكام العباسيين ــ يحصي رجال الدين ويفرض مبلغاً من المال على البابا .

يمكننــا تقديم صورة عن جشع بعض الحكام والولاة في جمع المال ، من قصتين :

١ ــ في السنة الأولى من باباوية الأنبا ميخائيل الأول فرض أسامة بن يزيد متولي الخراج ضرائب باهظة على جميع المصريين وضاعفها على الأقباط ، حتى اضطر بعضهم تحت العوز الشديد والضيق إنكار إيمانهم[٣] . ويظهر مدى مغالاته في ابتزاز الأموال أنه فرض ضريبة قدرها عشر دنانير على من ينتقل من بلد إلى آخر بالنيل . وفي إحدى المرات إذ ركبت أرملة سفينة مع ابنها خطف التمساح ابنها أمام جميع الركاب ، الذين لم يستطيعوا إنقاذه ... عند وصولها طالبها أعوان أسامة بالضريبة

وهي تنحب إبنها ، فأخبرتهم بأن التذكرة كانت في جيب ابنها ، وشهد ركاب السفينة بما رأوه ، أما هم فأصروا أن تبيع شيئاً مما لديها لتدفع الضريبة من جديد(٤) .

٢ ــ إذ قبض مروان على الحكم بالفتك والارهاب طالب الوالي أن يضاعف الضرائب على الأقباط ليحطم عزيمتهم ولا يكون لهم فرصة للثورة عليه . طالب الوالي البابا ميخائيل الأول بمبلغ كبير لم يستطع دفعه ، فألقاه في السجن ووضع طَوقاً من حديد في رقبته ، وربط قدميه في كتلتين ثقيلتين من الخشب ، كما سجن معه الأنبا مويسيس أسقف أوسيم والأنبا ثيؤدورس أسقف بابلون وايلياس تلميذ الأنبا مويسيس ... وكان السجن عبارة عن مغارة منحوتة في صخرة ليس بها فتحة للهواء أو النور . وألقى معهم عدداً كبيراً من الناس ، كان البابا يعزيهم بكلمات عذبة ... وبعد شهر سمح الوالي للبابا أن يخرج بشرط أن يطوف البلاد يجمع مالا يدفعه له ... وإذ عاد من الصعيد حدث زلزال عنيف في الفسطاط ، فلان قلب الوالي أمام ثورة الطبيعة وقبل المبلغ الذي جمعه البابا دون تبرم(٥) . لقد سمع قرياقوش ملك النوبة بسجن البابا ، فقام بجيشه وغلب الصعيد حتى تقدم إلى الفسطاط ، لكن البابا توسط لديه وطلب منه العودة إلى بلاده باطمئنان ، وكان لهذه الوساطة أكبر الأثر في نفس عبد الملك بن مروان الذي أحب البابا وعطف على الأقباط ، وصارت صلته طيبة بالأساقفة .

هــذا ووجود الخليفة غير المصري خارج البلاد أعطى فرصاً للبعض أن يطمعوا ويشوا بالأقباط ، نذكر على سبيل المثال ، بعد نياحة الأنبا بنيامين أختير الكاهن أغاثون بطريركاً ، هذا كان قد اعتاد أن يتخفى في زي نجار أثناء اختفاء البابا من البيزنطيين حتى يستطيع أن يرعى الأرثوذكس ويقدم لهم الأسرار المقدسة خفية . في عهده تواطأ ثيؤدوسيوس الخلقيدوني مع يزيد بن معاوية والي دمشــق على أن يوليه رئاسة كنيسة الاسكندرية ، فجاء يفرض جزية عامة على كل الشعب الأرثوذكسي ، كما فرض جزية سنوية على البابا أغاثون وعلى تلاميذه الأخصاء ، وأعلن أن من يعثر على البابا له الحرية أن يرجمه بالحجارة حتى الموت .

نقــدم أيضاً مثلاً آخر ، قام بعض الخلقيدونيين باثارة الوالي عبد العزيز بن مروان ضد البابا يؤانس الثالث إذ قالوا له أنه لم يخرج للقائه لأنه يشعر بأنه سليل الفراعنة والحاكم الشرعي للبلاد كما قيل له ان البابا يملك غنى كثيراً . وإذ استدعى البابا أمر باعتقاله وطالبه بمئة ألف دينار في يوم الثلاثاء البسخة ، لكنه لم يعبر يومان حتى صارا في ود شديد وأكرمه الوالي . زادت العلاقات الطيبة ، حتى إذ شعر الوالي بالحاجة إلى الاستجمام بحلوان أثر الاقامة في دير أبي سيفين بطموه ، وقدم للرهبان ٢٠ ألف دينار في هذه الزيارة ... وقد وهبه الله الشفاء سريعاً ، فاهتم باقامة حدائق بحلوان وأنشأ عدة جوامع كما منح البابا حق بناء كنيسة . وحين سمع أن البابا مريض ، وانه يود الزيارة للاسكندرية طلب من رجاله إعداد سفينة خاصة .

مثــل ثالث ، في عهد البابا سيمون الأول ، جاء إلى مصــر وفد من الهند يطلب من البابا سيامة أسقف للبلاد الهندية إذ لم يستطيعوا الوصول إلى أنطاكية . طلب البابا من الوفد أن يتصلوا بأمير البلاد يستأذنون منه ، لكنهم إذ تركوه التقى بهم

جماعة من الخلقيدونيين فاقنعوهم بالالتجاء إلى البطريريك الدخيل ، وإذ سمعوا لهم رسم لهم البطريرك أسقفاً وكاهنين . عند مغادرتهم للبلاد ألقى القبض عليهم بواسطة حراس الحدود وأرسلوا مقيدين إلى الخليفة مروان الذي عاد فأرسلهم إلى ابنه عبد العزيز بمصـــر موبخاً إياه على عدم يقظته . ألقي القبض على البابا بتهمة الاعتداء على سلطان الوالي ، ولم يقبل عبد العزيز أن يسمع من البابا شيئاً ... طلب البابا مهلة ثلاثة أيام ، وبالفعل في اليوم الثالث جاءه أحد أفراد الوفد الهندي ، استطاع أن يهرب من السجن ... فطمأنه البابا وأخذه إلى الوالي حيث روى له ما حدث ، فتأسف الوالي على ما بدر منه نحو البابا سيمون .

الأقباط والولاة المستقلين " الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية " :

اســتقل الطولونيون والاخشيديون بحكومة مصر مع انهم ظلوا إسماً تحت سلطان الخلافة العباسية ، ويرى " بيكر " ان تاريخ مصر الاسلامية يبــدأ بالطولونيين ، إذ استقل أحمد بن طولون عن السلطة المكزية ، وقد حرص على نفع البلاد لا استغلالها ، فحولها من ولاية بسيطة تابعة إلى مركز لامبراطورية عظيمة ، وقد تحسنت أحوال البلاد[٦] . أراد الطولونيون كسب الشعب القبطي فأحسن معاملتهم ، غير أن البابا سجن في هذا العهد . يعلل البعض هذا إلى أن ابن طولون كان ينتهز كل فرصة لتوقيع غرامات على البابا حتى يجعل الكنيسة في حال فقر ولا يقوم البابا بدور قيادي شعبي ... لهذا كان يعامل الشعب باللطف والبابا بشدة أحياناً .

علــى أي الأحوال ينظر إلى عهد الطولونيين ــ مع قصر أمده ــ انه يتسم بالسماحة مع الأقباط ، أما الاخشيديون فلم يكونوا هكذا مثل الطولونيين ، فان محمد بن طغج الاخشيدي عجز عن دفع مرتبات الجنود التجأ إلى اضطهاد الأقباط وابتزاز الكثير من أموالهم .

---

1. Hist. of Eastern Christianity, P. 85.
2. Egypt in the Middle Ages, p. 45-58 (London 1936).

٣ ــ الآنبا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين : تاريخ بطاركة الاسكندرية ، ص ٣ ، ص ١٣٤ــ ١٣٦ (طبعة ايفيتس) .

٤ ــ ايريس حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية ، ك ٢ ، بند ٤٥٦ ــ ٤٦٢ .

٥ ــ المرجع السابق ، بند ٤٦١ ، ٤٦٢ ، Stanley lane- Poole; Egypt in the Middle Ages, p. 27 .

6. Encyel. de l'Islam, Egypte .

\+ + +

شخصيات قبطية في القرون الأربعــة (٧ ـ ١٠)

١ ـ البابا بنيامــين الأول

جلــس البابا بنيامين على الكرسي المرقسي في الفترة من ٦٢٣ م حتى ٦٦٢ م ، وقد عاصر ثلاث حقبات مختلفة :

أولا : الاحتلال الفارسي (٦٢٣ ـ ٦٢٨) حيث احتل الفرس مصــر بسبب ما بلغت من فوضى وما عانته من استبداد بيزنطي وحرمان المصريين من ممارستهم حقوقهم الوطنية والانسانية وأيضا الدينية . فان كان البطاركة في أثناء الاحتلال قد استراحوا من إقامة بطاركة دخلاء من قبل بيزنطة يضطهدون الكنيسة المصرية ، غير أن الفرس خربوا البلاد ونهبوها وحطموا الكنائس والأديرة .

ثانيــاً : عودة الحكم البيزنطي من جديد (٦٢٨ ـ ٦٤٠ تقريباً) ؛ كانت فترة مريرة حيث كان كل هم الامبراطور هرقــل مقاومة الكنيسة وتحطيمها ، واضطر البابا بنيامين إلى الهروب ليظل مختفياً عشر سنوات تحت هذا الحكم وثلاث في الحقبة التالية .

ثالثــاً : دخول العرب مصر حوالي عام ٦٤٠ م حيث سلمها المقوقس ، وهو غالباً اسم مستعار للوالي البيزنطي . وقد وجد البابا معاملة طيبة من عمرو بن العاص ، وعاد إلى كرسيه بعد ثلاث سنوات يمارس عمله الرعوي .

مقاومــة قــورش للكنيســة

اغتصــب الفرس مصر من هرقل ، لكن الأخير استعادها ثانية ليعود فيصدر أمره بعد ثلاث سنوات بنقل قورش أسقف فاسيس بآسيا الصغرى إلى الاسكندرية يحمل السلطتين الكنسية والمدنية . باعلان إلهي هرب البابا بنيامين الــ (٣٨) مع أساقفته إلى برية شيهيت ، حيث تمررت نفسه فيه حين رأى ما حل بالبرية من خراب على أيدي الفرس وهو عاجز عن العمل بسبب الاستبداد البيزنطي . من هناك انطلق إلى الصعيد حيث عاش في أحد الأديرة الصغيرة المنتشرة بمنطقة طيبة .

إذ جــاء قورش إلى الاسكندرية لم يجد البابا فألقى القبض على أخيه مينا ، وكان الجند يحرقون جنبيه بنار ليرشدهم عن موضعه ، وإذ احتمل ذلك بصمت اغتاظ البطريرك الدخيل فأمر بوضعه في " زكيبة" بها رمل ، وألقوه في البحر ، فكان أول شهيد على يدي هذا البطريرك الدخيل .

دخــول العــرب مصــر

وســط هذا الجو المتوتر ، حيث كان قورش لا عمل له سوى متابعة الأساقفة والكهنة والرهبان حتى في البراري بحملة عسكرية يعذب ويقتل ، كان العرب

يزحفون ، فهزموا الفرس ثم انطلقوا إلى سوريا وفلسطين بينما كان هرقل في القسطنطينية ساكناً .

وصـــل الزحف العربي إلى مصـــر تحت قيادة عمرو بن العاص عند الفرما على البحر الأحمر ، ودام القتال شهراً بعدها فتحوا المدينة لينطلقوا نحو الجنوب ، حيث غلبوا بلبيس بعد شهر آخر ، وعندئذ انطلقوا إلى بابليون بمصر القديمة حيث الحصن الذي بناه تراجان في القرن الثاني . وقد حاصروا المدينة حوالي سبعة شهور بعدها فاوض المقوقس العرب على تسليمه البلاد : ثم انطلق العرب نحو الاسكندرية وكان في كل معركة يحارب كل مدينة على انفراد ، إذ فقدت البلاد وحدتها وحرم الولاه المعينون من قبل الامبراطور من كل خبرة عسكرية ، لا هم لهم سوي جمع الضرائب ومقاومة الكنيسة ، لم يفكر أحدهم في مساندة أخيه ، إذ تغشى فيهم روح عدم المبالاة .

كان يمكـــن للاسكندرية أن تقاوم خاصة وانها مدينة ساحلية يمكن أن تأتيها المؤنة من البحر لكن التحزبات مزقتها ، واستسلمت بعد شهور ، بهذا انتقل الحكم من يد البيزنطيين إلى العرب .

يـــرى جان ماسبيرو[١] ان ســـر نصرة العرب على الجيش البيزنطي ترجع إلى :

١ ــ أن الامبراطـــور يوستينيانوس كان قد ألغى نظام القيادة الموحدة في مصر ، خشية أن يقوم قائد الجيش بحركة استقلال ، فحطم الوحدة الادارية التي حافظ عليها الرومان فعلا ، فكانت مصر يحكمها خمسة دوقات يعينهم الامبراطور رأساً ، لهم سلطات مدنية وعسكرية مستقلة ، لهذا لم يفكر أحدهم في مساندة الآخر .

٢ ــ كان الجيش مرهقاً بأعمال بوليسية ومساعدة محصلي الضرائب والتدخل لصالح الامبراطور في الخلافات الكنسية ... فلم يكن في مصر جيش للقتال ، ولا قائد عسكري ، أما الجند فغالبيتهم من سكان مصر (البسطاء) الذين لم يمارسوا أعمالا حربية ، وبلا قيادة حقيقة .

٣ ــ انحطاط الروح المعنوية للبيزنطيين بعد سماعهم عن انتصارات العرب على الفرس .

٤ ــ هـــذا ويرى المستشرق الفرد بتلر[٢] بأنه لم يكن ويجد قبطي واحد (ربما قصد بمفهوم الجانب العسكري) في ساحة القتال ، وأنه من الخطأ أن يدعى أن الأقباط كان في استطاعتهم في ذلك الوقت أن يجتمعوا أو يفاوضوا العرب . حقاً لقد كان الأقباط يعانون من المستعمر البيزنطي ، لكنهم لم يفكروا قط في التحرر منه بالتفاوض مع العرب كما ظن البعض .

أمـــا بالنسبة للمقوقس الذي تفاوض مع العرب ، فلم يزل أمره غامضاً ، وان كان كثير من الدارسين يرون أنه البطريرك الدخيل ، إذ جاء في أحد الوثائق القبطية النادرة التي كشف عنها وأشار عليها اميلينو : [... أما القوقيوس ، هذا الأسقف المزعوم ، فقد ترك الحقد يوعز في صدره إلى أن وصل إلى مدينة الفيوم ... ولما أدرك الأب صموئيل أنه سيفارق الحياة ، قال له (للقوقيوس) : " أنت أيضاً أيها الكلسيدوني (خلقيدوني) المخادع ...][٣] . عالج بتلر مشكلة اسم " المقوقس "

موضحاً أنه ليس قبطياً ، وإن اسمه مشتق من موطنه ، إذ كان من بلاد الكوكليس[٤] (Cyrus the Colchian) .

عــودة البابا بنيامــين[٥]

استقــر عمرو بن العاص في ضاحية الفسطاط ، وإذ استتب الأمر دار النقاش بينه وبين الأقباط حول عودة البابا وأساقفته ، وكان سانوثيوس رجل مؤمن يتحدث مع عمرو في الأمر ، فطلب من الأخير أن يبعث رسالة إلى البابا ليعود إلى كرسيه مطمئناً ... وقد حمل الرجل الرسالة إلى الصعيد ليقدمها للبابا .

لم يطلــب عمرو من المصريين سوى الجزية بعد إلغاء الضرائب البيزنطية الفادحة ـ وكان معتدلا في المبلغ الذي يطلبه ـ وقد اختلف في هذا مع عمر بن الخطاب . هذا وقد ترك للمصريين حرية العبادة وحرية التصرف في الأمور القضائية والادارية ، بل وعين بعضاً من الأقباط مديرين في جهات كثيرة ... غير أن أعفاهم من الجندية ، فحرمهم من شرف الدفاع عن وطنهم عند الحاجة .

التقــى البابا بعمرو في ود ، فأظهر الأخير تقديره واعتزازه بالأول .

معركــة مع البيزنطيين

تقــول الأستاذة / ايريــس حبيب المصري[٦] ان الخليفة عمر بن الخطاب ضاق ذرعاً بعمرو لأنه كان ينتظر منه أن يبعث إليه بمبالغ من المال أوفر بكثير مما وصله ، وفي غضبه عليها عين عبد الله بن سعيد والياً على الصعيد وحصر سلطة عمرو في الدلتا ، لكن عمرو لم يقبل ذلك فاستقال من ولاية مصر .

قبــل مغادرته للبلاد أرسلت بيزنطة أسطولا بحرياً لاسترداد مصر ، فحدثت معركة حامية سقط فيها عدد وفير من الطرفين ، وكان النصر لعمرو الذي أقسم أن يهدم أسوار الاسكندرية ، ثم أصدر أمره بحرق المدينة .

أما بالنسبــة لحرق مكتبة الاسكندرية ، فجاء في كتابات الرحالة الدكتور عبد اللطيف البغدادي وهو من فارس (مات سنة ١٢٣١ م) ، وأيضاً الأسقف السرياني

---

1. Jean Maspero: L'organisation militaire de l'Egypt Byzantique, Paris 1912.

2. A. Y. Butler: The Arab conquest of Egypt and the thirty years of the Roman dominion, Oxford 1902, p 252.

3. Fragments Coptes pour servir a l'histoire de la conquete de l'Egypt par les Arabes, Journal Asiastique, Nov. - Dec., 1888.

4. A. J. Butler: Appendix C, p.508-26.

٥ ـ للمؤلف : قاموس آباء الكنيسة وقديسيها ، ١٩٨٦ ، ص ٩١٥ .

٦ ـ قصة الكنيسة القبطية ، ك ٢ ، بند ٢٨٩ .

7. Historia AEgypti Compendiosa, ed. J. White, Oxford 1800, p.114; Hist. Dynastiarum, ed. E. Pococke, Oxford1663, p.180 Arabic; Dr. A. Atyia p.81.

\+ + +

بارعبريوس Hebraeus أنه عمرو استخدمها في نيران الحمامات العامة كأمر الخليفة عمر بن الخطاب ، الذي قال بانه إن كان ما بها قد جاء في القرآن فلا حاجة إليها وإن كان مخالفاً فلتحرق . غير أن هذا الرأي يثير نفوراً في الأوساط الاسلامية(٧) ، ويرون أنه لم يحـــدث .

+ + +

٢ ـ الأنبـــا صموئيل المعتـــرف

ولـــد حوالي سنة ٥٩٧ م في مدينة داكلوبه koklibe ؛ إذ تأكد والداه من إصراره على الرهبنة أنفقا غالبية أموالهما في بناء كنيسة فخمة ، وسيم صموئيل شماساً ليخدم مع والده الكاهن . وإذ تنيح والداه انطلق باعلان إلهي إلى برية شيهيت حيث رافقه ملاك في شكل راهب . تتلمذ على يدي أنبا أغاثون ، وإذ وهبه الله موهبة الشفاء وعمل المعجزات جاءت إليه جماهير كثيرة ، كما تتلمذ على يديه الكثير من الشباب .

إذ فـــرض هرقل قورش أسقفاً على الاسكندرية ووالياً على مصـــر طارد البابا بنيامين ، وأرسل قائده مكسيميان مع مائتي جندي إلى وادي النطرون ، حيث احتلوا كنيسة القديس مقاريوس ، فطلب أن يجتمع الرهبان ، وكان القديس يؤانس قمص البرية قد خرج ليخفي أواني المذبح من البربر ، لكنهم ألقوا القبض عليه وأسروه . قرأ مكسيميان خطاب لاكتيسيس أو كوشيانوس (خطاب قورش الذي من فاسيس في كولكيس Cyrus the Colchian.) ، الذي يحمل عقيدة خلقيدونية ، وأيضاً طومس لاون ؛ وإذ لم يجد القائد استجابة صار يهدد ، فصرخ القديس صموئيل : " نحن لا نوافق على هذا الطومس ، ولا نقبل مجمع خلقيدونية ، ولا نعترف برئيس أساقفة آخر سوى أبينا أنبا بنيامين " . ثم طلب من القائد أن يطلعه على الطومس ، فلما أمسكه نادى بحرمان الطومس والمجمع وبابا لاون وكل من يقبل عقيدتهم ، ثم مزق الطومس . صدر الأمر بجلده حتى سملـــت أحدى عينيه ، وصار بين حى وميت ؛ وإذ تركه الجند حمله الرهبان إلى مغارة قريبة ، وإذ ظنوه تنيح صاروا يصلون عليه . شفـــي القديس ، فأخذ أربعة رهبان وذهب إلى جبل القلمون في منطقة الفيوم . هناك جاءت إليه الجماهير تحمل المرضى ليصلي عليهم ، وتتلمذ على يديه كثيرون .

زار المقوقـــس الفيوم ، ومن هناك ذهب إلى الدير فهرب القديس مع رهبانه . عاد المقوقس إلى الفيوم ليبعث بجنده بعد يومين إلى الدير ، ويلقوا القبض على القديس . في الفيوم أعلن القديس ثباته على الايمان أمام المقوقس ، فلطمه المقوقس وأمر جنده بجلده حتى الموت ، غير أن بعض الأشراف تدخلوا لانقاذه .

ذهـــب إلى وادي الريان ؛ وهناك أغار البربر على المنطقة وأسروه إلى بلادهم حيث التقى في الأسر بالقديس يؤنس رئيس أديرة شيهيت . احتمل الكثير من الآلام من رئيس القبائل زركاندس عابد الشمس . إذ صنع الرب آيات وعجائب كثيرة على يديه

أحبه الكثيرون ، أما زركاندس فكان عنيفاً معه حتى سألته زوجته بالحاح أن يسمح له بالحضور إلى البيت ليصلي من أجلها فيهبها الله الشفاء ويعطيها نسلا إذ كانت عاقراً . تحقق ذلك فأحبه زركاندس جداً ، ورده إلى بلاده بكرامة عظيمة .

+ + +

٣ ـ الأنبـا يوحنـا النقيوسـي

مـؤرخ قبطي مشهور ، وضع تاريخاً للعالم يبدأ بالخليقة حتى عصره في ١٢٢ فصلا ، معطياً اهتماماً خاصاً بمصر والمصريين ، فأوضح انهم أول من صاغوا الذهب ، وبحثوا عن المناجم ، وصنعوا أدوات الحـرب ، كما تحدث عن بناء الأهرامات ، أما حديثه عن دخول العرب مصر فكان موجزا لكنه من المراجع الموثوق بها ... للأسف الأصل القبطي مفقود ، وقد قام المستشرق زدتنبرج بترجمة النسخة الاثيوبية (مترجمة عن نسخة عربية مفقودة) إلى الفرنسية ، ونشره في باريس عام ١٨٨٣ .

عـاش في أواخر القرن السابع ، عمل سكرتيرا لأربعة باباوات ، من البابا أغاثون حتى البابا ايسـاك ، أخيرا سيم أسقفاً على نقيوس ، حالياً قرية زاوية رزين بمنوف . كما عين مديرا لأديرة وادي هبيب حوالي عام ٦٩٤ .

قبـل إنه أمر بضرب راهب سقط في زنا في البرية . فمات الراهب : أوقف الأنبا يوحنا من عمله الكهنوتي ...

+ + +

٤ ـ أنبـا يؤنـس قمص شيهيت

ولـد حوالي سنة ٥٨٥ م ، ترهب في برية شيهيت حوالي سنة ٦٠٣ م وكان الجندي المجهول الذي بذل كل الجهد لبنيان الحياة الروحية الرهبانية لمدة أكثر من ٧٠ عاما ، حيث تنيح سنة ٦٧٥ م . لا نعرف عن سيرته الكثير سوى أنه وقع في أسر البربر ثلاث مرات ، محتملا المذلة والآلام . التقى به القديس أنبا صموئيل المعترف في الأسر .

عـاد من الأسر في بداية دخول العرب مصر حيث أقيم قمصاً على شيهيت قيل عنه أنه لم يشترك في إقامة الأسرار المقدسة قط إلا ورأى الرب المخلص في الرؤيا مع السيدة العذراء .

يـرى ايغلين هوايت أن أولاد هذا القديس فريقان فريق قام بالحفاظ على التدبير التقليدي للحياة التوحدية في شيهيت ، والآخر اتجـه إلى التجديد في الرهبنة .

+ + +

٥ ـ القديســان أبرآم وجاورجــي

ولــد أبرآم سنة ٦٠٨ ، وكان والده محبا للفقراء ، أما والدته الأرملة فسبيت بواسطة الفرس سنة ٦١٦ م حتى تمكن هرقل من هزيمة الفرس سنة ٦٢٧ م فعادت إلى إبنها في الاسكندرية . فاتح أمه في أمر رهبنته فوجدها سندا له : فذهب إلى الأنبا يؤانس قمص شيهيت . وهبه الله انفتاح البصيرة الداخلية والتمتع برؤى سماوية وموهبة صنع المعجزات .

إذ كان يتجــول في جبل القديس أوريون التقى بالقديس جاورجي حيث اتفقا أن يعيشا معا في الاسقيط يسندان بعضهما البعض .

عند نياحته ظهر القديسان مقاريوس الكبير ويؤنس وجماعة من الملائكــة يستقبلون نفسه الطاهرة : وبعد حوالي خمسة أشهر تنيح صديقة القديس جاورجي .

\+ + +

٦ ـ البابا ســيمون الأول

تعلــق السريان بمصر بعد نياحة القديس ساويرس الأنطاكي بها : وفي القرن السابع جاء سيمون الصبي السرياني مع والديه إلى الاسكندرية حيث سيم شماسا ، وسلمه والداه للبابا أغاثون . وإذ رأى ميوله الرهبانية أرسله إلى دير الزجاج يتتلمذ على يدي رئيس الدير يؤانس . وإذ اختير الأخير للباباوية وذهب الراهب سيمون مع الوفد إلى الأمير عبد العزيز بن مروان ليبلغوه بالاختيار . فجأة قال أسقف تأمام الأمير : " إن الراهب اللائق بهذه الكرامة هو سيمون ... " وإذ تفرس الأمير في سيمون كأنه يستطلعه رأيه ، قال " إن يؤنس هو أبي الروحي . وهو أولى بهذه الرعاية العليا . وإني أقر إنه كالملائكة طهرا . وقد علمني كل ما أعرفه من العلوم الروحية " . تأثر الكل باجابته وأصروا على اختياره . أما هو فسلم إدارة الكنيسة في يدي معلمه يؤنس حتى تنيح . مكرما أياه كتلميذ لمعلمه .

ولم يكــن البابا سيمون هو السرياني الوحيد الذي اختاره الاقباط بابا لهم .

\+ + +

٧ ـ يؤنــس الكاتــب

بعــد عبد العزيز بن مروان تولى مجموعة من الولاة على مصر كانوا يمثلون القسوة والعنف ضد المصريين بوجه عام والاقباط على وجه الخصوص . وهم عبد الله وقرة وأسامة وعبيد الله الخ ... وفي نفس الوقت استخدم الله آراخنة أقباط مملوئين

حكمة ونعمة لسلام الكنيسة ، من بينهم جاورجيوس الدغراوي الذي دخل بجرأة لدى الوالي عبد الله وسأله : " أيهدف مولاي إلى اعتقال البابا أم الحصول على المال ؟ " ، ثم طلب منه أن يمهل البابا الكسندروس الثاني شهرين بضمانه ليطوف البلاد معه ويجمع المال المطلوب .

بنفس الروح سلك الكاتب يؤنس مع الوالي قره الذي طلب منه أن يسمح له بجمع الجزية حسب إمكانية كل إنسان ... وقام بهذا الدور حتى لا يثقل كاهل الفقراء .

+ + +

٨ ـ سعيد بن كاتب الغرغاني

ظهر هذا المهندس الرائع في عهد أحمد بن طولون التركي الأصل والذي تربى في بلاط الخليفة في بغداد . أراد الاستقلال بالبلاد ، فاهتم بتعيين المصريين في جمع الضرائب عوض الدخلاء ، وأتاح للأقباط فرصة ممارسة شعائرهم الدينية وبناء الكنائس والأديرة ، ومباشرة أعمالهم التجارية والزراعية ... وكان الوالي ميالا لحياة البذخ ... غير أنه كان متسرعا في استخدام السيف فقتل في يوم واحد ١٨ ٠٠٠ نسمة . لم يضع ضرائب جديدة على الأقباط لكنه طالب البابا ميخائيل الثالث بـ ٢٠ر٠٠٠ ديناراً ، وإذ لم يكن معه المال ألقاه في السجن ... واضطر البابا إلى بيع قطعة أرض للبطريركية .

بنى سعيد مقياس النيل بالروضة في أيام الخليفة العباسي المتوكل . ولما تولى أحمد بن طولون الولاية طلب منه إنشاء قناطر توصل مياه إلى مدينة " القطايع " التي اختطها لنفسه ولحاشيته . وقد أعجب ابن طولون بهذا العمل ، لكنه ألقى بمهندسه في السجن ونسيه تماما . بعد فترة أراد ابن طولون أن ينشىء جامعا فريدا يزينه بثلاثمائة عمود ، وهذا يستوجب هدم عدد كبير من الكنائس لجلب الأعمدة . إذ سمع المهندس أرسل إلى ابن طولون يخبره أنه يستطيع عمل جامع فريد يقوم على عمودين مع إبدال الأعمدة الأخرى بدعائم من الآجر لانها تقاوم الحريق . فاستدعى ابن طولون المهندس من السجن ووضع تحت تصرفه مئة ألف دينار . لايزال هذا المسجد " مسجد ابن طولون " يعتبر قطعة فنية رائعة . أعجب به ابن طولون فوزع الكثير من الهدايا والصدقات يوم افتتاحه ونال ابن كاتب الغرغاني ١٠ر٠٠٠ دينار . لكنه عاد يسأله انكار مسيحه . وإذ رفض كان نصيبه السيف .

يروي لنا المسعودي ، وهو مؤرخ عربي ولد ببغداد ومات سنة ٩٥٦ ان ابن طولون سمع عن فيلسوف قبطي من أعالي الصعيد بلغ من العمر ١٣٠ عاما ، برع في الفلك والجغرافيا . استدعاه إلى مدينة " القطايع " وأكرمه . ثم سأله عن سر بلوغه هذا العمر ، فأجاب " دربت نفسي يا مولاي على الاعتدال في الملبس والمأكل والمشرب ، وأغلب الظن أن هذا هو السر " . سأله عن منابع النيل ، فأجاب انها

حسب ظنه مستقرة على قمم الجبال الشامخة حيث توجد بحيرة واسعة وحيث يستوي الليل والنهار على مدار السنة ، أعجب به ابن طولون فوهبه عطايا جزيلة وصرفه باكرام . وكانت اجابته عن ينابيع النيل دقيقة عرفها الباحثون الأوروبيون بعد ذلك بتسعة قرون[1] .

---

١ ـ إيريس حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية ، ح ١ ، بند ٥٨٦ .

+ + +

نترك الحديث عن القديس ساويرس بن المقفع من رجال القرن العاشر وبدء القرن الحادي عشر إلى المقال التالي : " العصر الفاطمـــي " .

+ + +

العصـــر الفاطمـــي

سماحـــة الفاطمـــيين

يعتبـــر العصر الفاطمي من أفضل العصور الاسلامية بالنسبة للأقباط ، تمتعوا فيه بالكثير من الحرية في ممارسة العبادة . كما كان لهم نشاط فني كبير . لاتزال آثارهم الرائعة تملأ المتحف القبطي هذا وقد سمح لهم بتولي مناصب كبيرة في الدولة ، ووجد من بينهم كتاب ونساخ وأطباء مشهورين

انتصـــر المعز لدين الله الفاطمي في غزوه على مصر سنة ٩٧٢ . فاقام الدولة الفاطمية ، وإذ خشى من غزو السوريين على مصر ترك تونس وجعل من القاهرة عاصمة لدولته الممتدة من مراكش إلى سوريا ، فانتعشت مصر اقتصاديا وفنيا . وإذ عرف هذا الحاكم بعلمه وقدراته مع اتساع فكرة وعدالته استطاع أن يكسب كل الطاقات للعمل لحساب دولته ، وانتشرت الطمأنينة في البلاد

ســـمح للأقباط بترميم كنائسهم وتجديدها ، كما أقام منهم أبو اليمن يوسف متوليا للخراج ليس فقط في مصر بل وفلسطين .

جـــاء بعده العزيز (٩٧٦ ـ ٩٩٦) يحمل ذات روحه فانصرف الاقباط إلى العمل بأمان . فازداد دخلهم . وعم الرخاء . واستطاعوا دفع الضريبة بسهولة ورضى . كما قاموا ببناء كنائس عديدة وتجديد الأديرة وبسبب الانسجام بين العزيز بالله وأمرائه وبين القبط قال الوزير اليهودي إبن كلس في حقده بأن من يبتغي الربح عليه أن يعتنق المسيحية فهي دين الحق ودين المعالم معا

من بـــين من نال منزلة سامية لدى العزيز الطبيب القبطي أبو الفتح منصور بن مقشر ...

الحاكـم بأمـر الله (٩٩٦ ـ ١٠٢٠ م)

شـوه هذا العصر " الحاكم بأمر الله " الذي عرف بعنفه الشديد مع الجميع ، حتى مع المسلمين ، وبتصرفاته الشاذة ... فقد عاش السبع سنوات الأولى من حكمه بالعدالة ، لكن شخصيته اتسمت بالغموض والهوس . فكان يركب حمارا رمادي اللون ويتسلق به جبل المقطم في الظلام بدعوى أنه يرقب النجوم ويتعرف على أسرارها . بدأ يمارس العنف على الجميع فأمر بمصادرة كل أحذية النساء ليمنعهن من الخروج ، كما حرم عليهن التطلع من النوافذ أو الجلوس على أسطح المنازل . أمر بقتل الكلاب ، وعدم ذبح الماشية في غير عيد الأضحى ، منع بيع البيرة والخمر ، وأمر بترك الكروم حتى تجف وصب العسـل في النيل

بعـد ثلاث سنوات ركز عنفه على الأقبـاط :

١ ـ أمـرهم بلبس ثياب سوداء وعدم ارتداء ثياب زاهية أو ناعمة .

٢ ـ منـع تشغيل أي مسلم في بيت قبطي ، أو " مراكبي " في سفينة قبطي .

٣ ـ يعلـق كل قبطي صليباً من خشب وزنه خمسة أرطال .

٤ ـ قطـع رأس وزيره القبطي فهد بن ابراهيم ، وطرد الأقباط من الوظائف الحكومية ، وأمر بهدم الكنائس ومصادرة أوقافها ، وأثار العامة على الأقباط ، فكانوا يغتصبون ممتلكاتهم ويهينونهم ويقتلونهم .

٥ ـ استدعـى أحد أراخنة الأقباط " غبريال بن نجاح " وسأله أن ينكر مسيحه فيجعله وزيرا له ، وإذ رفض أمر بجلده ألف جلدة ، وقد أسلم الروح عندما بلغوا نصف عدد الجلدات .

٦ ـ استدعـى عشرة من كبار الأقباط وأمرهم بانكار إيمانهم واعتناقهم الاسلام ، وإذ رفضوا إنهال عليهم جنوده بالجلد فاستشهد ستة منهم ، ومات واحد بعد إنكاره الايمان . أما الثلاثة فعادوا تائبين بعد موت الحاكم بأمر الله .

٧ ـ سجـن البابا زكريا ، ثم أمر بالقائه أمام أسود جائعة فلم تمسه ، فقام بنفسه بالاشراف على تجويع الأسود وتلطيخ ثياب البابا بدم شاه وتقديمه للأسود للمرة الثانية ، وإذ لم تمسه أطلق سراحه

٨ ـ أمـر كاتبه القبطي ابن عبدون أن يوقع بالنيابة عنه الأمر بحرق كنيسة القيامة ، فجبن ووقع القرار ، لكنه بعد أيام استغنى عنه وقتله وصادر ممتلكاته .

٩ ـ لـم يحتمل الكاتب القبطي " بقيرة " أن يرى كل هذه الأحداث ، فترك مكان عمله ـ ديوان الخليفة ـ وجاء بصليب يحمله ليدخل قصر الخليفة . عند الباب صار يصـرخ " المسيح ابن الله " ، فاستحضره الحاكم بأمر الله وأمره بانكار إيمانه ، وإذ رفض أمر بسجنه مع تطويق عنقه بسلسلة حديدية . وقف بقيرة يصلي بحرارة عجيبة ، وكان متهللا بالروح ، وإذ جاءه صديق له يدعى مينـا يسأله أية رسالة يقدمها لأهلـه ، قال له " قل لهم طيبوا نفوسكم لأنني سأكون معكم

الليلة " . وبالفعل أفرج عنه الحاكم ، فكان يجول يشجع المتضايقين ، وبعد ثلاثة أيام تغير الحال ، وسمح الحاكم بأمر الله للأقباط أن يباشروا أعمالهم بكل حرية .

جـاء الظاهر لاعزاز دين الله (١٠٢٠ ـ ١٠٣٦ م) يحمل روح المودة ، فسمح لمن أنكر الايمان المسيحي تحت ضغوط أن يرجع إن أراد ، إذ قال ان الدخول في دين الاسلام يجب أن يكون اختيارياً لا تحت تأثير القوة ... ويعتبر هذا أهم حدث في عهده ، وهو حدث فريد .

أمـا في عهد المنتصر بالله (١٠٣٦ ـ ١١٠١) حيث ضعفت الدولة الفاطمية ، ونهب المرتزقة الأتراك قصر الخليفة ، فاحتاج إلى المال ، وتعرض البابا خرستودولوس للسجن .

اتسـم الآمر بحكـم الله (١١٠٢ ـ ١١٣١) بالسماحة مع الأقباط ، وكان يزور الأديرة ... غير أنه أصدر أمراً بالتزام جميع النصارى بالجزية مهما كان مركزه .

في عهـد الحافظ لدين الله (١١٣١ م ـ ١١٤٩ م) عين بهرام الأرمني وزيراً ، لكن إذ أخذ رضوان السلطة من بهرام أوقع بالأقباط وأذلهم .

هكـذا بوجه عام عرف الفاطميون بسماحتهم ، لولا إنهيار مملكتهم في نهاية عصرهم ، ودخولهم في حرب مع الافرنج في سوريا مما كلفهم مصاريف باهظة ، وكان ذلك سبباً في الضغط على الأقباط .

+ + +

شخصيـات قبطية في العصر الفاطمـي .

١ ـ البـابا أبرآم بن زرعـة

سيامتـه بطريركيـاً

كـان ابرآم بن زرعة السريانـي الجنس تاجراً ذا أموال كثيرة . يتردد على مصـر مراراً ، وأخيراً استقر فيها .

عـرف هذا الرجل بتقواه وصلاحه خاصة محبته للفقراء مع علمه . لهذا عندما خـلا الكرسي البطريركي . إذ كان الآباء الاساقفة مجتمعين في كنيسة أبي سرجة للتشاور في أمر سيامة البابا . ودخل عليهم هذا الأب . أعجبوا به وأجمعوا على اختياره . سارعوا به إلى الاسكندرية حيث تمت سيامته في كنيسة القديس مار مرقس بكونه البابا ٦٢ . قام بتوزيع نصف ممتلكاته على الفقراء . وقدم النصف الآخر لعمارة الكنائس .

محبتــه للفقــراء

عــرف هذا البابا بحبه للفقراء واهتمامه بهم ، لهذا في أيامه إذ تعين قزمان الوزير القبطي أبو اليمن واليا على فلسطين ، أودع عند البابا مئة ألف دينارا إلى أن يعود ، وأوصاه بتوزيعها على الفقراء والمساكين والكنائس والأديرة إن مات هناك . فلما بلغ البطريرك خبر ثورة القرمطيين على بلاد الشام وفلسطين ظن أن قزمان قد مات ، فوزع ذلك المال حسب الوصية . ولكن قزمان كان قد نجا من الموت وعاد إلى مصــر ، فأخبره الأب بما فعله بوديعته ، فسر بذلك وفرح فرحا عظيما .

أعمــاله الرعويــة

من مآثره أنه أبطل العادات الرديئة ومنع كل من يأخذ رشوة من أحد لتقدمته بالكنيسة .

حــرم أيضا اتخاذ السراري ، وشدد في ذلك كثيرا ، وقد خاف الكثيرون الله وحرروا سراريهم ، وجاءوا يقدمون التوبة على يديه . غير أن أحد الوجهاء لم يبال بحرمان البابا للأمر ، وكان البابا ينصحه كثيرا ويطيل أناته عليه ، وأخيرا إذ رأى أن هذا الرجل قد صار مثلا شريرا أمام الشعب قرر أن يذهب بنفسه إلى داره ويحدثه في الأمر . وإذ سمع الرجل ذلك أغلق باب داره ولم يفتح له ، فبقى البابا ساعتين على الباب يقرع ، وإذ رأى إصرار الغنى على عدم فتح الباب والسلوك في حياة فاسدة ، قال : " إن دمه على رأسه " . ثم نفض غبار نعله على عتبة الباب . وفي الحال انشقت عتبة الباب أمام الحاضرين وكانت من حجر الصوان ... ولم يمض وقت طويل حتى طرد الرجل من عمله وفقد كل ماله وأصيب بأمراض مستعصية ، وصار مثلا وعبرة للخطاة .

في مجلــس المعــز

عــرف المعز لدين الله الفاطمي بعدله وسماحته وولعه بالعلوم الدينية . فكان يدعو رجال الدين للمناقشة أمامه .

كان لديــه وزير يهودي يدعى ابن كلس ، طلب منه أن يسمح لرجل من بني جنسه يدعى موسى أن يناقش البابا في حضرته فرحب المعز بذلك ، وعرضها على البابا بطريقة مهذبة . فذهب إليه البابا ومعه الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين . أذن البابا للأسقف أن يتكلم ، فقــال

" ليــس من اللائق أن أتحدث مع يهودي في حضرة الخليفة " احتد موسى جدا وحسبها إهانة واتهاما له بالجهل . وفي هدوء أجابه الأسقف " يقول اشعياء النبي عنكم أن " الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما اسرائيل فلا يعرف " (إش ١ ٢) "

أعجــب الخليفة بهذه الدعابة ورأى الاكتفاء بذلك ، لكن الوزير اليهودي حسبها إهانة شديدة ، فبدأ مع صديقه موسى يبحثا في العهد الجديد حتى وجدا

العبارة : " من كان له إيمان مثل حبة خردل يقول لهذا الجبل انتقل فيكون " (مر ١١ : ٢٣ ، مت ٢١ : ٢١) فأطلعا الخليفة عليها ، وسألاه أن يطلب بابا الأقباط بنقل الجبل المقطم إن كان له إيمان ولو كحبة خردل .

استدعـــى الخليفة البابا وسأله عن العبارة فقال إنها صحيحة ، عندئذ سأله أن يتمم ما جاء بها وإلا تعرض الأقباط جميعاً لحد السيف . طلب البابا منه مهلة ثلاثة أيام ، وخرج على الفور متجهاً إلى كنيسة العذراء (المعلقة) وطلب بعض الآباء الأساقفة والرهبان والكهنة والأراخنة وأوصاهم بالصوم والصلاة طيلة هذه الأيام الثلاثة . وكان الكل مع البابا يصلي بنفس واحدة في مرارة قلب ، وفي فجر اليوم الثالث غفا البابا أبرأم من شدة الحزن مع السهر ، وإذ به يرى القديسة العذراء مريم تسأله : ماذا بك ؟ فأجابها " : أنت تعلمين ياسيدة السمائيين بما يحدث " ، فطمأنته ، وطلبت منه أن يخرج من الباب الحديدي المؤدي إلى السوق فيجد رجلا بعين واحدة حاملا جرة ماء ، فانه هو الذي ينقل الجبل .

قـــام البابا في الحال ورأى الرجل الذي أشارت إليه القديسة مريم وقد حاول أن يستعفى لكنه إذ عرف ما رآه البابا وضع نفسه في خدمته متوسلا إليه ألا يخبر أحدا بأمره حتى يتحقق الأمر . عرف البابا أن هذا الرجل يسمى " سمعان " يعمل كخراز ، جاءته إمرأة ليصلح لها حذاءها وإذ كشفت عن رجلها لأثارته ضرب بالمخراز في عينه فقلعها ، فصرخت المرأة وهربت . وإنه يقوم كل يوم في الصباح الباكر يملأ بجرته ماء للكهول والشيوخ ثم يذهب إلى عمله ليبقى صائماً حتى الغروب .

ذهـــب البابا والأساقفة والكهنة والرهبان والأراخنة مع كثير من الشعب إلى ناحية جبل المقطم وكان الخليفة بجوار البابا . وكان الوزير اليهودي قد أثار الكثيرين ضد الأقباط ... وإذ اختفى سمعان وراء البابا ... صلى الجميع ولما صرخـــوا " كيرياليسون " ، وسجدوا ، ارتفع الجبل فصرخ الخليفة طالبا الأمان ... وتكرر الأمر ثلاث مرات ، فاحتضنه البابا ... وصارا صديقين حميمين .

طلـــب منه المعز أن يسأله في أي أمر ، وكان يلح عليه فلم يشأ أن يطلب وأخيرا سأله عمارة الكنائس وخاصة كنيسة القديس مرقوريوس بمصر . فكتب له منشورا بعمارة الكنائس وقدم له من بيت المال مبلغا كبيرا وشكره وامتنع عن قبول المال فازداد كرامة في عيني المعز من أجل تقواه وزهده .

ذهـــب المعز بنفسه في وضع أساسات الكنيسة ليمنع المعارضين

نياحتـــه

جـــلس على الكرسي ثلاث سنين وستة أيام ثم تنيح في السادس من شهر كيهك

٢ ـ القديـــس ساويرس بن المقفـــع

مـــن أبرز الشخصيات ليس فقط في العصر الفاطمي بل وفي تاريخ الكنيسة القبطية .

كاتـــب خصب يجيد اليونانية والقبطية والعربية ، له دراية واسعة في الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة وطقوسها وعقائدها ، كتب الكثير من الكتب والميامر ، أشهرها كتابه عن تاريخ بطاركة الاسكندرية حيث استقى مادته من مراجع يونانية وقبطية كثيرة . يحوي سير الآباء من القديس مار مرقس حتى الأنبا شنـــودة (البابا ٥٥) ، تنيح في حوالي التسعين من عمره دون أن يكمل الكتاب حتى عصره ، قام بعده كثيرون يكملون هذا العمل الشيق .

دخولـــه في مناقشات دينية جريئة وبحكمة مع اليهود والمسلمين والخلقيدونيين ، أحيانا في حضرة الحكام ، أعطته قدرة خاصة في الكتابة في الالهيات : لذلك جاءت كتاباته خاصة في التوحيد والتثليث مصدرا رئيسيا للكتاب العرب المسيحيين في هذه الأمور ، إذ كتب بأسلوب يناسب عصره والجو المحيط به ، مستخدما عبارات مناسبة لثقافة عصره .

\+ + +

٣ ـ الأنبـــا إيليـــا أسقـــف طمـــوه

في أواخـــر الدولـــة الفاطمية تغير وضع الأقباط إذ صاروا في شدة وضيق ، وذلك بسبب تغير معاملة الحكام لهم من سماحة وملاطفة إلى تضييق وتشديد ، وبسبب ما حل بالبلاد من فوضى وجوع وأمراض ... لكن الله لـــم يترك نفسه بلا شاهد ففي عهد البابا خريستودولس نسمع عن عمل الله في حياة الكثيرين ، منهم

١ ـ بينما كان الأنبـــا ايليا أسقف طموة يصلي سطع على أيقونة السيدة العذراء نورا باهرا جدا ، فتهلل المصلون في قلوبهم ... كأن الله يؤكد حلوله وسط شعبه ، ومساندة القديسين لهم .

٢ ـ انتشـــر وباء الجدري فراح ضحيته ٢١,٠٠٠ طفلا ، لذلك أسرع البعض إلى بيسوس راهب قديس بدير أنبا يحنس كاما بالاسقيط يطلبون صلواته عن الشعب المصري ، فبقي يصلي طول الليل حتى الفجر ، عندئذ جاء إلى الوفد يقول : " عودوا في طمأنينة ، وقولوا للذي أرسلكم إن سيدنا المسيح قد تحنن علينا ، وسيرفع عنا هذا الوباء بنعمته " . وبالفعل رجعوا ليجدوا الوباء قد تلاشى .

٣ ـ الأنبـــا ميخائيل أسقف تانيس : يسمى أبو حبيب ميخائيل بن بدير الدمنهوري ، ترهب بدير القديس مقاريوس ، وكان صديقا لبقيرة الرشيدي ، اختفى معه ومع بعض الأراخنة في دير أنبا يحنس كاما عند الراهب بيسوس لمدة خمسة عشر

يوما حيث انشغلوا بكتابة ومراجعة سير الآباء البطاركة (من البابا ٥٦ إلى البابا ٦٥) ، وكانوا يسهرون حتى منتصف الليـل . اختاره البابا غيلوثاوس (البابا ٦٣) كاتبا خاصا له ، وسامه البابا أنبا خريستوذلوس (البابا ٦٦) أسقفا على تانيس ناحية بحيرة المنزلة .

+ + +

فتـرة الحـرب الصليبيـة

بدأت الحـرب الصليبية الأولى (١٠٩٦ ـ ١٠٩٩) في أواخر الدولة الفاطمية . تعتبر هذه الفترة من أسوء الفترات التي عاشها الأقباط ، هي وفترة السلاطين المماليك .

يمكننـا توضيح موقف الأقباط وحالهـم أثنـاء الحـروب الصليبيـة في النقاط التالية :

١ ـ نجـح الراهب الايطالي ـ بطرس الناسك ـ في إثارة ملوك أوروبا وأمرائها للقيام بحملة تحت اسم " الصليب " بدعوى تخليص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين ، فتجمعت جيوش البارونات المسلحة ـ كانوا فرساناً مدربين ـ بلغ عددهم قرابة نصف مليون ، لكن كان ينقصهم وحدة القيادة ودراسة ظروف البلاد التي يهاجمونها وطبيعتها مع عدم درايتهم بالدبلوماسية ... هذا مع وجود مطامع شخصية فقد ظن أشراف أوروبا أنهم يصيرون ولاة على مدن الشرق الغنية بخيراتها تحت ستار الدفاع عن الأماكن المقدسة .

كان الكسيـس امبراطور القسطنطينية يظن أن هذه الحملات تدعم ملكه ، وكان الخليفة الأفضل هو أيضا يحسبها تقيه من الزحف السلجوقي (قبائل تركمانية تتارية) ... لكن سرعان ما اكتشف الاثنان خطأهما .

أمـا بالنسبة للأقباط فكانوا ضحية هذه الحملات ... فمن ناحية كان المسلمون يرون المعتدين حاملين الصليب على صدورهم فظنوا أن الأقباط يتعاطفون مع هؤلاء الأوروبيين النازحين . خاصة وان الأقباط كانوا قد سقطوا تحت ثقل جزية مبالغ منها في ذلك الحين ؛ ومن الناحية الأخرى كان اللاتين يتطلعون إلى الأقباط ـ أصحاب الطبيعة الواحدة ـ انهم منشقون وخوارج . أشر من الهراطقة . لذلك عندما احتل الصليبيون القدس منعوا الأقباط من الحج إلى هذه المدينة بدعوى انهم ملحدون. يقـول Renaudot بأن أحد مؤرخي الأقباط شكى من هذه المعاملة قائلا بأنه لم يكن حزن الأقباط بأقل من المسلمين . كما قال بأي حق يمنع النصارى الأقباط من الحج إلى القدس أو الاقتراب من المدينة ؟ إن الصليبيين يكرهوننا كما لو كنا قد ضللنا عن الايمان القويم[١١] "

مـن جانب آخر فان الحروب الصليبية أرهقت كاهل البلاد . فزادت النفقات جدا ، وبالتالي صارت الحاجة إلى زيادة الضرائب خاصة على الأقباط ملحة . وبلغت

الجزية التي يدفعها البابا عند سيامته ما بين ٣٠٠٠ و ٦٠٠٠ دينارا ، كما صار الأراخنة يخشون رفض الخليفة اعتماد البابا .

في هذا الجـو الصعب كان يمكن بسهولة الوشاية لدى الخليفة بأن الأقباط يجمعون إيرادات الكنيسة ويقدمونها لمعاونة الافرنج .

٢ ـ بعد عقـد معاهدة بين شاور والـي مصر وبين الافرنج ، نكث كلاهما بوعده ، زحف أمالريك ملك أورشليم اللاتيني بجيشه لغزو مصر ، وإذ دخل بلبيس قتل كل من بها حتى الأطفال والنساء ، قتل المسلم والمسيحي . وإذ شعر شاور بالخطر يحدق به ، فألقى بعشرين ألف برميل قار على مدينة الفسطاط ، عاصمة مصر لمدة ثلاثة قرون ، وألهب رجاله النار بعشرة آلاف مشعل ، وبقيت النار مشتعلة ٥٤ يوما . وكان غالبيتهم من الأقباط ، فقدوا كل ما لديهم .. وشعر المصريون ككل أن عاصمتهم ذهبت ضحية خيانة الافرنج وشاور ، فانضم الكثيرون إلى شيركوه ... واستطاع شيركوه وصلاح الدين الأيوبي (ابن أخيـه) أن يحطموا شاور ورجاله ويغتصبوا قصره في يومين .

لقـد أدرك شيركوه خلال هذا الحريق أن الافرنج لا يميزون بين مسلم وقبطي ، وأن كثيرين من الأقباط استشهدوا على أيدي الافرنج ، كما حرقت كنائسهم ، لكنه لم يلن .

٣ ـ في الفتـرة ما بين نهاية العصر الفاطمي وبداية الحكم الايوبي ، ساد التوتر البلاد . وحل بمصر مجاعات . وطرد الاقباط من وظائفهم . وحرموا من ركوب الخيل . وألزموا بارتداء ثياب معينة . ووضعت عليهم جزية فوق طاقتهم . حتى اضطر البعض في صعيد مصر أن يصيروا عبيدا لكي يعيشوا . واضطر كثيرون إلى إنكار الايمان .

في هـذه الآونة صدر الامر بهدم الكنيسة المرقسية بحجة أن الصليبيين يمكنهم أن يحتموا فيها عند نزولهم إلى الاسكندرية . وكانت اية في الضخامة والفن . عرض الأقباط أن يدفعوا ٢٠٠٠ دينارا لانقاذها ولم يسمع لهم

في سـنة ١١٧٣ م قامت حملة ضد النوبة . فهدم دير القديس سمعان بالقرب من أسوان وكنيسة بالقرب من ابريـم . وألقى القبض على قاطني الاديرة من بينهم الاسقف القبطي حيث بيعوا في سوق العبيد . وعم التخريب مدينة قفط بصعيد مصـر حيث تساوت بالأرض تماما[٢١]

٤ ـ اتسـم عهد صلاح الدين الايوبي بالاستقرار والعدالة مع الكرم والسخاء فأحبه المصريون جميعا . الاقباط والمسلمون . وأخلصوا له . وقد شعر الاقباط في عهده بالطمأنينة . للأسباب التالية

أ . وجـوده أوقف حركة الفوضى والتخريب التي سادت في أواخر العصر الفاطمي

ب . ألغـى الضرائب الهلالية العديدة التي أعدها اخر خلفاء الفاطميين

ج . إن كان في أول يـوم من تعيينـه وزيرا بواسطة الخليفة العاضد بدلا من شيركوه أصدر أمرا فيه يحرم على المسيحيين شغل وظائف الدولة ، لكنه أدرك ما للأقباط من كفاءة وقدرة وانهم لا يمثلون خطرا بالنسبة لرغبته كزعيم أول للمسلمين في الشرق الأوسط لهذا اتخذ لنفسه كاتبا قبطيا هو الشيخ الرئيس صفي الدولة ابن أبي المعالي ، الذي صار يخدم صلاح الدين إلى يوم وفاته[٣] ، وكان له أصدقاء أقباط ، وأعاد القبط إلى العمل في الدواوين الحكومية كما رد لهم ممتلكاتهم المصادرة . هذا ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن طرده للأقباط في بداية عهده كان يمثل حركة تطهير ضد الفاطميين أكثر منها كراهية للقبط .

هـذا وقد شعر بأن المسيحيين الشرقيين على وجـه العموم هم الذين مكنوه من استلام القدس بالحاحهم على الصليبيين بتسليمها .

هـذا وقد رافقه عدد ليس بقليل من القبط في حملته على الأراضي المقدسة بوصفهم كتبة وعمالا وفنيين ، لذا وهبهم " دير السلطان " وسمح لهم بالحج إلى الأراضي المقدسة بعد أن منعهم الصليبيون .

د . قـام المهندسان القبطيان أبو منصور وأبو مشكور ببناء قلعته على جبل المقطم ، التي جعلها المقر الرسمي للحكومة ، بقيت مقرا للحكومة حتى سنة ١٨٧٤ م حيث بنى اسماعيل قصر عابدين ... كما قدم الأقباط أعمالا فنية رائعة في كل جوانب الفن ... يسندهم في ذلك ما نالوه من طمأنينة وإن كانوا لم ينالوا ذات الامتيازات التي تمتعوا بها في عهد الفاطميين .

٥ ـ مع ما اتسـم به الأيوبيون الآخرون من سماحة ، لكن كان للحملتين الصليبيتين اللتين شناها جان دي بريين Brienne والملك لويس التاسع الاثار المرة على حياة الأقباط ، فمن جانب عامل الصليبيون الأقباط كملحدين فعندما احتلت الحملة الأولى في دمياط أقاموا من كنيسة روما اللاتينية مطرانا ، واستباح الصليبيون قتل الأقباط أيا كان جنسهم أو سنهم . وفي نفس الوقت عندما بلغت الحملة إلى شواطىء دمياط حدثت اضطرابات عنيفة في القاهرة إذ ظن العامة أن الأقباط سيتواطئون مع الصليبيين ... الأمر الذي يشهد له المؤرخون الغربيون والشرقيون أنه لم يحدث قط[٤] . خـلال هذه الاضطرابات ضغط الديوان على الأقباط لدفع مبالغ باهظة للحرب ، حتى من رجال الدين . وعندما انطلق الجنود من القاهرة إلى دمياط حملوا كل كراهية ضد الصليبيين ، وانتقموا منهم بنهب الكنائس التي في طريقهم وتخريبها . وكان من شدة الضيق أن اضطر بعض الأقباط إلى الهروب فصرح النجاشي لابيليلا Labilela باستقبال عشرة آلاف قبطي[٥] .

إذ اسـترد الملك الكامل دمياط أدرك حقيقة موقف الأقباط ، فقربهم إليه ورد لهم ما سلب منهم ، وزار أديرة برية شيهيت مع حاشيته ، فسادت المودة بين الأقباط والمسلمـين . كان المسلمون يقدرون الأقبـاط فدعوا حنين بن اسحق " رأس أطباء عصره " .

٦ ـ في عهد السلاطين المماليك ، وهم أسرة حاكمة بدأت سنة ١٢٥٠ م . كانوا عبيدا وتحرروا . في حروبهم فيما بينهم كانت الاغتيالات تلاحقها اغتيالات ، غير أن وحدتهم صارت حقيقة واقعة عند مواجهتهم لعدو مشترك[٦] .

لـم يكن السلاطين المماليك والأتراك يخشون قيام أية حركة ثورية من جهة الأقباط ، ولعل هذا الاحساس جاء نتيجة الخبرة الطويلة منذ بدء الحروب الصليبية تأكد الكل أن الأقباط محبون للسلام ، لم يستغلوا قط الحملات الصليبية ولا تعاطفوا مع الغربيين ضد إخوانهم المسلمين بمصر . كان كل ما يهم هؤلاء السلاطين هو استغلال امكانيات الأقباط الغنية والادارية والمالية . فقد عرف هذا العصر بالفقر المدقع والفوضى مع الدخول في حروب مما أرهق ميزانية الدولة ، لهذا كان السلطان يلجأ أحيانا إلى قبطي محنك لتدبير الجانب المالي وجمع الضرائب ، وفي نفس الوقت يلجأ إلى اغتصاب أموال الأقباط .

لقـد وجد بعض السلاطين المعتدلين مثل السلطان قلاوون وابنه الأشرف خليل اللذين أعادا الأقباط إلى وظائفهم بعدما عزلاهم ... لكن هذا العصر في مجمله يعتبر نكبة على مصر كلها وعلى الأقباط بوجه خاص . فعاش الأقباط في عزلة تامة عن العالم ، وكان ملوك اثيوبيا من وقت إلى آخر يضطرون إلى التهديد لعل السلاطين يعودون إلى شيء من التسامح .

يرى المـؤرخ المسلم المقريزي وأيضا المؤرخ القبطي المفضل بن أبي الفاضل كيف جمع عدد غفير جدا من الأقباط عند القلعة لحرقهم جميعا وذلك في عهد بيبرس ، سنة ١٢٦٥ م ، وبعد جهد وافق السلطان على قبول جزية ضخمة منهم .

وفي سـنة ١٣٠١ زار مصـر وزير مغربي وكان الأقباط قد استراحوا ... فحرض الوزير الملك الظاهر محمد بن قلاوون على إذلال الأقباط ، بغلق كنائسهم وإلزامهم ارتداء عمائم زرقاء وشد زنانير في أوساطهم .

أمـا عام ١٣٢٠ م فكان من أسوأ الأعوام التي عاشها الأقباط . إذ يروي لنا المؤرخ المسلم المقريزي في مرارة كيف هدمت الكنائس وقتل العابدون فيها ، وكيف تعبأ الجو العام في القطر كله ضد الأقباط ... فتحولت كل طاقات البلاد لاذلالهم بكل صورة . تحدث المقريزي بالتفصيل بلغـة الأسى على ما يحدث .

في عهـد الناصر محمد بن قلاوون أرسلت حكومة أراجون (باسبانيا) وفدا إلى السلطان ترجوه أن يصدر أمرا بفتح كنائس الملكيين وأن يفك أسر أسباني محتجز بمصر . فوافق على الطلبين ، لكنه عاد فطلب جزية عن الأسير وألا يعود في أسره قبل خروجه من الاسكندرية . لكن الوفد رفض دفع الجزية بل وأمسكوا برسله ونقلوهم قسرا إلى اسبانيا ... فثار السلطان وحرض حاشيته الشعب على مضاعفة بطشهم بالأقباط وطردهم من الوظائف لأنهم يشاركون الأسبان مسيحيتهم .

جـاء ابن الملك الصالح الثاني ، وكان متعسفا للغاية ، ليس فقط على الأقباط المتمسكين بايمانهم وإنما حتى على من جحد إيمانه أيضا . فقد أقام الصاحب علاء الدين بن زنبق وزيرا الذي أسلم هو وكل عائلته . لكن قيل للملك أن إسلامه صوري .

فقام بتعذيبه هو وأسرته وخدمه حتى عرف مكان أمواله فاستولى عليها ثم نفاه إلى قوص . كما قام بهدم الكنائس وبعض الأديرة وصادر جميع ممتلكات الكنيسة ، كما قام بتعذيب البابا مرقس الرابع وسجنه ، وأصدر أمرا لكل الولاة بطرد الأقباط من وظائفهم . تدخل ملك النوبة حتى أخرج البابا من السجن .

في سنة ١٣٦٥ ، في عهد البابا يؤنس العاشر اغتصب الصليبيون ممتلكات المسلمين والأقباط ، فاضطرت ابنة كاهن يدعى جرجس بن فاضل أن تقدم كل ممتكاتها لتفتدي الكنيسة ، وقامت السلطات باقتياد البابا إلى المحكمة حيث تعرض هو ورفقاؤه لاهانات بالغة ، وصودرت ممتلكاتهم .

هكذا مع كل هجوم من جانب الافرنج يزداد ثقل البطش بالأقباط ، ففي عهد الأنبا متاؤوس الأول قام الافرنج بحملة على الاسكندرية حيث نهبوا وسلبوا كما سبوا بعض النسوة ثم هربوا . ثار الأمير يلبغا على الأقباط ، فألقى القبض على رئيس دير الأنبا أنطونيوس وعدد من الرهبان ليسوقهم إلى القاهرة . وفي الطريق كان يضربهم ويهينهم ، ولم يسمح لهم بطعام أو شراب ، ولما طلبوا منه قليل من ماء جاء يسخر بهم متشامخا . إذ كان بينهم القديس مرقس الانطوني . وهو شيخ مسن ، رفع عينيه نحو السماء وقال : " مادمت ترفض أن تعطينا ماء فالله سيروينا من يده " . وما كاد ينتهي من كلماته حتى صار سيل مياه تمطره السماء ، فتوقف الكل وشرب الرهبان ، ومع هذا لم يلن قلب يلبغا . إذ بلغوا اطفيح كان السلطان قد أصدر أمره بتركهم(٧) .

أما السلطان برقوق فكان يثق في البابا متاؤس الأول ، قيل أنه استشاره قبل قبول السلطنة : كانت العلاقة بينهما طيبة ، لذا طلب السلطان منه أن يتوسط لدى الملك داود بأثيوبيا . وعندما ثار العوام لحرق كنيسة المعلقة وأيضا دير شهران بدعوى وجود تجديد بهما أرسل السلطان قضاة الاسلام الأربعة الذين أثبتوا بهتان الدعوى

في نهاية هذه الفترة إذ ساءت العلاقة بين مصر والحبشة ، صار من المتعذر على بابا الاسكندرية أن يرسم مطرانا على أثيوبيا ، فأشار البرتغاليون على ملك أثيوبيا أن يطلب من الحبر الروماني ذلك ، فرسم طبيبا في الجيش يدعى بوازبار مودار ودعاه " بطريرك الاسكندرية " ...

---

1. E. Renaudot: Historia Patriarcharum Alexandruinorum Jacobitorum, Paris 1713, p.479.
2. ايريس حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية ، ك ٣ ، بند ١٦٠ .
Dr. Atiuya : Hist. of Eastern Christianty, p. 95.
3. يعقوب نخلة روفيلة : تاريخ الأمة القبطية ، ١٨٩٩ ، ص ١٧٦ .
4. د . عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون ، ص ١٣ . جاك تاجر ، ص ١٦٨ .
5. Coulbeaux: Hist of Ethiop., p. 256, 266.
6. Dr. Atiya, p. 97.
7. ايريس حبيب المصري ، ك ٣ ، بند ٢٨٦ .

انشغـل المماليك في نهاية عصرهم بحروب خارجية وبمنازعات داخليـة فيما بينهم وجهت أنظارهم بعيدا عن الاقباط . وقد استراحوا مع بقية اخوتهم في عصر قانصوة الغوري .

من الأحـداث الكنسية الهامة في هذه الفترة ، انه بعد مرور حوالي عشر قرون على مجمع خلقيدونية وجدت محاولة للوحدة بين روما من ناحية والاقباط والاثيوبيين من ناحية أخرى ، وذلك في مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٨ ١٤٣٩ م ، نشرت الوحدة لكنها بقيت متوقفة تماما . أقيمت محاولة أخرى في القرن السادس عشر وكان بيان الوحدة معدا للتوقيع غير أن البابا البطريرك يؤنس الرابـع عشر (١٥٧١ ـ ١٥٨٦ م) تنيح في الليلة السابقة للتوقيع . ألقي القبض على مندوب روما واتهم أنه جاسوس أجنبي ، ودفعت روما عنه فدية لاطلاق سراحه ، وتمكينه من العودة إلى بلاده .

\+ + +

شخصيات قبطية في عصري الأيوبيين والمماليـك

خـلال هذه الحقبة الطويلة برزت شخصيات قبطية كثيرة سواء من رجال الدين أو أصحاب مراكز في الدولة أو أصحاب مواهب فنية وأدبية من أطباء ومهندسين ... وقد ذكرنا الأسماء البراقة أثناء حديثنا عن هذه الفترة : هنا أكتفي بذكر بعض الشخصيات . خاصة كتاب القرن الثالث عشر ، إذ حدثت نهضة كتابية ضخمة خاصة من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر .

\+ + +

١ ـ القديـس بطـرس السـدمنتي

كان راهبـا بدير مار جرجس بسدمنت الجبل بمحافظة الفيوم . وضع ١٤ مؤلفا . أغلبها في المكتبة الاهلية بباريس ومكتبة الفاتيكان ومكتبات بعض أديرة لبنان . اهتم بها الراهب الجزويتي بطرس فان اكبرج . من بين كتاباته : " التصحيح في آلام السيد المسيح "

\+ + +

٢ ـ ابـن كاتـب قيصـر

هـو الرئيس الأوحد علم الرئاسة أبو اسحق ابراهيم ابن الشيخ الرئيس أبي ثناء ابن الشيخ صفي الدولة كاتب الأمير علم الدين قيصر .

وضـــع مقدمة في قواعد اللغة القبطية معروفة بكتاب " التبصرة في أصول اللغة القبطية " . توجد نسخة منه في مكتبة باريس الاهلية .

وضـــع أيضا تفاسير في إنجيل متى . وأعمال الرسل . ورسائل بولس . والكثوليكون ، وسفر الرؤيا .

+ + +

٣ ـ ابـــن المكـــين

من أراخنـــة الفكر في القرن الثالث عشر (توفى بدمشق سنة ١٢٧٣ م) .

هـــو جرجس بن العميد ، أخوه الأسعد ابراهيم كاتب الجيوش في عهد الملك العادل .

لا نعـــرف عن سيرته الكثير ، إنما نعرف أنه في محبته لله قد ترك مجد العالم وغناه وكرس حياته للعبادة والنسك مع البحث والدراسة في دير الأنبا يؤانس القصير بطرة ، جنوبي القاهرة ، فتضلع في القبطية والعربية واليونانية والمنطق والفلك والتاريخ .

أما مؤلفاتـــه فهي :

١ ـ تاريخ مدني عنوانه " المجموع المبارك " يقع في جزئين ، ترجم إلى عدة لغات منذ القرن السابع عشر

٢ ـ كتاب الحاوي . كتاب عقيدي يحوي تفسير بعض الآيات الصعبة

٣ ـ المستفاد من بديهة الاجتهاد . امتدح فيه المجدين الكادحين

٤ ـ قام بتكملة تاريخ الطبري

إيريس حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية ، ك ٣ . طبعة ١٩٧١ ، ص ٢٥١ . ٢٥٢ .

٤ ـ إبـــن كبـــر

من رجـــال القرن الثالث عشر

هـــو الشيخ المؤتمن شمس الرئاسة أبو البركات بن كبـــر . كان كاتبا للسلطان بيبرس الدويدار ، أخلص له وعاونه في تأليف كتاب نفيس لايزال مخطوطا مع أنه معروف في أوروبا . هو " زبدة الفكر في تاريخ الهجرة "

تــرك خدمة السلطان وسيم كاهنا لكنيسة العذراء الشهيرة المعلقة ، فاهتم بالرعاية الروحية للشعب ، كما وضع مجموعة من المؤلفات تكشف عن شخصــه كعالم فاضل ولاهوتي ضليع ومؤرخ كنسي ، وقد تنيح في ١٥ بشنس ١٠٤٠ (١٣٢٣ م) .

مــن مؤلفاتــه :

١ ــ كتاب عن الميرون ، وصف فيه المواد التي يتألف منها وكيفية طبخه .

٢ ــ جــلاء العقول في علم الأصول ، الملقب بكشف الأسرار الخفية في أسباب المسيحية ، يتضمن ١٨ فصلا في وحدانية الله وتثليث أقانيمه والتجسد الالهي (توجد نسخة بمكتبة الفاتيكان وأخرى بدمشق) .

٣ ــ مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة ، يمثل موسوعة لاهوتية كنسية . توجد نسخة منه في كل من مكتبة الفاتيكان ومكتبة برلين والمكتبة الأهلية بباريس .

٤ ــ البيان الأظهر في الرد على من يقول بالقضاء والقدر .

٥ ــ الخطب ، خاصة بالأعياد والمواسم .

٦ ــ السلم الكبير : قاموس للغة القبطية ، طبع في روما عام ١٦٤٣ ، ونشر بالقبطية واللاتينية والعربية ، ويعتبر من أنفس الكتب في القبطية .

إيــريس حبيــب المصري : قصــة الكنيســة القبطيــة ، ج ٣ طبعــة ١٩٧١ ، ص ٢٩٨ ــ ٣٠٠ .

+ + +

٥ ــ أولاد العســال

من كبــار علماء الاقباط ووجهائهم في القرن الثالث عشر

غالبــا كانوا من سدمنت بصعيد مصر لكنهم نزحوا إلى مصر واستقروا هناك ، عمل بعضهم في الحكومة والآخر تفرغ لخدمة الله . وكانت لهم منزلة رفيعة في عهد الدولة الأيوبية لاسيما أبو اسحق الذي كان مصاحبا للأيوبيين في الشام . وكانت لهم منزلة سامية في الكنيسة . فانتخب منهم الصفي أبو الفضائل في عهد البابا كيرلس بن لقلق (٧٥) ليكون كاتم أسرار المجمع الذي عقد لفض نزاع الكنيسة .

كانــت لهم معرفة بعلوم وفنون ولغات كثيرة . فقد اشتهروا بخطهم العربي الجميل وينسب إليهم الخط السعدي . مع تبحرهم في اللغات القبطية والعربية واليونانية والسريانية . واهتمامهم بالقوانين والشرائع . ووضع أشعار بالعربية على مستوى سام جدا .

فيمــا يلي قائمة مصنفاتهم مع لمحات من حياة كل واحد منهم

١ ـ مؤتمــن الدولة أبو اسحق العســال

امتــاز بنسكه وحبه للعبادة مع الدراسة والمعرفة . فقد تنيحت زوجته التقية فبعث إليه أخوه الصفي رسالة يحثه فيها على حياة النسكية بعد فقده معينته . وجدت الرسالة ، لها صدى في قلب هذا التقي ، فتتلمذ على يدي القديس أنبا بطرس الحبيس ، وقد لقبه ابن الدهيري مطران دمياط المعاصر له : " الشيخ الرئيس الناسك والعابد والمؤتمر " .

ســيم قسا فقمصا والتزم القلاية البطريركية يعاون البابا كيرلس بن لقلق في تحرير مراسلاته .

من بين مؤلفاتــه

١ ـ مجمــوع أصول الدين ومسموع محصول اليقين ، وهو كتاب لاهوتي ممتع ، توجد منه نسخ بمكتبة البطريركية ومكتبات باريس ولندن والمكتبة الشرقية لليسوعيين .

٢ ـ التبصــرة المختصرة في العقايد النصرانية .

٣ ـ تفســير الأمانة المقدسة ، توجد نسخة بمكتبة باريس .

٤ ـ تفســير ما ورد في الانجيل عن آلام سيدنا يسوع المسيح إلى صعوده ، ومقدمة عن أصول تفسير الكتاب المقدس .

٥ ـ إيضاح تفسير تدابــير السيد المسيح من حين الحبل به إلى صعوده إلى السماء .

٦ ـ مجموع الأصول شرح رسالة عيسى بن يحى الجرجاني في أقسام الدين .

٧ ـ السلم المقفى والذهب المصفى في أصول اللغة القبطية ، وهو قاموس قبطي عربي .

٨ ـ آداب الكنيسة .

٩ ـ خطب الأعيــاد السيدية وغيرها .

١٠ ـ ترياق العقول في علم الأصول ، والأسرار الخفية في علم المسيحية .

ب ـ الأسعــد أبو الفرح هبــة اللــه

ما عــرف من من مؤلفاته هو :

١ ـ مقدمــة (اجرومية) في أصول اللغة القبطية ، توجد نسخة بلندن وأخرى باكسفورد .

٢ ـ مقابلــة للأناجيل باللغات اليونانية والسريانية والقبطية .

٣ ـ مقــدمة على رسائل بولس ، توجد نسخة بمكتبة ليبرن في هولندا .

٤ ـ مختصـــر كتاب يوحنا الدرجي .

٥ ـ مختصـــر مواعظ ذهبي الفم على تفسير متى .

٦ ـ مقـــال عن الأنفس الناطقة بعد مفارقتها .

٧ ـ كتـــاب في حساب الأبقطي ، فيه بعض قواعد فلكية وتاريخية وجدول للبطاركة .

٨ ـ أرجـــوزة في حساب الأبقطي ، شرحها البابا يوحنا (١٠٧) .

ج ـ الصفـــي أبو الفضائـــل

١ ـ كتـــاب الصحائح في الرد على النصائح (توجد نسخة بمكتبة اليعاقبة بالقدس) .

٢ ـ كتـــاب نهج السبيل في الرد على من قدح في الانجيل .

٣ـ جامـــع اختصار القوانين المعروف بالمجموع الصفوي ، ألفه سنـــة ١٢٣٩ م .

٤ ـ الكتـــاب الأوسط ، وهو اختصار للكتاب السابق .

٥ ـ فصـــول مختصرة في التثليث والتوحيد (توجد نسخه بمكتبة باريس وأخرى بمكتبة الفاتيكان) .

٦ ـ حواشـــي على مناظرات الشيخ عيسى الوراق مع ابن العبري وأجوبة على اعتراضات عبد الله الناشىء وغيره .

٧ ـ أرجـــوزه في المواريث ، نشرت في المجموع الصفوي (طبعة ١٩٠٨) .

٨ ـ كفايـــة المبتدئين في علم القوانين ... وهو كتاب مفقود

٩ ـ كتاب الفـــردوس ، طبع في مصر سنة ١٩١٢ تحت عنوان الفردوس العقلي .

١٠ ـ كتـــاب في تاريخ الكنيسة وتطابقه مع العلوم الفلكية ، كما يدعى باسم مجموع التواريخ لعلوم القبط .

١١ ـ مجمـــوع القوانين ، طبعة القمص يوسف حبشي .

١٢ ـ خطـــب ابن العسال ، طبع في مصر سنة ١٨٨٧ م .

كامل صالح نخلـــة : سلسلة تاريخ البابلوات ... الحلقة الأولى ، طبعـــة ١٩٥١ ، ص ١٠٩ ـ ١١٧ .

+ + +

٦ ـ الأنبـا بولـس البوشـي

أسـقف بابليـون

يعتبـر من أبرز المفكرين الأقباط في القرن الثالث عشر .

ولـد ببلدة بوش التابعة لبني سويف ، ترهب في أديرة الفيوم مع داود بن لقلق الذي صار فيما بعد البابا كيرلس بن لقلق (٧٥) .

يقـول عنه الأب يعقوب مويزر الهولندي : " رجل نزيه ، محب لشعبه ، بعيد عن الأهواء الحزبية ، لا يعرف غير مصلحة الكنيسة ورفع شأنها ، عالم جليل طويل الباع في المعارف الدينية ... كاهن تتقد في قلبه غيره الرسول بولس ، مفسر قدير على شرح الأقوال الالهية والتعليق عليها ، كاشفا غوامضها ، ومفصلا مشكلاتها ، خطيب ديني مصقع ، يرفع القلوب النافرة إلى المعالي ويلهبها ، مجادل ماهر ذو ذهن وقاد ، قوي الحجج ، ردوده أشبه بالخمسة حجارة الملساء في جراب داود الغلام عند مبارزته جليات الجبار "

رشـح للبابوية وكان معه منافسان عنيدان هما الأرشيدياكون أبو شاكر بطرس بكنيسة المعلقة ، وداود بن لقلق ... وكانت المعركة حامية . انقسمت الكنيسة إلى تحزبات ، أما الأنبا بولس فكان يزهد كل شيء لم يتهافت على الكرسي المرقسي . بل نجده وسط هذه العاصفة الانتخابية ينشغل مع صديقه الحميم داود بن لقلق في تأليف كتابه في أصول الدين وفي الرد على المرتدين عن الايمان . أما داود فكان على العكس متهافتا على هذا المركز ، أشعل نيران الحركة الانتخابية ، ومن شدة الخلاف بقي الكرسي شاغرا تسعة عشر عاما ونصف عام . حتى تنيح أغلب أساقفة الكرازة ولم يبق سوى ثلاثة أساقفة فقط . أخيرا انتهت المعركة بانتخاب داود في يونيو ١٢٣٥ م . وكان عهده مشوبا بالأخطاء . جر على الكنيسة متاعب كثيرة . بالرغم مما اتسم به من علم ومعرفة . يشهد بذلك قوانين الكنيسة التي وضعها . وأيضا مؤلفه كتاب الاعتراف . المعروف بكتاب المعلم والتلميذ . وإن كان الأنبا بولس قد ساعده في هذه الأعمال

من أهـم أعمال البابا كيرلس بن لقلق سيامته لأساقفة تعتز بهم الكنيسة . منهم الأنبا بولس البوشي . والأنبا حريستوذولس أسقف دمياط . والأنبا يؤانس أسقف سمنود . والأنبا يوساب أسقف قوة واضع تاريخ البطاركة

بقـي الأنبا بولس الصديق الحميم للبابا . يسنده وسط متاعبه إذ كان يهدىء خواطر الثائرين من الشعب عليه كما كان يسدي النصح للبابا

كان يهتـم بتعليم الشعب . لكن بروح الانضاع الحق . فيكسب الكثيرين لحساب مملكة الله

لما سـاءت تصرفات البـابا كيرلس بن لقلق انعقد مجمع وقرر الأساقفة أن يلازمه أسقفان أحدهما الأنبا بولس البوشي ليعاوناه في شؤون البطريركية

كتـــاباته

لازالـــت موجودة لكنها للأسف لم تطبع بعد سوى الميامر الخاصة بالأعياد السيدية ، وهـــي :

١ ــ الأدلـــة العقلية التي توصل إلى معرفة الالة المتأنس " . يبحث في سر التجسد ، موضحا إنه كان سرا فائقا للعقل لكنه يستطيع العقل أن يلمح قبسا منه خلال التأمل والتفكير العميق والمنطق المسلسل . يوجد هذا المخطوط في مكتبة بودليان باكسفورد تحت رقم ٣٨ / ٥ .

٢ ــ " العلوم الروحية " ، توجد منه نسخة بدير السريان ، نسخـــت عام ١٨٦٠ م .

٣ ــ كتـــب تفسيرا لسفر الرؤيا ، توجد منه نسخة في المتحف القبطي تحت رقم ٣٦ طقس .

٤ ــ كتـــب جدلية بين المسيحيين والمسلمين . كانت تثار بروح المودة في حضرة الملك الكامل العادل بن أيوب (١٢١٨ ــ ١٢٣٨ م) .

٥ الميامـــر الخاصة بالأعياد السيديـــة . قـــام بنشرهـــا للقس منقريوس عوض الله .

\+ + +

٧ ــ الشهيـــد بســـطوروس

استشهـــد وسط الضيقات التي حلت في عهد الأنبا بنيامين* الثاني في القرن ١٤

وشـــى به البعض لدى الوالي . ذلك أن والدته كانت قد جحدت إيمانها بينما بقي هو مع والده . استماله الوالي على إنكار إيمانه فرفض . أمر بالقائه في السجن . وعندئذ ظهرت حمامة بيضاء وقفت على رأسه . أبلغ الحارس ذلك للوالي فاستحضره وهدده بالحرق . أما هو ففي هدوء مع شجاعة قال " إفعل بي ما تشاء فإن سلطانك هو على جسدي فقط "

أخـــرجوه في الساحة لينال إهانات وشتائم وضربا من العامة . وكان يحتمل ذلك بصبر وهدوء .

أخـــيرا نال إكليل الشهادة بقطع رأســـه . وقد أجرى الله عجائب خـــلال جسده .

---

* Wallis Budge: The Ethiopic Synaxarium. Cambridge 1928. P. 842

\+ + +

٨ ـ القـديس أنبـا برسوم العـريان[١]

أحـد قديسي القرن الثالث عشر ، عاش في وسط الضيق الشديد يحمل إيمانا حيا لا ليدوس على الحيات والعقارب فحسب ، وإنما ليقدم تعزيات الروح القدس للنفوس المتألمة ، هذا وقد وهبه الله صنع الآيات والعجائب .

ولـد سنة ١٢٥٧ م من أبوين تقيين ، وكان والده يدعى الوجيه مفضل اتخذته الملكة شجرة الدر كاتما لأسرارها . تقبلاه الوالدان كعطية إلهية ثمرة صلوات وأصوام طويلة ، لذا ربياه في مخافة الله واهتما بحياته الروحية ودراسته في الكتاب المقدس .

توفـى والده وبعد عام توفت والدته ، فطمع خاله في الميراث ، أما برسوم فلم يدخل مع خالة في خصومة ، متذكرا قول الحكيم : " باطل الأباطين الكل باطل وقبض الريح " (جا ١ : ٢) . وإذ حاول بعض أقاربة أن يثيروه ليقاضي خاله رفض تماما .

حبـه للوحـدة

انطلـق خارج الفسطاط ليعيش في إحدى المغارات ، يحتمل حـر الصيف وبرد الشتاء ، غير مبال بما يصادفه من مخاطر البرية . عاش خمس سنوات في حياة نسكية جادة مع صلوات ومطانيات بلا انقطاع . يرتدي منطقة من جلد الماعز على حقويه ، لذا دعي بالعريان .

في مغـارة كنيسة أبي سيفين

أرشـده الله إلى كنيسة الشهيد أبي سيفين " مرقريوس " بمصر القديمة ، إذ كان بها مغارة بجوار الباب البحري ، لاتزال إلى يومنا هذا . وكان بها ثعبان ضخم بسببه امتنع الناس من النزول إليها . حاول القديس أن ينزل المغارة فمنعه خدام الكنيسة مظهرين خوفهم عليه . أما هو فبايمان بسط يديه نحو السماء وصلى ، وإذ رشم نفسه بعلامة الصليب تقدم نحو الثعبان وهو يقول " تطأ الأفعى والحيات ، وتدوس الأسد والتنين .. " (مز ٩١ : ١٣) . فنزع الله من الثعبان طبعه الوحشي ، وصار مرافقا له في المغارة ٢٠ عاما . فاحت رائحة المسيح منه فجاءت إليه الجموع من كل مدينة تطلب صلواته .

مساندتـه للمتضايقـين

في أيامـه اجتازت الكنيسة ضيقة شديدة في أواخر سلطة خليل بن قلاوون ، إذ أغلقت كنائس كل القطر عـدا الاسكندرية . أما هو فبقي يصلي علانية في الكنيسة رافضا لبس العمامة الزرقاء . وشي به لدى الوالي الذي أمر بجلده وحبسه ثم أطلقه فسكن على سطح الكنيسة يقدم صلوات ومطانيات بدموع . وشي به مرة أخرى ليكرر الوالي ذات العقوبة . فذهب بعد ذلك إلى دير شهران بجهة معصرة حلوان . هناك

مارس الحياة النسكية الشديدة ، وكانت نعمة الله تسنده ، وتهبه صنع العجائب ، فكان المتضايقون يأتون إليه ليجدوا تعزيات الله ... وبصلاته رفع الله الضيق .

---

١ ـ مكتبة المحبة : أنبا برسوم العريان . القاهرة ١٩٧٨ .

+ + +

٩ ـ البابا متاؤوس الأول[١]

هـروبه من المجـد

يـرى البعض أنه هو القديس متاؤس المسكين الذي من دير " الفاخوري " باصفون المطاعنة غرب مدينة إسنا بصعيد مصـر ، المشهور بصداقته مع الوحوش .

في صبوتـه اشتغل برعاية الغنم ، وكان يوزع طعامه على الرعاة . ويقضي فترات طويلة في الصلاة . حتى إذ بلغ الرابعة عشرة من عمره التحق بالدير ، وكان محبا للعبادة ناسكا . سامـه أسقف المنطقة قسا في الثامنة عشرة من عمره ، وإذ شعر بتكريم الآباء له ، هرب إلى دير الأنبا انطونيوس وأخفى درجته الكهنوتية ، مكتفيا بالخدمة كشماس .

تـارة إذ كان يقرأ الانجيل ظهرت يد خفية وقدمت لـه البخور ثلاث مرات فادرك شيوخ الدير أنه سيصير بطريركا . هرب من المجد والكرامة إلى بيت المقدس ليعمل في المباني نهارا ويمارس عبادته ليلا ، فلاحقة المجد . لذا التزم بالعودة إلى دير أنبا أنطونيوس .

كان رئيـسا للدير حين ساق الأمير يلبغا عددا من آباء الدير (وكان هو من بينهم) في مذلة إلى القاهرة لينتقم من تصرفات الصليبيين فيهم .

ترك الديـر وذهب إلى دير المحرق لينقل الرمال ويعمل بالمطبخ ويخدم المرضى والشيوخ والزائرين ، وقد عاش في زهده بلا قلاية ولا ثوبين ، تعرض لحروب شيطانية مخيفة فكان يغلبها ، كما كانت الوحوش الضارة تستأنس به خارج الدير .

سيامتـه بطريركا

إذ اختـير للبطريركية هرب مختفيا في أسفل سخية لكن الله كشف أمره على لسان طفل صغير ، عاد فقطع طرف لسانه حتى يتركوه لكن الله أبرأه في الحال . أخيرا ذهب إلى دير الأنبا انطونيوس واستشار الشيوخ ثم قبل السيامة .

اهتـم بالفقراء ، وكان محبا للعطاء . زاهدا لم يترك لنفسه مالا يوزع حتى وزع ملابسه الكهنوتية . وإذ حلت مجاعة كان قد اشترى غلالا فكان يوزعها على كل من يطلب دون تفرقة بين مسلم أو يهودي أو مسيحي . وكان يعطي الغلال بسخاء والرب كان يبارك فيها فلا تفرغ .

مع محبتــه لشعبه واتضاعه كان يعاون العمال في أدنى الأعمال لكنه كان مهوباً للغاية ، حين يقف أمام الهيكل يسطع وجهه بنور سماوي وتلمع عيناه جداً ، متطلعاً إلى السيد المسيح الذي كثيراً ما يظهر له .

من أجــل حكمته السماوية كان الشعب يأتي للاستشارة في كل أمورهم الخاصة ، حتى السلطان برقوق لم يقبل السلطنة إلا بعد استشارته ، الذي بدوره طلب صلوات الأب مرقس الأنطوني .

طلــب منه السلطان برقوق أن يكتب إلى ملك أثيوبيا " ويدم أصغر " الذي كان شريراً ، فكتب البابا رسالة لأخيه الأكبر داود ، وإذ عارضه الرسل لأنهم خشوا الملك أصر على الكتابة لداود ، وبالفعل وصلوا اثيوبيا ليجدوا داود قد صار ملكاً فسلموه الرسالة ، أما هو فسألهم عن هديتي البابا له : الصليب والمنديل ، ولما تعجبوا كيف عرف أن له هديتان أجابهم ان البابا نفسه ظهر له ...

إذ أنكــر أحد الرهبان الايمان وكان عنيفاً يفتري على الرهبان لدى الحكام سأله البعض أن يدعو عليه أما هو فقال لهم أنه يدعو له ليرده للايمان ويمنحه إكليل الاستشهاد ، فتحقق له ذلك .

خــلال علاقته الطيبة بالسلطان برقوق أوقف تصرفات بعض الأشرار الذين أرادوا حرق كنيسة المعلقة ودير شهران بحجة وجود مبان جديدة ، فأرسل السلطان قضاة الاسلام الأربعة وحكموا بكذب الاتهام .

إذ خلــع المملوكان الأميران منطاش ويلبغا السلطان برقوق قام الأول بتعذيب البابا الذي احتمل ذلك بشجاعة أخجلت الأمير ، أما الثاني فكان عنيفاً في اضطهاده فتحدث معه البابا بشجاعة ، فقام بحبسه وأراد ضرب عنقه بالسيف ، وإذ قدم البابا رقبته قائلا : " أضرب سريعاً " . ذهل الأمير وأطلقه ... وقد سجن يلبغا ومات سجيناً بالاسكندرية .

إذ عــاد برقوق للحكم خرج القبط واليهود مع المسلمين يستقبلونه بفرح . وحينما هاجم داود ملك اثيوبيا أسوان بعث البابا رسالة إلى الملك مع أسقف ورسول من السلطان فاستجاب الملك لرسالته وعاد إلى بلاده .

كان البابا عجيبــاً في رعايته لشعبه ، خاصة الفقراء والمرضى ... وقد وهبه الله عمل الآيات وشفاء الأمراض . حدث أن عاملا سقط أثناء تجديد كنيسة السيدة العذراء وكان يحمل حجراً ، سقط تحته ومات ، فصلى له والرب أقامه .

بعــد السلطان برقوق تولى ابنه الناصر فرج السلطنة فسلك مثل أبيه ، لكن الأمير سودون اغتصب منه الحكم وكان عنيفاً ، تآمر مع بعض أعوانه على القضاء على الأقباط ، فاعتكف البابا في كنيسة أبي سيفين لمدة سبعة أيام بأصوام وصلوات حتى ظهرت له القديسة مريم وطمأنته ، فخرج وجهه يسطع كملاك . وإذ طلبه سودون صارحه بما كان ينوي عمله ضد الأقباط ثم أطلقه .

اشتدت الضيقـــة بالاقباط بواسطة أعوان سودون ، فاعتزل البابا في كنيسة الملاك ميخائيل يصلي صائما ، وإذ أرسل أحد تلاميذه إلى القصر عرف أن فارسا ضرب الأمير منذ ستة أيام (أي مع بدء اعتزال البابا) وأنه ظل معذبا حتى مات .

قام أحـــد أمراء المماليك يدعى جمال الدين بمضايقة البابا واضطهاد الأقباط ، وإذ سأله خمسمائة ألف درهم جمعها له الشعب ، لكنه عاد يضايقة طالبا حضوره فسأل الرسل الانتظار لليوم التالي ، وقد تنيح الله نفسه في ذات الليلة . لكن الله لم يترك هذا الأمير إذ غضب عليه السلطان عبد العزيز بن برقوق لوشاية وصلت لديه ، فقبض عليه وأخذ ماله وأمر الجند بضربه حتى مات .

---

١ ـ كامل صالح نخلة : سلسلة تاريخ بطاركة كرسي الاسكندرية .
٢ ـ إيريس حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية ، ص ٣ ، ص ٣٣٠ الخ ...

١٠ ـ القـــديس الأنبـــا رويـــس

يقـــول قداسة البابا شنودة الثالث بأن هذا القديس لم ينل درجة كهنوتية ولا سلك في الحياة الديرية كراهب لكنه فاق الكثير من أصحاب الرتب والدرجات ، وصار بطاركة وباباوات يطلبون صلواته عنهم .

ولـــد فريج بقرية " منية يمين " بالغربية ، وكان يساعد والده في الفلاحة كما كان يقوم ببيع الملح على جمله الصغير " رويس " : استطاع بمحبته أن يكسب حب القرية كلها .

تغـــربـــه

إذ اشتـــد الضيق في نهاية القرن الرابع عشر جحد والده الايمان أما هو فاختفى ببرية الشيخ بجوارهم . انطلق إلى القاهرة ومنها صار يطوف في القطر من قوص بالصعيد إلى الاسكندرية ، متخفيا تحت اسم جمله " رويس " . كان يحدث كل من يلتقى به عن خلاص نفسه بدموع غزيرة . عاش زاهدا للغاية ، يعمل (يغربل الحنطة) ليتصدق على الفقراء . وإذ نال شهرة عظيمة دعى نفسه " تيجي افلو " أي " الجار المجنون " .

حبـــس نفسه في خلوة في بيت سيدة تسمى " أم يعقوب " بالقاهرة ، وإذ جاع قدمت له خبزا أما هو فأخذ " ردة " مبلولة وأكلها ، فحزنت السيدة . قال لها : " لماذا يغتم قلبك على أكلي الردة دون الخبز ولا تغتمين على خطايا الناس ؟ ألا تعلمين أن الخطية تميت الروح ، أما الردة فتسند الجسد على أي الأحوال ؟ وأن كان الجسد يتألم قليلا فلكي يكف عن الخطية " .

مخافتـــه للرب ولأسراره الالهـــية

كثـــيراً ما كان يتردد عند تناوله للأسرار المقدسة ، حاسباً نفسه غير أهل لها . أحياناً كان يرى الهيكل منيراً ومجد الرب حال على رؤوس المتناولين . تارة أعلن أنه رأى الشاروبيم والساروفيم قيام حول المعمودية يرفرفون حول الطفل بفرح .

وهـــب من الله إعلانات كثيرة روحية وأيضاً صنع المعجزات ، وكان سبب توبة للكثيرين .

احتمـــاله الآلام

ســـمع عنه السلطان برقوق واشتهى أن يراه .

وحـــين استبد الأمير سودون بالبابا متاؤوس استدعى الأنبا رويس وصار يسأله عن حياته وأعماله فلم يجبه بكلمة . أمر بضربة أربعمائة عصا حتى سال دمه وهو صامت . طاف به الجند في الشوارع وهم يضربونه ويبصقون عليه ويشدون شعر رأسه ولحيته وقد بقي صامتاً ، ثم ألقوه مع تلميذ له في السجن ، فظهر لهما رب المجـــد وشفاهما ... وإذ طلب الأقباط المسجونون منه أن يصلي عنهم وكان عددهم ثمانية ، جاءهم البابا في نفس اليوم ومعه أمر الافراج عنهم .

إذ سجـــن البابا بأمر الأمير يلبغا صلى الأنبا رويس من أجله ، ثم قال ان السيدة العذراء تخلصه ... وبالفعل اقتحم بعض خصوم الأمير يلبغا السجن وكسر أبوابه وأطلقوا من به .

أصيب بمرض شـــديد فقضي السنين التسع الأخيرة من حياته ملقي على الأرض بسبب شدة مرضه ، لكنه كان وسط أتعابه سبب تعزية لكثيرين ، بل كان المرضى ينعمون بالشفاء بصلواته ، ولم يكف عن تعزية الزائرين له بكلمات روحيه عميقة .

قـــال أحد المؤمنين القاطنين بجواره عن لحظة انتقاله : " قد رأيت في تلك الساعة امرأة منيرة كالشمس جالسة إلى جانب هذا الأب ، وقد تسلمت روحه المباركة تحقيقاً لأمنيته " .

\+ \+ \+

العصـــر التركـــي

بدخـــول سليم الأول التركي مصر سنة ١٥١٧ م بعد أن غلب طومان باي ، انتهى عصر المماليك الشراكسة ، إذ انتزعت عنهم السلطة العامة والحكم لكنه ترك لهم سلطات إقليمية محلية . وقد عرف عصر التركي بالبطش والعنف مع تحطيم الحضارة

المصرية تمامـــا بنقل مهرة الفنيين والصناع والحرفيين إلى تركيا . هذا وإذ تحولت مصـــر من امبراطورية إلى بلد محكوم تابع لغيرة ، فقدت مكانها .

كان أمـــام الأتراك هدفان هما ضمان السلطة وجمع المال من كل المصريين خاصة الأقباط ، لذلك أعادوا تنظيم الدولة هكذا .

أ . أعطى للباشـــا أن يجمع الجزية وكانت مدة الباشا لا تطول حتى لا يفكر في الاستيلاء على الحكم ، هذا بدوره يجعل من الباشا جامعا للأموال على حساب المصلحة العامة .

ب . كان للجيـــش مجلس مستقل .

ج . بقـــي المماليك يديرون الأقاليم المحلية ، يهتمون بجمع المال لحساب السلطان ولحساب أنفسهم ، وكلما ضعف الوالي الموفد من الباب العالي يحتكرون السلطة الفعلية .

تحـــت هذه الظروف عاشت مصر ثلاثة قرون في مذلة سياسية وفقر علمي ومادي وانحطاط اجتماعي ، حتى قال أحد الكتاب الانجليز أنهم لم يتركوا على خريطة مصر سوى الأهرامات الخالدة .

يمكننـــا تصوير حال الأقباط في هذا العصر العصيب من الأمثلة التالية :

١ ـ التجـــأ السلطان سليمان بن سليم الفاتح إلى منجم يهودي ، فأشار عليه بقتل كل النصاري في الشرق لأنهم يمثلون خطرا على مملكته ، لكن الوزير بيرو باشا رد السلطان إلى صوابه ، كان ذلك في أيام البابا غبريال السابع (١٢٥٦ ١٥٧٠ م .

إذ فـــرض السلطان مبلغا كبيرا على غير المسلمين اضطر البابا إلى الهروب إلى دير أنبا انطونيوس ، وكان يصلي بمرارة ليتدارك الرب شعبه بالمراحم ، وتنيح هناك

٢ ـ ألـــزم السلطان مراد البابا يؤنس الرابع عشر بجزية إضافية ، جمعها خلال رحلة رعوية افتقد فيها الشعب وجمع الجزية .

في ذلك الحين شدد الحكام الأتراك الخناق على المسيحيين بالنوبة بالارهاب وابتزاز الأموال فاضطر البعض إلى الهجرة وآخرون استشهدوا والبقية أنكرت الايمان ، بذلك زالت المسيحية من النوبة .

٣ ـ في ديسمـــبر ١٥٨٢ استشهد الراهب يوحنا القليوبي الذي من دير الأنبا بيشوي ، إذ قبض عليه أحد الحكام وهو خارج الدير وحاول إلزامه بانكار الايمان ، وإذ رفض غرس سكاكين حادة في يديه وأشعل نارا على كتفيه ووضعه على جمل ليطوف به الغوغاء في المدينة ... ثم ربط على عود خشب وصار يعذبه حتى تنيح .

٤ ـ عنـــدما سيم البابا متاؤوس الثالث سنة ١٦٣١ وشى به أحد الأشخاص لدى الوالي خليل باشا بأنه قد تجاهله لعدم دفع الجزية التي لرسامته ، وإذ سمع الأراخنة طلبوا مقابلة الوالي ، فغرض عليهم غرامة قدرها أربعة آلاف قرشا تدفع

فورا ، استدانوها من رجل يهودي حتى قام البابا بسدادهـا خلال رحلتـه إلى الصعيد .

قـام الوالي بهدم الكنيسة الكبرى بالمحلة الكبرى ، وأقام مدرسة في موضعها .

سجـن البابا مرقس السادس ، كما أعلن الوالي أنه الوارث الوحيد لكل قبطي ، ولكي يرث كان يقتل كل يوم رجل أو اثنين ، فبلغ عدد ضحاياه حوالي ألفا ومائتين ، تاركا الأرامل والأيتام بلا ميراث .

٦ ـ في أيـام الأنبا متاؤوس الرابع فرضت ضريبة على كل رجل (قبطي) يخرج من بيته . وكان الأقباط يخضعون لضريبتين : ضريبة قليلة القيمة تدفع إما للمساجد أو للشيخ البكري (سليل أبو بكر الصديـق) أو لبعض العظمـاء (السادات) ، أما الثانية فعالية القيمة تدفع لخزينة السلطان . وفي سنة ١٦٦٤ أمر الوالي بتوحيد الضريبتين ، فتدفع ضريبة واحدة للسلطان وهو يقوم بتسديد ما يخص المساجد والسادات ويودع الباقي في خزينة السلطان بعد ما ينال نصيبه الشخصي ، وقد جعل الضريبة عالية وثابتة أيا كانت إمكانيات الانسان ، فاضطر الفقراء إلى الهروب في الجبال خوفا من " كرباج " الوالي وأتباعه .

٧ ـ في أيـام البابا يؤنس السادس أصدر الوالي أمره بأن يعلق كل قبطي جلجالين في رقبته عند دخوله إلى الحمام ، ويرتدي عمامة سوداء ، ولا يلبس ملابس من الجوخ أو الصوف وأن تأتزر السيدات القبطيات مآزر سوداء عوض البيضاء ... فصار البابا يحث الأغنياء على مساندة الفقراء .

٨ ـ في أيـام البابا بطرس السادس ، قامت فتنة سنة ١٧١٩ فتحولت البلاد إلى شبه حرب أهلية ، خلالها تمتع المماليك بنفوذ قوي وضاعت هيبة الوالي المعين من قبل تركيا ... وتحولت البلاد إلى حالة من الفوضى مع السلب والنهب ، وشعر الكل ـ مسلمين ومسيحيين ـ بعدم الأمان ، ففي الاسكندرية سقط الأقباط تحت غرامات مالية وهدمت الكنائس واضطر الكثيرون للهروب من المدينة ... وبقي الأمر هكذا حوالي ٨٧ سنة حتى مجيء الحملة الفرنسية ، ولم توجد فترات استقرار إلا ما ندر ولمدد قصيرة .

٩ ـ في أيام البابا مرقس الثامن بالرغم من إنشغال حسن باشا المعين من قبل تركيا بمقاتلة المماليك خاصة مراد بك وابراهيم بك ، لكنه مع هذا أصدر الأوامر الصارمة ضد الأقباط حتى أمر برجم كل قبطي لا يرتدي الملابس المخصصة بالأقباط .

+ + +

العلاقـة مع كنيسة روما وكنائس الغـرب

كـل قبطي في أعماق قلبه يشتاق إلى الوحدة الكنسية على أساس وحدة الايمان ، وللأسف في الفترة القاسية التي عاشتها مصر ككل والأقباط على وجه الخصوص تحت ظل الحكم العثماني كان دور روما مؤلما ، إذ كانت تنتهز كل فرصة

لكي تستخدم ما حل بالكنيسة القبطية من مذلة وضيق كفرصة لقبول رئاسة روما ، بكون روما منقذا ومعينا ... الأمر الذي لم يتجاوب معه الاقباط بوجه عام . نذكر على سبيل المثـــال :

١ ـ في عصـــر المماليك ساءت العلاقات بين مصر وأثيوبيا فلم يسمح المماليك للبابا أن يتصل بالكنيسة في أثيوبيا أو يرسل لهم أسقفا ، فاستغلت روما ذلك وسيم مطران برتغالي كاثوليكي ودعته " بطريرك الاسكندرية " ... لكن الملك جلاوديوس أوقفه ... وتكررت محاولات ضم أثيوبيا لروما أكثر من مرة وسط ضيق الكنيسة القبطية .

٢ ـ في عهـــد البابا غبريال السابع بعث بابا روما رسلا إلى بابا الاسكندرية يقترح الانضواء تحت رعايته ، فقابلهما بلطف وأكـــد لهم تمسكه بايمان آبائه .

٣ ـ في عهـــد البابا يؤانس الرابع عشر تكرر الأمر ، وأكد الرهبان اليسوعيون المرسلون من رومـــا أن روما لن تطلب من مصـــر التخلي عن عقيدتها ، مقدمين وعود جذابة ، فعقد مجمع في فبراير ١٥٨٣ في منف وانقسم المجمع إلى فريقين ، إذ رأى البعض أنه لا مانع من الانضمام لكن الجانب الأكبر رفض المبدأ كنسيا ووطنيا مهما بلغ شدة الاضطهاد . تكرر الأمر في عهد البابا غبريال الثامن .

٤ ـ في عهـــد البابا يؤانس السادس حاول الغربيون السعي لدى الباب العالي لكي يتمتعوا بامتيازات بخصـــوص الأراضي المقدســـة على حســـاب الكنيســـة الارثوذكسية ... تكرر الأمر .

٥ ـ في عهـــد الأتراك ظهر نظام الامتيازات للأجانب ، فلم يكن يخضع الأجنبي لأية ضريبة مهما كسب من أموال ، ولا يحاكم أمام محاكم مصرية مهما ارتكب من جرائم ، بينما كان القبطي يرزح تحـــت عبء الضرائب و الغرامات مهما كانت امكانياته ويسقط تحت عبء الضيق بلا جريمة ارتكبها ... بجوار هذه الصورة المؤلمة كان الأجنبي يجد المال متدفقا عليه بفيض من الخارج لكي يجتذب الاقباط من كنيستهم .

٦ ـ فتح المبشرون المدارس وعرضوا على البعض السفر إلى روما مثل روفائيل الطوخي ليكمل دراسته فيها ويسام أسقفا على أرسينو (الفيوم) . لكن عاد ابابا فاستدعاه ليقضي بقية حياته في روما يشتغل في طبع كتب الصلوات القبطية مع إجراء تعديلات تتفق مع العقيدة الكاثوليكية .

أرســـل إلى روما ١٢ شابا استقبلهم روفائيل وصار يعلمهم لكي يجتذبوا عائلاتهم للكثلكة .

يعتبـــر أول أسقف كاثوليكي سيم سنة ١٧٤١ على الاقباط الكاثوليك باسم أثناسيوس ، أقام بأورشليم وجعل له نائبا عاما لكل مصر .

٧ ـ في عهـــد الأنبا يؤانس الثامن عشر أرسل البابا الروماني إليه يدعوه للانضمام .

\+ \+ \+

١ ـ البابا متـــاؤس الرابـــع

عـــاش جرجس في عائلة تقية غنية ، تثقف في الكتاب ثم انطلق إلى برية شيهيت ، وبعد ست سنوات رأى في حلم والديه حزينين لأنهما لم يعرفا عنه شيئا . استشار الآباء ثم ذهب إلى والديه ففرحا به وإذ أرادا أن يزوجاه هرب إلى الدير ، أما هما فأدركا أنه في الدير واستراحت نفساهما .

أحـــب الرهبان ، واختاروه أبا لهم وسيم قسا ، فكان أمينا في رعايته وسهره عليهم : اختير بعد ذلك بابا للاسكندرية في ٣ هاتور ١٣٧٦ش (١٦٦٠ م) فكان سنداً لشعبه وسط الضيق الشديد الذي حل بهم من الحكام .

إذ أراد أحـــد الأقباط التقرب من الوالي وضع مبلغا ثقيلا على اخوته بجانب الضريبة المفروضة . نهاه البابا عن هذه القسوة فلم يسمع له ، عندئذ حرمه ، ولم تمض غير مدة قصيرة ومات شر ميتة .

ذهبـــت سيدة تشكو رجلها لأنه تزوج بأخرى ، فاستدعى البابا الرجل وزوجته الثانية ووبخهما . فأجابت السيدة أنها حامل ولا تقدر أن تنفصل عنه : أجابها بحزم : " السيد المسيح يفصل بين الحق والباطل " ثم صمت . للحال رجعت السيدة ليسقط جنينها فامتلأ الشعب من مخافة الله .

ذهـــب بعض الغوغاء إلى كنيسة الشهيد مرقريوس لهدمها ، وقد طلبوا من الديوان أن يعين لهم " أغا " يشرف على الهدم الأثيم . أما البابا فلم يكن أمامه ملجأ سوى الآب السماوي ، فقضي الليلة كلها ساهرا مصليا . إذ بات الغوغاء بجوار الكنيسة ليبدأوا عملهم في الصباح الباكر سقطت حائط منزل مجاور عليهم فماتوا جميعا ... عندئذ لم يجسر أحد على هدم الكنيسة .

كتـــب رسالة عن حقيقة الوجود الالهي في سر الافخارستيا ، بفكر أرثوذكسي سليم .

إذ شعـــر أن أيام غربته قد أوشكت على النهاية مضى إلى مقبرة البابوات بكنيسة أبي سيفين ليصلي . ثم قال بصوت مسموع " انفتحي واقبليني لأسكن مع أخوتي " .

في ذلـــك الوقت زار فنسليب ـ راهب دومينيكاني ـ مصر ، وكتب " تاريخ الكنيسة القبطية " ، سجل خلال مشاهداته الحياة الكنسية القبطية ، وقد حمل معه من مصر حوالي ٣٠٠ مخطوطة .

وفي عهـــده أيضا حاول بعض البندقيين سرقة إيقونة للملاك ميخائيل بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ، ولكن السفينة لم تبحر حتى أعادوها إلى مكانها . قيل ان هذه الايقونة من عمل القديس لوقا الانجيلي .

\+ \+ \+

٢ ـ المعلـــم رزق (رزق أغـــا)

من كبـــار الشخصيات القبطية في القرن الثامن عشر ، كان متضلعاً في العلوم الكنسية والحساب والفلك : اعتمد عليه علـــي بك الكبير حتى جعله وزيراً له .

عنـــدما زار الرحالة الانجليزي بروس مصر في طريقه إلى أثيوبيا ، ظن المسؤولون عن الميناء أن ما يحمله من أدوات فلكية وجغرافية إنما هي معدات عسكرية فاحتجزوها ، لكن المعلم رزق أفرج عنها وتعرف على استعمالها ، وحينما أراد الرحالة أن يقدم للوزير هدية قيمة رفض ، بل على العكس أنزله في منزل خاص واهتم بضيافته[١] .

تسلـــم أمن مديرية القليوبية ، فأدى واجبه ضد العصابات .

بسبـــبه نال الأقباط الكثير من الراحة ، ورغم أمانته اغتاله أبو الذهب ، بل وعلق جثمانه على باب زويلة لمدة يومين دون أن يجسر أحد على أن ينزله ويدفنه .

---

١ ـ كامل صالح نخلـــة : تاريخ الأمة القبطية ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

\+ + +

٣ـ الأنبـــا يوســـاب (ابن الأبـــح)

ولـــد في النخيلة ، جنوب أبو تيج ، وتعلم في الكتاب الملحق بالكنيسة ... فتعلقت نفسه بمحبة الله ، واشتاق إلى حياة البتولية . وإذ بلغ الخامسة والعشرين ذهب إلى بوش حيث يقيم رئيس دير الأنبا انطونيوس .

انطلـــق إلى دير الأنبا انطونيوس ، فكرس حياته للعبادة مع الدراسة ومداومة الاطلاع مع حب شديد لخدمة أخوته ، فسيم قساً ثم قمصاً دون تغيير اسمه " يوسف " .

طلـــب البابا يؤنس الثامن عشر مقابلته ، وإذ تعرف عليه عن قرب اشتاق إلى سيامته أسقفاً ، فاستبقاه معه في الدار البطريركية حتى سامه على ايبارشية أخميم وجرجا باسم " الأنبا يوساب " .

كان قد سبق سيامته أسقفاً باسم " أنبا انطونيوس " إنحاز إلى الكثلكة ، فثار الشعب عليه ، وتشكك الوالي في أمره فسجنه حتى تشفع فيه قنصل فرنسا فأفرج عنه لكه لم يحتمل تجاهل الشعب له وتنكره لهذا التصرف فاضطر إلى السفر إلى روما .

صـــار الأنبا يوساب يفتقد الشعب ويشرح لهم العقيدة الأرثوذكسية لنزع كل بلبلة أثارها الأنبا انطونيوس .

عنـــدما أرسل بابا روما إلى بابا الاسكندرية يطلب الانضمام إليه تحت سلطانه ، طلب البابا الاسكندري من الأنبا يوساب أن يشرح لروما عقيدة إيماننا .

وضـــع هذا الأسقف الكثير من الكتب والرسائل والمقالات ، وإن كان قد نسب بعضها للبابا يؤنس كنوع من الاتضاع وإنكار الذات .

\+ + +

٤ ـ المعلـــم ابراهيم الجوهـــري[١]

نشـــأتـــه

رجـــل عصامي نشأ في القرن الثامن عشر من أبوين متواضعين فقيرين تقيين ، والده يسمى يوسف الجوهري كان يعمل في الحياكة بقليوب . تعلم في كتاب بلده الكتابة والحساب واتقنهما منذ حداثته ، فكان يقوم بنسخ بعض الكتب الدينية ويقدمها للبابا يؤنس الثامن عشر (بابا ١٠٧) سر البابا من غيرته وتقواه وقربه إليه ، وكان يقول له : " ليرفع الرب إسمك ، ويبارك عملك ، وليقم ذكراك إلى الأبد " .

بـــدأ عمله ككاتب لدى أحد أمراء المماليك ، توسط له البابا لدى المعلم رزق رئيس كتاب على بـــك الكبير ، فاتخذه كاتباً خاصاً له ، واستمر في هذه الوظيفة إلى آخر أيام على بـــك الكبير الذي ألحقه بخدمته ، ولما تولى محمد بك أبو الدهب مشيخة البلد اعتزل المعلـــم رزق من رئاسة الديوان وحل المعلم ابراهيـــم محله ، فبدأ نجمه يتألق في مصـــر ، حتى صار رئيس كتاب القطر المصري في عهد ابراهيم بـــك ، وهي تعادل رتبة رئاسة الوزارة الحالية ... هذا المركز زاده وداعة واتضاعاً وسخاء فاجتذب القلوب إليه .

تجـــاربـــه

كان لـــه ابن يدعى يوســـف وإبنة تسمى دميانـــه ، مات الأول بعد ما أعد له منزلا بكل إمكانياته ليزوجه ... فكانت نفس الوالدين مرة للغاية حتى سمر الرجل الباب بمسامير وكسر السلم كي لا يدخل أحد البيت ، لكن تحولت المرارة إلى حب شديد لمساعدة الأرامل والأيتام وتعزية كل حزين أو منكوب . وقد ظهر القديس أنبـــا أنطونيوس لزوجته كما له في نفس الليلة وعزاهما .

حـــدث انقلاب في هيئة الحكام ، وحضر إلى مصـــر حسن باشا قبطان من قبل الباب العالي فقاتل ابراهيم بـــك شيخ البلد ومراد بك واضطر إلى الهروب إلى أعالي الصعيد ومعهما ابراهيم الجوهري وبعض الأمراء وكتابهم ... فنهب قبطان باشا قصور البكوات والأمراء والمشايخ واضطهد المسيحيين ، وقام بسلب ممتلكات المعلم ابراهيـــم وعائلته وكل ما قد أوقفه على الكنائس والأديرة .

اضطرت زوجتـــه إلى الاختفاء في بيت حســـن أغـــا ، لكن البعض دل الباشـــا عليها ، فاستحضرها وأقـــرت بكل ممتلكاتهما ، كما استحضر أيضـــاً ابنتها دميانة التي طلبت من الباشـــا مهلة جمعت فيها بعض الفقراء لتقول لـــه : " إن أموال أبـــي

في بطون هؤلاء وعلى أجسامهم " ... ويبـــدو أن الباشـــا تأثر لذلك إلى حد ما فلـــم يبطش بهـــا .

عـــاد ابراهيم بك ومراد بك ومعهما المعلم ابراهيم إلى القاهرة في ٧ أغسطس ١٧٩١ ، وكان المعلم ابراهيم محبوباً من السلطات جداً ومن الشعب حتى دعى " سلطان القبط " كما جاء في نقش قديم على حامل الأيقونات أحد هياكل كنائس دير الأنبا بولا بالجبل الشرقي ، وأيضاً في كتابه بقطمارس محفوظ بنفس الدير .

قـــال عنه الجبرتي المؤرخ الشهير : [إنه أدرك بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظيم الصيت والشهرة ، مع طول المدة بمصر ما لم يسبق من أبناء جنسه ، وكان هو المشار إليه في الكليات والجزئيات ، وكان من دهاقين العلم ودهاتهم لا يغرب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور ، ويداري كل إنسان بما يليق به من المداراة ، ويفعل بما يوجب من انجذاب القلوب والمحبة إليه ، وعند دخول شهر رمضان كان يرسل إلى غالب أرباب المظاهر ومن دونهم الشموع والهدايا ، وعمرت في أيامه الكنائس والأديرة ، وأوقف عليها الأوقاف الجليلة ، والأطيان ، ورتب لها المرتبات العظيمة ، والأرزاق الدائرة والغلال] .

قـــال عنه الأنبا يوساب الشهير بابن الأبح أسقف جرجـــا وأخميم إنه كان محباً لكل الطوائف ، يسالم الكل ، ويحب الجميع ، ويقضي حاجات الكافة ولا يميز أحداً عن الآخر في قضاء الحق .

خـــلال علاقاته الطيبة مع السلاطين في مصـــر والاستانة كان يستصدر فرمانات خاصة ببناء الكنائس وإصلاحها . كما قدم الكثير من أمواله أوقافاً للكنائس والأديرة ، واهتم بنسخ الكثير من الكتب الدينية على حسابه لتقديمها للكنائس .

وداعتـــــه

قيـــل أن أخاه جرجس جاءه يوماً يشتكى له من بعض الشبان انهم أهانوه في الطريق ، سائلا إياه أن يتصرف خلال سلطانه ، فقال له أنه سيقطع ألسنتهم ... وفي اليوم التالي إذ كان أخوه يسير في نفس الطريق وجد الشبان يحبونه ويكرمونه جداً . فلما سأل أخاه عما فعله معهم ، أجاب أنه أرسل لهم عطايا وخيرات قطعت ألسنتهم عن الشر .

قيـــل عنه أيضاً إذ كان يصلي في كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة ، وكان متعجلاً أرسل إلى القمص ابراهيم عصفوري ـ من علماء عصره ـ يقول له : " المعلم يقول لك أن تسرع قليلا وتبكر بالصلاة ليتمكن من اللحاق بالديوان " . أجابه الكاهن : " المعلم في السماء واحد ، والكنيسة لله لا لأحد . فان لم يعجبه فليبن كنيسة أخرى " . إذ سمع المعلم ابراهيم تقبل الاجابة بصدر رحب دون غضب أو ثورة ، ولكنه حسب ذلك صوتاً من الله إذ بنى كنيسة باسم الشهيد أبي سيفين بالجهة البحرية لكنيسة السيدة العذراء ... أما الكاهن فجاء يهنئه على بنائها ، قائلا : " حمداً لله الذي جعل استياءك سبباً في بناء كنيسة أخـــرى فزادت ميراثـــك وحسناتك " .

حبــه لخدمــة الآخــرين

عــاد المعلم ابراهيم بعد قداس عيد القيامة المجيد ليجد أنوار بيته مطفأة كلها ، وإذ سأل زوجته عن السبب أجابته : " كيف نستطيع أن نبتهج بالنور ، ونعيد عيد النور المنبثق من القبر الفارغ وقد حضرت عندي في المساء زوجة قبطي سجين هي وأولادها في حاجة إلى الكسوة والطعام ؟ ! وقد ساعدني الله ، فذهبت إلى زوجة المعلم فانوس الذي نجح في استصدار الأمر باطلاق سراحه " . فذهب المعلم ابراهيم وأحضر الرجل وزوجته وأولاده إلى بيته لكي يضيء الأنوار ويبتهج الكل بالعيد أما ما هو أعجب فان هذا السجين الذي أكرمه المعلم في بيته إذ قدم له عملا ، قال للمعلم بأن هناك صديق له هو أولى منه بهذه الوظيفة وأكثر منه احتياجا ، ففرح المعلم ابراهيم باتساع قلب هذا الرجل ومحبته ، وقدم عملا لصديقه .

محبــة غالبــة للمــوت

انتقــل المعلم ابراهيم في ٢٥ بشنس سنة ١٥١١ الموافق ٣١ مايو ١٧٩٥ ، فحزن عليه أمير البلاد ابراهيم بــك الذي كان يعزه جدا ، وقد سار في جنازته ، ورثاه البابا يؤنــس .

لم تنتــه حياته بموته فقد قيل أن رجلا فقيرا اعتاد أن يأتيه (ربما من بلد أخرى) بطريقة دورية يطلب معونة ، وإذ جاء كعادته وبلغ داره عرف انه تنيح فحزن جدا . سأل عن مقبرته ، وانطلق إليها يبكي ذاك السخي بمرارة ، حتى نام من شدة الحزن ، وظهر له المعلم ابراهيم يقول له : " لا تبك ، أنا لي في ذمة (فلان الزيات ببولاق) عشر بنادقه ، فسلم عليه مني واطلبها منه فيعطيها لك " . إذ استيقظ الرجل خجل أن يذهب إلى المدين . بالليل ظهر له المعلم مرة أخرى في حلم وسأله أن ينفذ ذات الأمر ... لكنه تردد في الأمر . وفي المرة الثالثة قال له : " لا تقلق ، أذهب كما قلت لك ، وسأخبره بأمرك " . فقام الفقير وذهب إلى الرجل دون أن ينطق بكلمة . تفرس فيه الرجل وطلب منه أن يروي له ما حدث معه . وإذ روي له ذلك ، قال : " بالحق نطقت ، لأن المعلم ابراهيم تراءى لي أنا أيضا ، وأبلغني بالرسالة التي أمرك بها . فاليك ما في ذمتي ، وهذا مثلها أيضا مني " .

محبــة بــلا تعصــب

يــروي لنا توفيق اسكاروس في كتابه : " نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر " ان أسرة سريانية أرثوذكسية من حلب لاتزال تقيم قداسات إلهية باسم هذا الراحل ، ذلك أن عائلهم وجد ضيقا شديدا ونهبت أمواله في حلب ، فجاء إلى مصر ، واهتم به المعلم ابراهيم وسنده في عمل التجارة فانجح الرب طريقه واقتنى

ثروة ضخمة ورجع إلى عائلته يروي لهم ما فعله هذا القبطي به ، فرأوا أن يقيموا قداسات باسمة اعترافاً بفضله .

---

١ ـ القمص تادرس يعقوب ملطي : قاموس آباء الكهنة وقديسيها ، ١٩٨٦ ، حرف ج .

+ + +

الحملـــة الفرنســـية

مع ان الحملة الفرنسية تمثل فترة قصيرة جداً بالنسبة لتاريخ مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) ، لكنها تمثل دوراً هاماً في تاريخ الأقباط .

جـــاء نابليون بونابرت ـ وليد الثورة الفرنسية ـ إلى مصر ، وهو يريد أن يقيم امبراطورية في الشرق الأوسط تحت دعوى الدفاع عن الاسلام وليس مقاومته . ففي خطابه عند أسوار الاسكندرية قال : " لسنا كفار العصور الهمجية الذين يأتون إليكم لمحاربة إيمانكم . إننا نعترف بأن إيمانكم رفيع القدر ، وسوف نعتنق دينكم إذ حلت الساعة التي يصبح فيها الفرنسيون الراشدون مؤمنين حقيقيين " . هكذا لم يترك فرصة إلا ويظهر وده للمسلمين والاسلام . فبعد احتلاله البلاد ، قبل شهر من نزوله إلى الاسكندرية ، أمر بالاحتفال بالمولد النبوي بطريقة تلفت الأنظار ، وقد لبس بونابرت ـ الذي أدرك المسلمون أنه في أعماقه لا يؤمن بالدين ـ الزي الشرقي الجميل ولبس عمامة ، وصحب جميع قادته إلى المسجد الرئيسي مع مائة شيخ ليتلو التواشيح ويحرك رأسه متظاهراً بالتقوى .

كان بونـــابرت يشعر أن المسلمين يحتملون حكمه كرهاً وأنهم يترقبون الفرصة للتخلص منه ، وقد ظهر ذلك في ثورة القاهرة بجامع الأزهر ضده ، حيث قتل عدد كبير من الفرنسيين كما قتل عدد ممن عاونهم سواء كانوا مسلمين أو أقباطاً . لقد عفى بونابرت عن الثوار ، ومع هذا إذ احتلت القوات العثمانية قلعة أبي قير أظهر المسلمون فرحهم وبهجتهم . عاد نابليون فهزم العثمانيين ، وجاء العلماء والأعيان يهنئونه بترحيب مصطنع ، فقال لهم : " إني أعجب من حزنكم لانتصاري . إنكم لم تقدروا موقفي إزاءكم حتى الآن ، مع إني كررت لكم إنني مسلم وإني مؤمن بأن لا إله إلا الله وإني أجـــل النبي وأحب المسلمين " ... بقي يحاول إظهار صدق نيته لكن بقي المسلمون يتطلعون إليه كرجل يقود جيشاً من الكفار .

مـــع محاولة بونابرت كسب ود المسلمين بكل طريقة ، لكنه ربما لأنه وليد الثورة الفرنسية فكان مشبعاً بروح الاخاء ، أو لأنه شعر بحاجته لخبرة الأقباط خاصة في جمع الضرائب ، لم يحمل روح اضطهاد ضد الأقباط ، لكنه لم يمنحهم حقوقاً تذكر ... بل كتب إلى الجنرال كليبر في ٢٢ أغسطس ١٧٩٩ م : " ... كنت مزمعاً ، إن سارت الأمور سيرها الطبيعي ، أن أضع نظاماً جديداً للضرائب يجعلنا نستغنى عن خدمات الأقباط ... " لعله أراد بذلك جمع مبالغ طائلة من الضرائب أكثر

مما يجمعها الأقباط ، أو ربما أراد بذلك إرضاء عامة المسلمين ليبرز كزعيم لهم .

يمكننا القول بأن نابليون لم يضطهد الأقباط لكنه لم يكن رفيقاً لهم ، بل كان يعمل على استبدالهم بأوروبيين لجمع الضرائب .

لقــد طلب الأقباط من بونابرت أن يلغي القيود المفروضة عليهم فأرسل إلى المعلم جرجس الجوهري كتاباً بتاريخ ٧ ديسمبر ١٧٩٩ جاء فيه : " يمكنك أن تعلنهم من الآن بأني سمحت لهم بحمل السلاح وركوب البغال والخيول ولبس العمائم والتقمش بالقماش الذي يليق بهم[١] ". إلا أن بونابرت لم يلبث أن تراجع عن خطته ، وأمر باتباع هذه القيود مراعاة لشعور الأغلبية الاسلامية وكسب رضاها ، وأن يضرب صفحاً عن الأقلية القبطية[٢] .

لــم يبدأ ميل الفرنسيين للأقباط إلا بعد أن تولى كليبر الحكم وقامت ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين ، فألغيت الاجراءات الاستثنائية ضد الأقباط[٣] .

بعــد مصرع كليبر تولى مينــو القيادة وكان قد أسلم ليتزوج بسيدة مسلمة[٤] ، فأخذ يتعسف بالأقباط ، وطردهم من الوظائف الحكومية وجباية الأموال[٥] .

أمــا قصة المعلم يعقوب حنا فمع ما بدا من تحالفه مع الفرنسيين إذ أقامه كليبر رئيساً للجيش لكن فكره كان غامضاً ، لم يكن ممكناً للكثيرين إدراكه ... حقاً إن غالبية المؤرخين المسلمين لم يشكوا في وطنيته ، إذ لم يتهم بالخيانة ، لكنه كان بحق أول صوت ارتفع من أرض مصر يطالب باستقلال البلاد عن الدولة العثمانية ، لذا بذل كل الجهد لايجاد جيش وطني مصري . لقد شعر الفرنسيون بالحاجة ، فأحبوه واعتمدوا عليه ، فأحبهم ولم يخنهم ... لكنه لم يكن يطلب احتلالهم إنما كان يسعى لاستقلال بلاده ... لقد رأى في الاحتلال الفرنسي الفرصة سانحة للاستقلال عن العثمانيين ، فقاتل مع الفرنسيين ضد المماليك في الصعيد ، فمنحوه رتبة الجنرالية ، باغياً استقلال البلاد .

عنــدما وقع الفرنسيون معاهدة ١٨٠١ تاركين القاهرة للأتراك ، فضل المعلم يعقوب أن يغادر مصر إلى فرنسا على سفينة حربية انجليزية ، وكان يحمل معه مشروع استقلال مصــر ، وهو مشروع يقوم على أن تعارض مصلحة الدول الكبرى خاصة

---

١ ــ توفيق اسكاروس : نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر ، ١٩١٣ ، ص ٢٩٠ .

٢ ــ رياض سوريال : المجتمع القبطي في مصر في القرن (١٧) ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٣ .

٣ ــ المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

٤ ــ عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية ، ١٥٨ ، ح ٢ ، ص ١٩٧ .

٥ ــ يعقوب نخلة روفيلة : تاريخ الأمة القبطية ، ١٨٩٨ ، ص ٢٩٥ .

٦ ــ راجــع : **رياض سوريال** : ص ٩٥ ــ ١٠١ : **شفيق غربال** : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريوس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ ، ١٩٣٢ ، ص ٤١ ٨ ٥١ : **الدكتور أحمد عزت عبد الكريم** : بحث في كتاب الجمل في التاريخ المصري ، ١٩٤٢ . **الدكتور محمد صبري** : تاريخ مصر الحديثة ، ١٠٢٦ ، ص ٢٩ : **أحمد زكي بدوي** : تاريخ مصر الاجتماعي ، ١٩٣٥ ، ٢٠٩ .

فرنسا وانجلترا يتطلب استقلال مصر فتستفيد كل الدول الأوروبية من التجارة معها[٦] ... لكن موت يعقوب في البحر دفن معه هذا المشروع .

+ + +

شخصيات قبطية أثناء الحملة الفرنسية

١ ـ الجنـرال يعقـوب

ارتبـط اسم الجنرال يعقوب بالحملة الفرنسية ، كان قبل مجيئها مدير جالية سليمان بك ، عرف بقدرته الادارية والمالية وكفاءته في الفروسية ، لذا جمع ثروة طائلة . ساعد مراد بك في الحرب فكان نصيبه النصر ، وإذ جاءت الحملة الفرنسية رأى تأييدها المؤقت ليخلص البلاد من تبعيتها للدولة العثمانية . اشترك مع ديزيه في حربه ضد المماليك في الصعيد فغلبهم ببسالته التي شهد له بها من الجميع ومعرفته بطبيعة البلاد واتصالاته ... وكان أهل الصعيد يدعون فرقة ديزية : " جيش المعلم يعقوب " .

كانت رغبته هى تحرير مصر واستقلالها ، وقد وضع مشروعا للاستقلال ، كان يود تقديمه لانجلترا وفرنسا ... لكنه مات وهو في الطريق على السفينة الحربية الانجليزية .

٢ ـ أنطـون أبو طاقيـة

عـرف بأبـى طاقية لأن والده كـان يشتغل بتجارة الطواقي ، أو لأنه إذ رأه نابليون في أواخر ١٧٩٩ ، وكان في حاجة إلى مال ، نزع المعلم أنطون طاقيته من فوق رأسه وملأها له مالا ، فارتفع في عيني نابليون ، وعينه في وظائف كثيرة ، وإذ كان مترفقاً بالمصريين على وجه العموم في جمع الضرائب قبض عليه الفرنسيون وسجنوه في القلعة حتى يدفع ما تأخر على البلاد ، فدفعه من ماله الخاص .

لمـا ترك الفرنسيون مصر قبض عليه محمد علي وقتله مع اثنين من كبار الأقباط هما المعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركـات في بؤونه ١٥١٨ ش (سنة ١٨٠٢) ، وقام ببيع ممتلكاتهم في مزاد علني .

في سنـة ١٨٥٣ سافر حفيده إلى باريس ، وهو المعلم ابراهيم عوض ، يطلب من نابليون الثالث المال الذي دفعه جده لنابليون الأول ، فرد عليه بان ما دفعه أبو طاقية إنما هو ضريبة قدمها عن الاقباط ، ولم يعطه سوى نفقات سفره .

القـس منسي يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ، ١٩٨٣ ، ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

٣ ـ المعلـم ملطـــي

كان كاتبـاً عند أيوب بك الدفتردار (أي لدى وزير الخزانة في ذلك الحين) من مماليك محمد بك أبي الذهب ، بنيت الكنيسة القبطية الكبرى بالأزبكية في ملكه وملك المعلم يعقوب .

عنـد مجيء الحملـة الفرنسية إذ سقـط أيوب بك اعتكف المعلم ملطـي في داره . بعد فترة أسند إليه بونابرت رئاسة محكمة القضايا ، إذ كان أعضاؤها ستة أشخاص من تجار المسلمين وستة من الأقباط وقد جعلوا المعلم ملطي القبطي القاضي الكبير . كان محباً للجميع ، من مسلمين ومسيحيين .

قبـل انسحاب الفرنسيين إذ أشهر مينـو إسلامه ليستميل المسلمين ، طرد الأقباط من وظائفهم ، وكان من بينهم المعلم ملطي . وإذ عاد الأتراك إلى البلاد قبضوا عليه ، وقطعوا رأسه ، وألقوها عند باب زويلة حيث بقيت يومين دون أن يجسر أحد على أخذها ودفنها . استولى الأتراك على داره وعلى أمواله ، وقد بقيت سيرته تشهد له عن حبه لوطنه .

\+ + +

القـرن التاسـع عشـر

عهـد محمـد علـي باشـا

لسـت في موقف من يقيم أعمال محمد على باشا الذي خلص مصر من متاعب المماليك والأتراك بقيامه بحركة استقلال عن الدولة العثمانية ، وكان يقف خلفه الكثير من الشعب المصري من بينهم رزق أغا حفيد المعلم رزق رئيس الدواوين في عهد على بك الكبير ، فعينه حاكماً على إقليم الشرقية ، كما عين بعض الأقباط كحكام لأقاليم أخرى .

مع اهتمـام محمد على باشا بتنمية الزراعة وكل موارد البلاد لكنه احتكر الزراعة والتجارة والصناعة ، وإن كان قد أوجد طبقة من الاقطاعيين هم من أفراد أسرته ورجال حكومته وأنصاره من الأتراك الشراكسة ، ومن النادر كان يخص قبطي هذه الاقطاعيات .

كان محمد علـي جشعاً في طلب المزيد من الضرائب ، وإذ قام المعلم جرجس بمقاومة ذلك حقق المعلم غالي لمحمد علي رغبته . شعر الأول بالخطر يحدق به فاضطر إلى الهروب إلى الصعيد ، بينما عين الثاني كبيراً للمباشرين . لكن جشع محمد على المتزايد أدي في النهاية إلى عزل غالي وحبسه ثم نفيه إلى دمياط ، وفي سنة ١٨٢٢ م قتله ابراهيم باشا في زفتى ، وذلك بسبب خطاب مزيف كتبه المعلم فرنسيس باسم

محمد علي باشا موجه إلى لاون الثاني عشر بابا روما يطلب منه إقامة ابراهيم كاشور رئيس أساقفة على ممفيس مقابل إخضاع قبط مصـــر لسلطانه . وقد جاء هذا الخطاب ثمرة لخلاف احتدم بين المعلم فرنسيس والأسقف مكسيموس في قضية طلاق .

أرســـل محمد علـــي باشا إلى باسيليوس ابن المعلم غالي يعزيه في أبيه ، فانحنى باسيليوس يقبل يـــد الباشا وهو يقول : " أطال الله بقاءكم ، فما دمتم باقين لم أفقد أبي " ، فعينه في وظيفه أبيه .

بدخـــول المعلم غالي وابنه وأخيه وعائلاتهم وأنصارهـــم في الكثلكة أصبح للكنيسة الكاثوليكية كياناً في مصر .

هـــذا ويلاحظ أن الأقباط قد حرموا في عهد محمد على من شرف الجندية ، وبالتالي منعوا من المدارس الحكومية التي أنشأها لأغراض عسكرية . لهذا لم يفد محمد علي قبطياً واحداً في بعثاته العلمية إلى أوروبا ، لقد وجدت في البعثات الأخيرة أسماء بعض المسيحيين لكنهم لم يكونوا من الأقباط .

لقـــد بقي الأقباط ، كما يشهد التاريخ ــ حتى في أحلك العصور أمناء لوطنهم . وقد برز ذلك عندما أوفد قيصر روسيا مندوباً للكنيسة القبطية ، يقول للبابا بطرس الجاولي بأنه يقوم بحماية الأرثوذكس . سأل البابا الأمير : هل ملككم يحيا إلى الأبد ؟ أجابه أنه يموت كسائر البشر ، عندئذ قال له البابا إن الكنيسة القبطية تحت رعاية هذا الاله العظيم الذي لا تريد أن تتخذ غيره بديلا[1] . أعجب الأمير من إيمان البابا ووطنيته ، فقال : " لم تهزني عظمة الأهرام وعلوها ، ولا ارتفاع المســـلات وكتاباتها ، فما آثار الأقدمين المتعددة ونقوشهم وصنائعهم بمؤثرة في نفسي مثل الأثر الذي رأيته "[2] . إذ سمع محمد علـــي أسرع إليه يشكره حاسبا هذا التصرف قد رفع من شأن محمد على وشأن الأقباط ، أما البابا فقال له : " لا تشكر من قام بواجب عليه نحو بلاد تظلله وتظلل أخوانه في الجنسية والوطنية " ، فانحدرت الدموع من عيني محمد على وتمتعت الكنيسة بالحرية والسلام .

اعتـــرى زهرة باشا ابنة محمد علي وزوجة أحمد بك الدفتردار روح نجس ، فحار الأطباء في علاجها ، وبمشورة رجال القصر طلب محمد علي من البابا معونته فأرسل إليه الأنبا صرابامون أسقف المنوفية الذي صلى عليها وأخرج الروح الشرير .

في عهـــد محمد علي استدعى ابراهيم باشا بن محمد علي الأنبا بطرس وسأله عن خروج النور من قبر السيد المسيح في السبت التالي للجمعـــة العظيمة ، ثم طالبه أن يذهب معه إلى بيت المقدس ليرى بعينيه ما يحدث . فذهب معه ، وهناك أخبره بأنه قد اعتاد أن يدخل بطريرك الروم الأرثوذكس إلى القبر ليقيم الصلوات قبل انبثاق النور ، فسمح له أن يدخل معه . أخرج الجماهير من كنيسة القيامة وأغلق الباب ، وإذ صلى البطريركان بحرارة لينقذ كنيسته انبثق النور من القبر المقدس وطاف حول الكنيسة وشق العمود القائم على يسار الداخل عند بوابة الكنيسة حتى يراه كل الشعب .

عـــرف ابراهيم باشا بحبه الشديد لمصر والمصريين فأحبه الكل من مسلمين ومسيحيين ، وكان لا يتحدث إلا بالعربية . مرة سأله أحد الجند لماذا يطعن في الأتراك

وهو واحد منهم ، أجابه : " أنا لست تركيا ، لقد جئت مصر صبيا ، فمصرتني شمسها وغيرت من دمي ... " . لم يحكم مصر إلا بضعة شهور خلال أواخر حكم أبيه .

عهـــد سعيـــد باشـــا

أطلــق حرية العبادة من جديد بعد أن كان عباس الأول قد منع الأقباط من بناء كنائس جديدة أو حتى تجديد الكنائس القديمة ، كما أهمل التعليم بوجه عام .

في عهــد سعيد ألغيت الجزية عن الأقباط بفرمان سنة ١٨٥٥ م ، كما بدأ تجنيد الأقباط لكن البعض أساء استخدامه إذ ألقي القبض على الكثير ممن يعولون عائلاتهم ، كما حدث ضغط بالجيش لانكار الايمان .

أختــير البابا كيرلس الرابع قبل تولي سعيد الولاية بعام ، فجاءت الفرصة سانحة له للعمل الاصلاحي الروحي والعلمي والاجتماعي . ومن المواقف الوطنية الرائعة دور البابا كيرلس الرابع في تسوية النزاع بين مصر وأثيوبيا . وإذ طلب البابا من امبراطور أثيوبيا إخراج المراسلين الانجليز قام الانجليز بوضع دسائس بين الامبراطور والبابا ، وبين سعيد والبابا[٣] ، انتهت بدس السم للبابا ونياحته .

عهـــد الخـــديو اسماعيـــل

إذ رأى في البابا ديمتريوس الثاني (١١١) حبه في نشر التعليم كسابقه البابا كيرلس الرابع منحه ألفا وخمسمائة فدان للمدارس القبطية ، كما ساعده في مقاومة الارساليات البروتستانيــة ربما لأن الخديوي رأى فيها الفرصة لينقل الأجانب إلى أوروبا صورة عن ظلم الفلاحين .

عنــدما هاجمت الطوائف البروتستانية الكنيسة القبطية وأحرقوا أيقوناتها شكاهم البابا للخديوي فأمر بنفيهم ، لكن قام قنصلا أمريكا وانجلترا بحمايتهم .

يعتبــر اسماعيل أكثر الولاة من أسرة محمد على تسامحا ، فعين من الأقباط واصف بك عزمي كبير التشريفاتيه كما عين عبد الله بك سرور مديرا للقليوبية ، وأعيد تجنيد الأقباط بصورة منتظمة .

عنــدما تحدث الخديوي مع نوبار باشا عن انتخاب مجلس شورى للنواب قال له : " عندنا أقباط أيضا بين المنتخبين ، وقد فتحنا الأبواب للمسلمين والأقباط دون تمييز " . وكان من بين أعضاء مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ قبطيان هما : جرجس برسوم عمدة بنى سلامة ، ميخائيل سلامة عمدة أشروبة .

هــذا وكما قلنا أن طبقة الأعيان في مصر كادت تتلاشى في عهد محمد علي لاحتكاره كل الموارد ، ولم تقم الملكية الفردية إلا باللائحة السعيدية سنة ١٨٥٨ ، لكنها كانت ملكية ناقصة إلى أن جاء الخديوي اسماعيل فأطلق الأيدي للعمل وامتلاك الأراضي ، فوجد الأقباط الفرصة سانحة فاهتموا بالتجارة خاصة مع السودان فصارت لهم ثروة طائلة ، وأقام تادرس المنقبادي شركة مساهمة بأسيوط سنة ١٨٨٤

للاتجار في الأودات المنزلية ، من عشورها اشتريت أراض أوقفت على مدرسة الأقباط بأسيوط ، كما أبتكر ذات الشخص سنة ١٨٩٠ إنشاء صناديق توفير في المدن قبل قيام مصلحة البريد بهذا العمل ؛ وأنشأت عائلة ويصا بقطر مصنعاً لعصر قصب السكر وتكريره سنة ١٨٩٦ كما اشترت معظم أسهم شركة سكك الحديد بالفيوم . وأنشأ بشرى بك وسينوت بك بنكاً في الصعيد لحماية التجار من المرابين . في التعيينات القضائية صدرت الأوامر العالية تضم أسماء أقباط كقضاة .

أمـــا بالنسبة للوزراء فلم يعين وزير قبطي إلا في عهد الخديوي عباس ، وكان الوزير القبطي الوحيد حتى سنة ١٩١٠ ، وهو بطرس غالي باشا ... وإن كان عهد عباس كان قاسياً على الأقباط ، إذ كان شديد البغضة للمسيحيين فأخرج كثير من الأقباط من خدمة الدولة ، وطلب من المباشرين (العاملين في الضرائب) أن يقوموا بتدريب طلبة أحداث لاستلام أعمالهم مهدداً بالقائهم في النيل إن لم يحققوا له ذلك خلال عام . وكان البعض إذا ما مضى شهر أو شهرين ولم يظهر الطالب استعداداً للتعلم يستعد المباشر للموت ، لكن يد الله العجيبة أنقذتهم إذ لم يمض العام حتى سقط عباس الأول صريعاً في قصره سنة ١٨٥٤ م(٤) .

في أيـــام توفيق باشا الذي خلف اسماعيل سنة ١٨٧٩ م حضر وفد من قبل ملك أثيوبيا يحمل هدايا نفيسة للخديوي والبابا ، ويطلب من توفيق باشا استمرار علاقات الود بينهما .

الثـــورة العرابيـــة

وقـــف الجيش المصري الذي يضم مسلمين وأقباطاً يساند عرابي الذي حاول إبعاد النفوذ الأجنبي ومقاومة طغيان الخديوي توفيق ، وإذ أصدر الخديوي أمراً بعزله ، طلب عرابي من يعقوب سامي باشا أن يدعو إلى عقد الجمعية العمومية ، فاجتمعت في وزارة الداخلية يوم السبت ٢٢ يوليو ١٨٨٢ ، حضر الاجتماع نحو خمسمائة من كبار المصريين في مقدمتهم شيخ الأزهر ، والبابا كيرلس الخامس لتؤيد عرابي . وعلى المستوى الشعبي قدم الأقباط مع المسلمين المؤونة للجيش ، وانهالت التبرعات لمساندته ليقف أمام الزحف الانجليزي .

---

١ ــ رمزي تادرس : الأقباط في القرن العشرين ، ١٩١١ ، ج ١ ، ص ٥٠ .

٢ ــ توفيق اسكاروس : نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر ، ١٩٨٠ ، ج ١ ص ٨٢ .

٣ ــ رياض سوريال : المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٦ الخ .

٤ ــ المرجع السابق ، ص ٦٥ .

٥ ــ القس (الشماس) منسي يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ، ١٩٧٩ ، ص ٦١٠ .

٦ ــ المرجع السابق ، ص ٦١٠ .

للأســف قام رعاع الاسكندرية بمذبحة عظيمة قاسى فيها المسيحيون كل أنواع العذابات ، فلجأ بعض من المسيحيين على اختلاف طوائفهم إلى البطريركية ، واضطر غالبية الأقباط إلى ترك الاسكندرية[٥] ... فحملت الثورة صبغة دينية .

في أثنــاء ذلك حدثت ثورة المهدي بالسودان ، وقبل استيلائه عليه تركه الأقباط وهربوا إلى القطر المصري ، وأرغم أسقف السودان وبعض الكهنة والشعب الذين لم يتمكنوا من الهرب إلى ترك الايمان بعد أن استشهد الكثيرون[٦] .

شخصيات قبطية في القرن التاسع عشر

١ ـ البابا كيرلس الرابع " أبو الاصلاح "

يعتبــر البابا كيرلس الرابع (البابا ١١٠) أعظم شخصية قبطية في القرن التاسع عشر ، قام بثورة روحية علمية اجتماعية . فلقب بأبي الاصلاح . فتح المدارس ، وأنشأ أول مدرسة مصرية للبنات فسبق الحكومة في هذا الأمر ، وأحضر أول مطبعة أهلية في مصر من ايطاليا وقد استقبلها بموكب ، طلب من سعيد باشا انتظام الأقباط في الجندية أسوة بأخوتهم المسلمين حتى لا يشعر الأقباط أنهم غرباء عن بلدهم . كما قام بفض النزاع بين والي مصر سعيد باشا وامبراطور أثيوبيا ثيؤدور الثاني . لكن الأمر الأخير أثار حسداً في قلب سعيد ففكر في الخلاص منه بالطريقة التركية ، أي وضع السم له في القهوة . اصطحب بطريركي الروم الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس إلى عزبة دير أنبا أنطونيوس ببوش لينطلقوا إلى الدير ، عندئذ وشي القنصل الانجليزي بالبابا إذ قال لسعيد باشا أن الثلاثة يجتمعون في الدير لطلب حماية روسيا للكنائس الأرثوذكسية بمصر . طلب الوالي عودته سريعاً لمقابلته ، أما هو فأكمل رحلته ولما عاد التقي بالوالي ، ورفض أن يشرب القهوة لديه إذ سمع العاملين بالقصر يتحدثون بالتركية ، وكان هو يعرفها . دس له الوالي السم في دواء ... وتنيح على أثره في ٣٠ يناير سنة ١٨٦٢ م .

إذ آمــن هذا المصلح العظيم بأهمية التعليم فتح دور العلم أمام جميع الطلبة بلا تمييز بين مسلم وقبطي[١] ، بل فتحها لمختلف الجنسيات ، وكان التعليم بالمجان مع منح الطلبة الكتب مجاناً . اهتم بتدريس اللغات من عربية وقبطية وانجليزية وفرنسية وايطالية وتركية ، فنبغ كثيرون فيها . استعان بخبرة المدرسين من مصريين وسوريين ولبنانيين وايطاليين وانجليز ، وكان سخياً جداً معهم ... وكثيراً ما كان يحضر بنفسه مع الطلبة ويناقشهم .

اهتــم أيضاً بجانب المواد العلمية والنظرية بتنمية المواهب الفنية من موسيقى وألحان ورسم ، وكان البابا يختار الموهوبين في الألحان لتكوين خورس .

عنــدما ثار " العرفان " على المــدارس وهاجموها متهمين إياها كمصدر كفر ... لم يقاومهم إنما جمعهم وطيب خاطرهم وقدم لهم مرتبات عوض ما لحق بهم

من خسائر نتيجة ترك البعض الكتاتيب ، كما عهد إليهم التدريس في المرحلة الابتدائية .

اهتم أيضـــاً بانشاء مكتبة عامة قومية بمدرسة الأقباط بالقاهرة .

---

1. Rev. Shenouda Hanna: Who Are The Copts?, 1955, p.288.

+ + +

٢ ـ البابا ديمتريـــوس الثاني (١١١)

ســـيم بطريركاً في عهد سعيد باشا سنة ١٨٦٣ ، بعد سيامته التقى بالوالي الذي أكرمه ، وقال له : " لا تفعل مثل سلفك ، بل كل ما يلزمك قل لي عليه مباشرة وأنا مستعد لأن أؤديه لك " ، وكان يقصد بذلك أن البابا كيرلس الرابع لم يحضر عندما استدعاه بل كمل زيارته للدير ثم رجع إليه بعد الزيارة .

إذ رأى الغربيـــون علاقة الود بين الوالي والبابا تدخل القنصل الأمريكي لدى سعيد باشا فوهب الارسالية الأمريكية مبنى كبير في أول شارع الموسكي ، الشارع الرئيسي آنذاك .

بعـــد أن فتحت الدولة أبوابها للغرب بمدارسه الأجنبية تدارك الولاة كيف تقوم هذه المدارس باضعاف الروح القومية ، لذا ساعد اسماعيل باشا البابا ديمتريوس في رحلته إلى الصعيد ليرد أبناء الكنيسة إلى إيمانهم الأرثوذكسي بعد أن جذبتهم هذه المدارس بعيداً عن كنيستهم وإيمانهم .

كان رد الفعـــل عنيفاً ، فقابل الغربيون هذه الرحلة بثورة عارمة إذ حرضوا البعض على حرق الكنيسة القبطية (المطرانية) بأسيوط بدعوى أنها تزخر بالخرافات والتعاليم الوثنية ، وكان ذلك سنة ١٨٦٥ م ... وإذ لم يستطيعوا حرقها إذ شعروا بالمهابة اكتفوا بنزع الستائر والايقونات وتحطيمها .

في زيـــارة السلطان عبد العزيز لاسماعيل باشا جاء البابا لتحية الضيف الكبير ، وكانت العادة أن يقبل الكل هدب ثوب السلطان ، أما البابا فقبل صدره ناحية قلبه ، فدهش الكل ، وسأل السلطان عن سبب هذا التصرف . أجابه البابا خلال وكيله القمص سلامه الذي كان يجيد التركية : " في كتابنا المقدس آية تقول إن قلب الملك في يد الله ، فأنا بتقبيلي صدركم إنما قبلت يد ملك الملوك وسلطان السلاطين " ، فسر عبد العزيز بالاجابة ، وقرر الخديوي اسماعيل أن يمنح البابا ١٥٠٠ فدان للصرف على المدارس والمشاريع القبطية .

كان البابا مهتمـــاً جداً بانشاء المدارس والتعليم ... وقد وصف الياس الأيوبي المدارس التي نشرها الأمريكان مقارناً إياها بمدارس الأقباط : " وكانت مدرستهم الكبرى للصبيان بمصر في بادىء الأمر في يد أقباط اعتنقوا البروتستانتية ، ولم يكونوا

يحسنون الادارة ولا التعليم ، فكان كلاهما مختلا ، بخلاف مدرستي البنات في حارة السقايين والأزبكية (للأقباط) فانهما كانتا من خيرة معاهد ذلك العصر "[1] .

---

١ ـ الياس الأيوبي : عصر اسماعيل ، ج ١ ، ص ٣٢١ .

+ + +

٣ ـ الأنبـا صـرابامون أسقف المنوفية

عاصـر محمد على باشا في أيام البابا بطرس الجاولي ، عرف بحياته المقدسة وحبه الشديد للعطاء وموهبة الشفاء وإخراج الشياطين .

في شبابه ـ كان يدعى " صليب " ـ أمسكت به بعض النساء الشريرات كن قد تشاجرن في السوق وانتهت مشاجرتهن بقتل رجل ، فاتهمن هذا الشاب بالقتل . اقتيد صليب إلى المحكمة ، وهناك رفع قلبه لله وطلب بدموع معونة القديسة مريم وسائر القديسين . التفت صليب إلى القتيل في حضرة القاضي وطلب منه أن يعترف بحقيقة الأمر ، فقام الرجل وشهد عن النساء الشريرات اللواتي قتلن إياه ... فذهل القاضي وأطلق سراحه .

تـرك صليب المحكمة لينطلق إلى دير القديس أنبا أنطونيوس متعبداً لله . اختاره البابا بطرس أسقفاً على المنوفية ... وعندما طلب محمد على باشا من البابا أن يعينه في أمر أبنته زهراء باشا أرسل إليه الأنبا صرابامون الذي شفاها بالصلاة . قدم له محمد علي صرة من النقود ، فاعتذر عن قبولها معلناً أن عطايا الله مجانية ، وإذ ألح عليه سأله أن يرد الأقباط الذين طردهم رجاله من الوظائف الحكومية ، ثم أخذ القليل من المال قام بتوزيعه على الجند عند خروجه من القصر .

كان يخـرج في الليل متخفياً يحمل الطعام على رأسه ليقدمه للعائلات المستترة المحتاجة . كان يقيم فترات طويلة بالبطريركية بالقاهرة ، فتتحول إلى مستشفى تؤمها أعداد كبيرة من المرضى ، يصلي عليهم فيشفيهم الرب .

اعتـاد أن يزور أرخن هو خال يواقيم بك منصور ؛ حدث أن يواقيم مرض وهو ابن عشر شهور ، فجاءت به أمه بعد أن مات ووضعته في حجر الأنبا صرابامون ، وقالت له : " هذا وحيدي ، وقد فارق الحياة أمس مساء " ؛ فحمله بيديه ثم نفخ في وجهه وقال لها : " لا تخافي ، إبنك بخير بنعمة الله ، وسيباركه الرب ويفتح به البيت " ، فرد الرب له روحه ، وعاش حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٠٩وهو يردد هذه القصة التي روتها له والدته .

تشاجـر رجل مع زوجته وفي غضبها تركت البيت وذهبت إلى بيت للشر ، فجاء رجلها يشكوها للأسقف . طلب منه الأسقف ألا يتعجل في الحكم ، وسأله أن يعود في

اليوم التالي . تنكر الأسقف وذهب إلى البيت حيث قابل السيدة التي اعترفت له انها لم ترتكب الشر بعد ، وسألها أن تذهب إلى بيت كاهن تقي ، وفي اليوم التالي جاء الرجل ليجد الكاهن لدى الأسقف يقول له بان السيدة لديه في بيته ، عندئذ استراح قلب الزوج ، وقد همس الأسقف في أذنه أن يترفق بشريكة حياته .

إذ كـان يصلي القداس الالهي بمدينة شبين الكوم ، صرخ وسط القداس : " يا أم النور حوشي " ، ثم طلب من أحد الواقفين بجواره أن يذهب إلى البئر التي في فناء الكنيسة . ذهب الرجل ليجد طفلا يدعى ميخائيل تادرس قد سقط في البئر أثناء لعبه مع الأطفال ، فألقى حبلا أمسك به الطفل ثم رفعه ، وإذ وجد ثيابه غير مبلوله تعجب . أجابه الطفل إنه إذ سقط وجد سيدة وجهها مشرق جداً تجلس على كرسي عائم فوق ماء البئر ، حملته في حضنها حتى ألقى له الحبل ليخرجه .

تارة إذ كان راكباً حماره يتجول للافتقاد اعترضه لص قد رفع يده بالعصا ليضربه ويسلبه . قال له الأسقف : " ... أنت رفعتها ، طيب خليها مرفوعـة وسيبني " ، ثم كمل جولته وعاد ليجد اللص واقفاً وذراعه مرفوعة وهو يصرخ من الألم . شفق باللص وقال له : " يا خطيتك ياصليب (اسمه قبل السيامة) ، روح يا بني الله يباركك " ، فانفك الرباط وتاب اللص .

اسـتدعاه عباس باشا الذي أمر بقتل السحرة والمنجمين ، وقال له بهزء : " ألم تشف زهرة باشا ؟ فبأية قوة شفيتها " . أجابه : " بقوة الله " . أحس الباشا برهبة شديدة ، وقال له : " آمان يا بابا آمان " .

عاصـر أيضاً البابا كيرلس الرابع ؛ وقد دعي " أبي طرحه " ، لأنه اعتاد أن يغطي رأسه بطرحة تنزل على وجهه وتغطي عينيه[1] .

---

١ ـ توفيق اسكاروس : نوابغ الأقباط ومشاهيرهم ، ١٩١٠ ، ص ١٣١ ـ ١٥٦ .

\+ + +

٤ ـ الأنبـا ابرآم أسقف الفيـوم

سمـع الكاتب الانجليزي ليدر وهو في فرنسا عن أسقف مصري قديس ، فأسرع بالسفر إلى مصـر مع زوجته ليلتقيا به ، وقـد سجل لنا فصلا كاملا عن حياته ، جاء فيه " هذا القديس الشيخ عرفه العالم الشرقي كله ، وأدرك أنه الخليفة المباشر لسلسلة المسيحيين الأولين غير المنقطعة " . وعبرت زوجته عن هذا اللقاء بقولها : " كنا في حضرة المسيح وامتلأنا بروح الله " .

نشـــأتـــه

ولـــد هذا القديس في جالاد التابعة لايبارشية ديروط عام ١٨٢٩ م من أبوين تقيين ، وكان اسمه بولس غبريال ، وقد حفظ المزامير ودرس الكتاب المقدس منذ طفولته ، وإذ التهب قلبه ـ بحب الله دخل دير السيدة العذراء مريم " المحرق " حيث رسم راهباً باسم بولس المحرقي عام ١٨٤٨ . ولما دعاه الأنبا ياكوبوس أسقف المنيا للخدمة حول المطرانية إلى مأوى للفقراء ، وبقي أربعة أعوام رسم فيها قساً عام ١٨٦٣ . ولحبه في الرهبنة عاد إلى ديره حيث أختير رئيساً للدير ، فجاءه شبان كثيرون للتلمذه على يديه بلغ عددهم أربعون راهباً . لكنه إذ فتح باب الدير على مصراعيه للفقراء وسكب كل امكانيات الدير لحساب إخوة المسيح ثار البعض عليه وعزلوه عن الرئاسة وطلبوا منه ترك الدير .

طرد أبونا بولس وتلاميذه بسبب حبهم للفقراء فالتجأوا إلى دير السيدة العذراء " البراموس " بوادي النطرون ، وهناك تفرغ للعبادة ودراسة الكتاب المقدس .

وفي عام ١٨٨١ رسم أسقفاً على الفيوم وبني سويف والجيزة باسم الأنبا ابرآم ، فحول الأسقفية إلى دار للفقراء .

صـــديـــق للفقـــراء

خصـــص الأسقف الدور الأول من داره للفقراء والعميان والمرضى وكان يرافقهم أثناء طعامهم اليومي ليطمئن عليهم بنفسه . وكان إذا دخل عليه فقير مد يده تحت الوسادة ليعطيه كل ما يملك وإن لم يجد يعطه " شاله " أو " فروجيته " ... وله في ذلك قصص مذهله .

مطـــرانيـــة في الســـماء

جـــاء عنه أن أعيان الايبارشية رأوا المطرانية غير لائقة فاتفقوا معه على تجديدها وتوسيعها . وكانوا كلما جمعوا مبلغاً من المال يسلمونه له . أخيراً جاءوا إليه يطلبون موعداً للاتفاق مع المقاول على شروط البناء ، فتطلع إليهم قائلا " لقد بنيت يا أولادي !! ... لقد بنيت لكم مسكناً في المظال الأبدية " .

اســـتغلال عطفـــه

من الروايات المتداولة بين معاصريه أن ثلاثة شبان أرادوا استغلال حبه للفقراء فدخل إثنان منهم يدعيان أن ثالثهم قد مات وليس لهم ما يكفنانه به ، فلما سألهم الأب الأسقف : " هو مات ؟ ! " فأجابوا : " نعم مات " . ثم هز الأسقف رأسه ومد يده بالعطية قائلا : " خذوا كفنوه به " . وخرج الاثنان يضحكان ، لكن سرعان ما تحول ضحكهما إلى بكاء عندما نظرا ثالثهما قد مات فعلا .

رجـــل الصـــلاة

ذكـــر كثيرون ممن باتوا في الحجرة المجاورة لحجرته أنه كان يقوم في منتصف الليل يصلي حتى الفجر بالمزامير ، وكان يقف عند القول : " قلباً نقياً أخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدده في أحشائي " ، مردداً إياها مراراً بابتهالات حارة . وقد شهد الجميع أن صلاته كانت بروح وعزيمة قوية حتى في شيخوخته .

قـــال مستر ليدر : " لم أسمع قط في حياتي صلاة كهذه ، إذ أحسست بالصلة التي له بعرش النعمة التي تملأ الانسان استقراراً دائماً . لقد بدا لي أن الأرض تلاشت تماماً لكي تترك هذا الرجل في حضرة الله نفسه يتحدث معه بجلاء " .

إننـــا لا نبالغ إن قلنا أن مئات بل آلاف المعجزات تمت على يدي هذا الرجل وصلواته .

نســـكـــه

كان بســـيطاً في ملبسه وفي مأكله يعيش بالكفاف ، ضابطاً نفسه من كل شهوة وفي أحد الأيام اشتاق أن يأكل " فراخاً " فطلب من تلميذه أن يطبخ له ذلك . فلما أعد له الطعام قدمه ، فصلى الأب وطلب منه أن يحضره له في اليوم التالي . وتكرر الأمر في اليوم الثاني والثالث والرابع دون أن يأكل منه شيئاً حتى فسد الطعام . حينئذ قال لنفسه : " كلي يا نفسي مما اشتهيت " .

اتضـــاعـــه

يقـــول مستر ليدر : " تضايق عندما ألزمته بركوعي قدامـــه ... " .

من عادته الجميلة أنه ما كان يسمح لأحد من الشمامسة أن يتلو عبارات التبجيل الخاصة بالأسقف عند قراءة الانجيل ، ولا كان يميز نفسه عن شعبه بل يجلس على كرسي عادي كسائر أولاده . وكان يسر بدعوة أولاده له : " أبينا الأسقف " ، ولا يسمح لأحد أن يدعوه : " سيدنا " .

وعنـــدما زار البرنس سرجيوس " عم نقولا قيصر روسيا " وزوجته مصر عام ١٨٦٨ وسمعا عن القديس توجها لزيارته . اهتمت الدولة واستقبلته استقبالا رسمياً ، وحاول أعيان الأقباط أن يشتروا أثاثاً جديداً للمطرانية لكنه رفض نهائياً . ولما جاء الزائران وركعا على الأرض والأب جالس يصلي لهما بحرارة قدما له كيساً به كمية من الجنيهات الذهبية ، أما هو فاعتذر . وأخيراً أخذ جنيهاً واحداً وأعطاه لتلميذه رزق . وقد خرج الأمير من حضرته يقول أنه لم يشعر برهبة في حياته مثلما شعر بها عندما وقف أمام القديس العظيم الأنبا آبرام .

أسقفـا إنجيليـاً

يقـول عنه الأنبا إسيذوروس أنه كان عالماً في مواضيع الكتاب المقدس إلى درجة حفظه نصوصها عن ظهر قلب ، وقيل عنه أنه كان يطالع الكتاب المقدس كل أربعين يوماً مرة .

وكان يجمع شعبه كل يوم للصلاة مساءا مع دراسة الكتاب المقدس .

إخـراج الشـياطـين :

قـال الكاتب الانجليزي ليـدر : " سلطان الأسقف في إخراج الأرواح النجسة جـذب إليه كثيرون من أماكن بعيدة أكثر مما فعلته المواهب الأخرى التـي اشتهر بها " .

نيـاحتـه

قبيـل نياحته استدعى القمص عبد السيد وبعض الشمامسة وطلب منهم أن يصلوا المزامير خارج باب غرفته وألا يفتحوا الباب قبل نصف ساعة ... ولما فتحوا الباب وجدوا الأب قد تنيح في الرب .

ومن المعـروف أن الأستاذ سليم صائب حكمدار الفيوم قد نادي زوجته يوم ٣ بؤونة (١٩١٤) قائلا : " آه ! يظهر أن أسقف النصارى قد مات ... أنظري الخيول وركابها المحيطين به ، وهم يصرخون " إكئواب ، إكئواب " ، ثم قام لوقته وقابل أحد المسيحيين وسأله عن معنى كلمة " إكئواب " ، فأوضح له أنها تعني بالقبطية " قدوس " وهي تسبحة السمائيين .

إنـه لايزال ديره بالفيوم إلى يومنا هذا ، الذي به رفاته ، سر بركة للكثيرين .

---

1. Father T. Y. Malaty: ANBA ABRAAM, The Friend of the Poor, Alexandaria, 1947.

\+ + +

٥ ـ القـديس سـيدهم بشـاي

من دميـاط ، كان يعمل في وظيفة كتابية بالاسكندرية ؛ أدعى عليـه البعض زوراً إنه سـب الدين الاسلامي ، وشهد عليه اثنان أحدهما بربري والآخر حمار ، فحكم القاضي بجلـده ، ثم أركبوه جاموسة بالمقلوب ، وطافوا به في المدينة ، وكانوا ينخسونه بسياخ حديدية ويلقون عليها قاراً مغلياً حتى جاءوا به إلى باب دار المحافظة ، ولم يتركوه حتى صار على وشك الموت ، فألقوه أمام الدار .

حمـــل إلى منزله حيث تنيح بعد خمسة أيام على أثر العذابات التي أحتملها بشكر . ثار المسيحيون جميعاً ، وتدخل قناصل الدول الأوروبية ... وعرض الأمر على محمد علـــي باشا فأمر باعادة التحقيق الذي أسفر على إدانة القاضي والمحافظ ، فخلعهما من وظيفتيهما . وإذ أراد الخديوي ترضية المسيحيين سمح لهم برفع الصليب أمام جنازاتهم .

\+ + +

٦ ـ ابراهيم بك نخلـــة وصالح نخلـــة

اهتـــم الأخان بتشييد كاتدرائية كبرى على مقبرة مار مرقس مع أراخنة الاسكندرية ، كما قاما ببناء مدرسة بالاسكندرية ، وتعديل مبنى دار البطريركية .

كان البابا ديمتريوس الثاني والبابا كيرلس الخامس يشملان الأخين بعطفهما وبركتهما ، ويشجعانهما على الخدمة ، وقد عين البابا كيرلس الخامس ابراهيم ناظراً على الأوقاف المرقسية ومدرستها وأخاه صالح نخلة ناظراً على كنيسة المرقسية . وإذ مات الأخير عام ١٨٨٧ م أسند البابا كيرلس عمله لأخيه .

كان لابراهيـــم الدالة لدى البابا والمجلس الملـــي ، لهذا عندما حدثت أزمة بينهما قام بمصالحتهما .

مـــات يوم ١٤ أبريل ١٩٠٦ م في فجر سبت النور ، وكان قد أعد مواد البناء لاقامة معهد علمي بأرض المرقسية .

\+ + +

٧ ـ الايغومانوس فيلوثاؤس بغدادي صالح

أحـــد الآباء الكهنة المشهورين الذين وقفـــوا بجوار البابا ديمتريوس الثاني يسندونه في جهاده خاصة في الحفاظ على الايمان الأرثوذكسي والنهضة بالتعليم .

ولـــد سنة ١٨٣٧ م بطنطا ، تعلم في الكتاب القبطي وأجاد اللغة القبطية وأيضاً الايطالية كما تمرن على الأعمال الحسابية والتجارية . وإذ زار سعيد باشا طنطا قابله أراخنة الأقباط وسألوه أن يسمح لهم ببناء كنيسة لأن كنيستهم القديمة تهدمت ولم يسمح لهم ببناء أخرى ، فصرح لهم ، لكن السلطات المحلية وضعت العراقيل عند التنفيذ انتخب المعلم فيلوثاؤس مع المعلم عوض صليب لمقابلة سعيد باشا بمعونة المعلم فيلوثاؤس بشاي كاتب الوالي لتقديم شكواهم .. وقد نجح في مهمته .

اشتغل في قلـــم العرضحالات بمديرية " روضة البحرين " التي ضمت مديريتي الغربية والمنوفية ، وإذ ذهب مع صديقه المعلم عريان مفتاح في القاهرة لنوال بركة البابا كيرلس الرابع أعجب به البابا ، وطلب منه الالتحاق بالمدرسة الكبرى

فأطاع . عينه البابا ناظراً على المدرسة التي أنشأها في المنصورة ، واضطر إلى تركها بعد نياحة البابا كيرلس . عين مدرساً للغة القبطية في المدرسة الكبرى ومدرسة حارة السقايين . سيم كاهناً بطنطا حيث تعاون مع القمص تادرس عوض صليب البيراوي .

امتـــاز بقدرته على الوعظ والدفاع عن الايمان الارثوذكسي ... فكان يلقي عظاته في الأراضي المقدسة ، في بيروت ودمشق حيث أعجب به البطريرك الأنطاكي ، وفي الصعيد في حضرة البابا ديمتريوس الثاني . استلم الاشراف على المدارس القبطية بجانب عمله الرعوي بطنطا ، اشترك في إنشاء مجلس ملـــي يهتم بمشروعات الكنيسة العامة ، ولما حدثت منازعات بين المجلس والبابا كيرلس الخامس اقتصر على العمل الكهنوتي .

قـــدم له كل من توفيق باشا نيشاناً من الطبقة الخامسة وعباس حلمي نيشاناً من الطبقة الرابعة .

مع اهتمامـــه الشديد برد أولاد الكنيسة إلى الأم بالوعظ لم يتوقف عن التأليف من كتب ومقالات كما نشر الكثير في المجـــلات المعاصرة .

رقـــد في أول برمهات ١٦٢٠ ش ، ١٠ مارس ١٩٠٤ م .

\+ + +

٨ ـ يعقـــوب بـــك نخلـــة روفيلـــة

تخـــرج في المدرسة الكبرى التي أنشأها البابا كيرلس الرابع ، ثم صار مدرساً بها للغتين الانجليزية والايطالية ، وتسلم بعد ذلك نظارتها . تعين في المطبعة الأميرية ، ثم تسلم رئاسة مطبعة جمعية التوفيق ، وساهم في إنشاء مطبعة الوطن القديمة وجريدتها . عمل في مصلحة الأملاك الأميرية ومنحه الخديوي البكوية . ترك العمل الحكومي ليقضي عامين بالاسكندرية ، ثم صار سكرتيراً لادارة السكة الحديد بالفيوم حيث أسس مدرستين هناك وأقام فرعاً لجمعية التوفيق ... كان يهتم بانشاء المدارس أينما وجد ، وبالتأليف خاصة كتابه : " تاريخ الأمة القبطية " ، وبعض الكتب في تعلم الانجليزية . انتخب في المجلس الملـــي في عامي ١٨٨٣ ، ١٨٩٢ م .

\+ + +

القـــرن العشـــرون

لســـت أقـــدم تأريخاً للكنيسة القبطية في هذا القرن ، وإنما أود تقديم بعض ملامح الكنيسة والأحداث الهامة التي مرت بها ، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التاليـــة :

١ ـ خضعت مصر للاحتلال الانجليزي الذي كان من صالحه إيجاد فرقة بين عنصري الأمة ، المسلمين والأقباط ، لكن الأقباط أكدوا صدق حبهم لوطنهم ، وكان لهم دورهم الحيوي الفعال في تحرير مصر من الاستعمار ... لقد وجد من الطرفين من أساء فهم الآخر لكن العقلاء من العنصرين عملوا معاً بروح واحد من أجل الوطن .

نذكر على سبيل المثال أن ويصا واصف كان عضواً باللجنة الادارية للحزب الوطني ، وقد وقف بعض كبار الأقباط يساندون مصطفى كامل في بعثة للحركة الوطنية ضد الاحتلال الانجليزي لكنه دعي لربط مصر بالخلافة العثمانية كنوع من الولاء للرابطة الاسلامية العامة ، الأمر الذي أثار النفوس سواء من جهة المسلمين أو الأقباط .

قامت ثورة ١٩١٩ ضد الاحتلال الانجليزي على أكتاف المصريين جميعاً ، مسلمين وأقباط ، فتعرض الكل للنفي والسجن والتشريد . يقول الزعيم سعد زغلول في خطبته التي ألقاها يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ بانه لولا وطنية الأقباط وإخلاصهم الشديد لتقبلوا دعوة الأجنبي لحمايتهم وكانوا يفوزون بالجاه والمناصب بدل النفي والسجن والاعتقال[١] .

حينما صدر الحكم أمام محكمة عسكرية بريطانية في ٩ أغسطس ١٩٢٣ بطبع منشورين ضد الحكومة ، كان الحكم ضد أربعة من الأقباط وثلاثة من المسلمين ... لذلك يقول وليم ودل الأمريكي أن حماس القبط في المطالبة باستقلال بلادهم لم يكن بأقل من المواطنين المسلمين[٢] .

٢ ـ مع ما اتسمت به الكنيسة القبطية من صدق وطنيتها كانت بعيدة كل البعد عن الخط السياسي ، فقد آمنت بعملها الروحي ورسالتها الانجليلية لتخلق مؤمناً حياً ومواطناً صالحاً . هذا ما يؤكده عقلاء المسلمين أنفسهم حتى حينما اتهم السادات قداسة البابا شنودة الثالث أنه يتدخل في السياسة ، وأنه يريد أن يقيم دولة عاصمتها أسيوط داخل مصر ... إذ لم يكن لهذا الاتهام أي أساس ، بل هو بعيد تماماً عن فكر قداسة البابا وفكر الكنيسة . لقد أراد أن يقيم نوعاً من الموازنة بين الفكر الاسلامي المتطرف الذي تسلل إلى مصر وكان السادات نفسه يسانده حتى بدأ كرسيه يهتز فقام بالقبض على القيادات الاسلامية ، كما قبض على القيادات المسيحية تحت هذه الدعوى .

لا أريد الدخول في تفاصيل أحداث سبتمبر ١٩٨١ ، لكن كل ما فعله قداسة البابا مع رجال الدين المسيحي هو مجرد توصيل صوت الأقباط نتيجة المتاعب التي لحقت بالكنيسة خلال تسلل أفكار التطرف الاسلامي ، وما صحبه من متاعب عملية كالقاء بعض قنابل في الكنائس وقتل بعض رجال الدين ، وكانت الأيدي الغريبة تلعب دوراً لاثارة الفتنة في مصر .

لقد اتهم السادات الكنيسة ظلماً ، ولم يمض شهراً على عزله للبابا وسجنه لسبعة أساقفة وواحد خوري أبسكوبس و ٢٤ كاهناً حتى قامت إحدى الجماعات الاسلامية المتطرفة بقتله وسط العرض العسكري (٦ أكتوبر ١٩٨١) .. بعد مقتله

بدأت العلاقات المسيحية الاسلامية تعود تدريجياً لتعالج ما قد بثه من روح الاثارة والكراهية .. وقد خرج قداسة البابا من عزله وخرج رجال الدين المسيحي (ومعهم علمانيون) من السجن في عهد الرئيس حسني مبارك .. وكانت كل دول العالم تتابع هذه الأحداث .

٣ ــ من أهم سمــات الكنيسة القبطية في القرن العشرين هو ظهور مدارس الأحد على يدي الشماس حبيب جرجس ، وقد دعيت بعد ذلك مدارس التربية الكنسية ، وتخرج منها البابا شنودة والأساقفة والكهنة ، وصارت تمثل الركن الأساسي في بنيان الكنيسة .

٤ ــ في القــرن العشرين انفتحت الكنيسة القبطية على الكنائس في الخارج ، فهي عضو عامل في مجلس الكنائس العالمي ، وكثير من المجال الكنسية المسكونية مثل مجلس كنائس الشرق الأوسط ، ومجلس كنائس كل افريقيا ... كما دخلت في حوار مع كثير من الكنائس ، مثل الحوار بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية وغــير الخلقيدونية .

٥ ــ مع أواخــر الستينات بدأت حركة هجرة الأقباط إلى أمريكا وكندا واستراليا وقد تزايدت هذه الحركة جداً ولاتزال تتزايد بصورة لم تكن تتوقعها الكنيسة ، بجانب الهجرة المؤقتة للعمل في أوروبا وبعض بلاد افريقيا والدول العربية الخ ... الأمر الذي يحتاج إلى دراسات مكثفة حتى يمكن للكنيسة الأم أن ترعي أولادها وتحتضنهم فيشهدوا للفكر الأرثوذكسي .

---

١ ــ الدكتور نقولا فياض : الخطابة ١٩٣٠ ، ص ٢٤٢ .

٢ ــ مطبوعات جمعية مار مينا العجائبي بالاسكندرية : صفحة من تاريخ القبط ١٩٥٤ ، ص ١٨٩ .

شخصيات قبطية في القرن العشرين

١ ــ البابا كيرلــس الخامــس

نشأة المجلس الملــي

البابا كيرلس الخامس هو أول بطريرك قبطي يلتقي بالمجلس الملــي ، إذ صدر الأمر العالي من الخديوي توفيق بلائحة المجلس في فترة خلو الكرسي قبل رسامة البابا كيرلس الخامس .

لســت أريد الدخول في تفاصيل الأحداث ، لكن المشكلة أن هذا المجلس حسب نفسه وصياً على الكنيسة ، نشأ لا من داخل الكنيسة خلال علاقة الحب والخدمة إنما جاء ثمرة أمر عال من الخارج ، فحسب إنه صاحب السلطة ! لقد حاول البابا كيرلس

الخامس كسب رجال المجلس بالحب لكنهم كانوا يتطلعون إليه لا كأب وإنما كمن ينافسهم في السلطة . انتهى الأمر بسعي أعضاء المجلس لدى الدولة لرفع يد البابا عن جميع شئون الكنيسة الادارية وعن رئاسة المجمع ، وقد استطاعوا كسب أسقف صنبو ليقبل وكالة البابا وية ورئاسة المجلس ، فهدده البابا بالحرم . تدخل قنصل روسيا ليصالح البابا على أولاده ، وقد نجحت مساعيه ، لكن سرعان ما أصر المجلس على تعيين أسقف صنبو وكيلا للبابا ورئيسا لهم ، فكتبوا إلى مجلس النظار (الوزراء) وإلى الخديو للتصديق على قرارهم ، بأسلوب غير لائق(١) .

اجتمـــع بعض الأساقفة والكهنة بالاسكندرية وقرروا تأييدهم لقداسة البابا ، وتأكيد حرمان أسقف صنبو ومن يسير معه ، ونشر قداسة البابا قرار الحرم والأسانيد التي بنيت عليها .

تقـــدم بعض الأراخنة وعلى رأسهم الأسقف المحروم بطلب كتابي لرئيس مجلس النظار يطلبون فيه نفي البابا وسكرتير المجمع المقدس الأنبا يؤانس مطران البحيرة ، وعزلهما ، فصدر الأمر من قبل الدولة ، حيث عزل البابا في دير البراموس والمطران بدير الأنبا بولا ... وكان لهذا القرار أثره الشعبي ، فتجمعت القلوب حول البابا بقوة بينما عاش أسقف صنبو كما في عله إذ نفر الكل منه . حاول الأراخنة الاستعانة بالدولة لنزع الحرم من الأسقف ، فدعوا الأساقفة إلى القاهرة للتفاهم معهم فلم يحضر سوى ثلاثة أساقفة وعوض الحـــل أكدوا الحرم .

طالـــب مناصروا البابا بعودته فكان رئيس النظار يماطلهم ، طالبا منهم أن يتقدم البابا بطلب استرحام إلى الخديوي ، فأخبروه إن البابا يزهد كل مظاهر المجـــد ولن يقبل كتابة طلب كهذا . التقوا بالخديوي مباشرة وأوضحوا له الموقف ، يسندهم في ذلك برقيات من جميع الأساقفة ... أخيرا صدر الأمر بعودة البابا والمطران يوم ٣٠ يناير ١٨٩٣ . يقول مستر ليدر ان القاهرة لم تشهد يوما ما استقبالا مثيرا مثل الاستقبال الذي لاقاه البطريرك عند عودته(٢) .

لقـــد أكد قداسة البابا أبوته الحانية إذ حـــل الأسقف المحروم علانية أمام الأساقفة والكهنة والشعب ، كما أصدر حلا عاما للجميع ، وفتح قلبه للكل حتى للذين دبروا أمر عزله ، مقدما صورة حية لمفهوم الكهنوت الأبوي .

التقـــى بالخديوي فمنحة الوشاح المجيدي ، أعلى وسام مصري آنذاك ، كما أهداه امبراطور أثيوبيا تاجا بابويا .

أعمـــالـــه الرعـــويـــة

١ ـ عـــرف هذا البابا بحبه للعلم والمعرفة ، لذا قضي رهبنته في نساخة الكتب فعمر مكتبة ديره " البرموس " وبقية الأديرة ، ودعي " يوحنا الناسخ " . ولما سيم بطريركا أنشأ الكلية الاكليريكية كما أقام قسما بها للمرتلين . أنشأ القسم الثانوي بمدرسة الأقباط بطنطا ، شجع الأساقفة على إنشاء مدارس للأقباط بالايبارشيات ، كما شجع جمعية التوفيق على افتتاح مدارس خاصة ، مدارس البنات . أنشأ ثلاث

مدارس للرهبان بالاسكندرية وبوش ودير المحرق ، كما أرسل سبعة رهبان للدراسة بالكلية اللاهوتية بأثينـــا .

٢ ـ اهتـــم بالكهنة وحثهم على العمل الرعوي خاصة الافتقاد ... قامَ بزيارة السودان مرتين لرعاية الشعب هناك وافتتاح الكنيسة القبطية .

٢ ـ تشجيعه طباعـــة الكتب وإعادة طبع التراث اللاهوتي ... فكان عصره خصباً في الكتابة والطباعة .

المؤتمر القبطـــي في ٦ مارس سنة ١٩١١(٣)

انعقـــد هذا المؤتمر مطالباً الحكومة مساواة الأقباط بالمسلمين في كافة الحقوق المدنية والدينية ، فطلبت الحكومة من غبطة البابا أن يمنع هذا الاجتماع خشية حدوث ما لا تحمد عقباه . بحكمة كتب البابا منشوراً يحض على استخدام الحكمة والتعقل ، وفي نفس الوقت طلب من مطران أسيوط أن يقوم برعاية المؤتمر بنفسه ويلقي كلمة الافتتاح ، إذ وجد أن منع الاجتماع قد صار مستحيلا .

عـــرف البابا كيرلس الخامس بوطنيته المخلصة ، فكانت السلطات تكرمه .

---

١ راجع نص الخطاب في كتاب : يوسف منقريوس : القول اليقين في مسألة الاقبـــاط الأرثوذكسيين ، ١٨٩٣ .

2. A. H. Leeder: Modern Sons of the Pharoahs, p. 260 .

٣ ـ القس (الشماس) منسي يوحنا : تاريخ الكنيسة القبطية ، ١٩٧٩ ، ص ٥٨٩ .

\+ + +

٢ ـ حبيب جـــرجس ومـــدارس الأحد

إن كان بابا الاسكندريـــة الحالي ، الأنبا شنودة الثالث ، وكثير من الأساقفة والكهنة والشمامسة من خدام التربية الكنسية (مدارس الأحد) ، فالكل يشعر بالدين نحو الاستاذ حبيب جرجس الذي أنشأ مدارس الأحد في كل القطر مؤمناً أن الاصلاح الكنسي لا يقوم على الهجوم أو النقد اللاذع للقيادات الكنسية ، وإنما بالعمل الجاد مع الأطفال والشباب ، إذ يصيرون رجال ونساء الكنيسة في المستقبل ، ومنهم من يتسلم القيادات .

التحق حبيب جرجس بالاكليريكية يوم نشأتها في ٢٩ نوفمبر ١٨٩٣ ، وصار الواعظ الأول وعالم اللاهوت القبطي الأول في الربع الأول من القرن العشرين . وصار يدرس في الاكليريكية ، وتسلم نظارتها سنة ١٩١٨ حتى نياحته سنة ١٩٥١ .

وضـــع أكثر من عشرين كتاباً كانت تدرس بالاكليريكية ، كما ألف الترانيم الكنسية .

أنشـــأ حبيب جرجس مدارس الأحد سنة ١٩١٨ لتعويض النقص الذي يعانيه الطلبة الأقباط في دراسة مادة الدين في المدارس الأميرية وبعض المدارس الأهلية . فانه وإن كان قد نجح مرقس بك سميكة في تقرير دراسة الدين المسيحي في المدارس الأميرية سنة ١٩٠٨ ، لكن عدم وجود أساتذة متخصصين واعتبار مادة الدين إضافية إلى إهمال دراسته .

حددت اللجنة العليا لمدارس الأحد هدفها الذي تركز في خلق جيل محب للكتاب المقدس والحياة الكنسية والسلوك المسيحي بروح وطني ، مع الاهتمام بالرحلات والخلوات الروحية .

تقدمـــت مدارس الأحد بسرعة فائقة فصار لها في سنة ١٩٣٥ : ٢٠ فرعاً بالقاهرة ، ١٨ بالوجه البحري ، ٤٤ بالوجه القبلي ، ٣ بالسودان .

في عهـــد المتنيح البابا كيرلس السادس سيم نيافة الأنبا شنودة أول أسقف على المعاهد الدينية والتربية الكنسية ، وباختياره بابا للاسكندرية بقي أيضاً مسؤولا عن هذه الأسقفية .

\+ + +

٣ ـ البابا كيرلـــس الســـادس (١١٦)

مـــا أكثر ما كتب عن هذا البابا القديس في حياته كما بعد نياحته : فقد عرف أنه رجل الله ، رجل صلاة وصنع المعجزات .

عـــاش كراهب متوحد في طاحونة بمصر القديمة بعد تركه دير البراموس ، يقضي أغلب يومه في التسبيح والصلاة ، يصلي القداس الالهي كل يوم ، محب للنفوس فوهبه الله صنع الآيات . وقد اجتذب الكثيرين لحياة التكريس .

كـــون صداقة عجيبة مع القديسين خاصة مار مينا ، فكثيرا ما كان يظهر له ، وكان سندا له في خدمته ، لذلك أنشأ دير مار مينا بمريوط بجوار الآثار القديمة .

إذ ســـيم بطريركا علم الكهنة والشعب صلاة القداس الالهي يومياً . كان بابه مفتوحاً للكل ، مرحاً لكنه مهوب للغاية . وهبه الله القدرة على كشف الكثير من الأسرار ، حتى كان ينادي الكثيرين بأسمائهم دون سابق معرفة .

مـــرت الكنيسة في أيامه بفترة عصيبة ، وإذ لجأ للصلاة والخلوة مع الله صار صديقا شخصيا للرئيس جمال عبد الناصر فاستراحت الكنيسة .

في عهـــده أهدى بابا روما بابا الاسكندرية جزءا من رفات القديس مار مرقس . وفي عهده ظهر تجلي السيدة العذراء علانية على قباب كنيسة العذراء بالزيتون لساعات طويلة لفترة سنوات .

في عهـــده سيم أول أسقف عام للتعليم الكنسى للكنيسة (نيافة الأنبا شنودة) وأول أسقف للخدمات العامة والمسكونية (نيافة الأنبا صموئيل) ، بعد ذلك سيم أول أسقف عام للدراسات والمعاهد القبطية (نيافة الأنبا غريغوريوس) .

تبقى سيرته العطـــرة تملأ بيت كل قبطي في مصر والخارج .. صلواته فعالة !

\+ + +

٤ ـ البابا شنـــودة الثالـــث (١١٧)

نشـــأ قداسة البابا شنودة الثالث ـ أدام لنا الله حياته ـ خادماً للتربية الكنسية منذ شبابه المبكر ، اتسم بحب الدراسة والاطلاع بروح نسكي . كان قائداً روحياً حياً يتسم بمرحه وبشاشته وجاذبية كلماته .

إذ سيم أسقفاً على التعليم الكنسي والتربية الكنسية أقام اجتماعاً أسبوعياً للوعظ يحضره الآلاف ، بقي هذا الاجتماع حتى بعد إقامته بطريركاً ، نال هذا الاجتماع شهرة حتى في خارج مصر . يمتاز في عظاته كما في كتاباته بالحديث البسيط المتجدد والشيق مع روحانية ودقة في اللاهوتيات ، لا يترك اتجاهاً غريبـــاً يتسلل إلى الكنيسة بل يحاوره بقوة فكر إنجيلي .

قـــام بزيارات كثيرة رعوية داخل مصـــر وخارجها ، زار بطاركة وأساقفة الكنائس الشرقية ، وزار بابا روما في الفاتيكان ، كما زار رؤساء الكنائس بالغرب وألقى محاضرات في كثير من جامعات أوروبا وأمريكا وكندا ، وكان في طريقة لافتتاح مؤتمر مجلس الكنائس العالمي سنة ١٩٨٠ بملبورن ، استراليا لولا تصدع العلاقة بينه وبين السادات .

في عهـــده قدمت كنيسة روما رفات البابا أثناسيوس الرسولي لمصر .

أنشـــأ الكثير من الكنائس القبطية في المهجر ، وقام بزيارة أمريكا وكندا وانجلترا عام ١٩٧٧ ، ومن المتوقع زيارته الثانية هذا العام (١٩٨٧) .

اهتـــم بخدمة افريقيا بوجه عام فزار أثيوبيا ، وإن كانت العلاقة قد انقطعت وقتياً لاقامة جاثليق لأثيوبيا في حياة الجاثليق الأول ، وذلك لظروف أثيوبيـــا السياسية . زار قداسة البابا ليبيا والسودان وكينيا وجنوب افريقيا .. وأقام أسقفاً عاماً لخدمة شؤون افريقيا .

أنشـــأ مطبعة حديثة بمبنى الأنبا رويس ، وأقام مركزاً لوسائل الايضاح . أعاد فتح الكلية اللاهوتية بالاسكندرية ، كما نشأت كليات لاهوتية في طنطا وشبين الكوم والبلينا .

عـــرف منذ شبابه المبكر بدوره الايجابي في الحركات الوطنية ، وكان دائماً داعية لمصـــر في زياراته في الخارج ولقاءاته مع القيادات الأجنبية ... لكن السادات الذي كثيراً ما مدحه وشكره على عمله الوطني اتهمه بالخيانة .. وقام بعزله وسجن

القيادات الكنسية ، فتجمعت قلوب الأقباط حول راعيهم ، في مصـــر والخارج ، بل ودافع بعض عقلاء المسلمين عن وطنية البابا .

لقـــد عين السادات لجنة باباوية من خمسة أساقفة ، وبالرغم من اختياره لشخصيات لها سمعتها وشعبيتها لكن الشعب ككل مع الغالبية العظمى من رجال الكهنوت رفضوا كل تعاون مع اللجنة البابوية ، إذ لم يقبلوا لباباهم بديلا ، أيا كان هذا البديل ! ولاء الأقباط لباباهم بقوة وشجاعة إنما هو رمز لولائهم للكنيسة ذاتها .

في عهـــده أيضاً ظهرت القديسة مريم علانية في كنسية القديسة دميانه بشبرا ، ولاتزال تظهر حتى اليوم .

الرب يديـــم لنا حياتـــه سنينـــاً كثـــيرة لبنيـــان كنيســـة الله روحيـــاً .

+ + +

في السنوات الخمس الأخيرة بعد صدور الطبعة التحضيرية سنة ١٩٨٧ ، قام قداسة البابا شنودة الثالث بعدة زيارات رعوية في أمريكا الشمالية وأوربا واستراليا ، كما أنشئت كنائس متعددة في هذه البلاد .

أختير قداسة البابا أحد رؤساء مجلس الكنائس العالمي .

وانني اترك الحديث عن التفاصيل لملحق خاص بالكتاب إن شاء الرب وعشنا .

الفصـــل الســـادس

الكنيســـة القبطية والحياة التعبـــدية

كنيســـة عـــابـــدة

تعـــرف الكنيسة القبطية ككنيسة عابدة ، عبادتها تكاد لا تنقطع ، ليتورجياتها غنية في لاهوتياتها وطقوسها ، عميقة للغاية ومبهجة ، يمكن للطفل أن يشترك فيها ببهجة قلب ، أعيادها مستمرة كل يوم بجانب العيد الأسبوعي (الأحد) والأعياد الشهرية والسنوية ، ألحانها المتنوعة ممتعة ، قادرة بالروح الهادىء الوديع والفعال أن تتدخل إلى أعماق النفس وتهز كل كيان القلب ومشاعره لحساب ملكوت الله ، فرحها ممتزج بنسكياتها ، أصوامها تزيد عن نصف أيام السنة .

هـــذا والعبادة في الكنيسة تمثل جزءاً حياً من حياتها الكنسية ، تتفاعل مع متعتها بالكتاب المقدس وإيمانها العقيدي وحياتها النسكية ونظرتها القدسية للانسان بكل كيانه الخ ... هذه جميعها تعمل معاً بكونها " الحياة في المسيح " .

هـــذه الحياة التعبدية ليست حكراً على الكهنة والرهبان وإنما هي من صميم عمل كل عضو في الكنيسة ، الكل يشترك في العبادة ويعمل ، خلال تدبير كنسي منظم بلا تشويش ، في روحانية وعذوبة وليس خلال حرف جامد قاتل ، بروح جماعي دون انفرادية . هذا الروح التعبدي الجماعي يمارسه المؤمن حتى في مخدعه ، إذ يمارس عبادته الشخصية كعضو في الجماعـــة ، يشكر ويسبح ويطلب باسم الكل ... لأن الجميع في أعماق قلبه .

الكتاب المقـــدس والعبادة الكنسية

الكتـــاب المقدس وكنيسة الاسكندرية

اشتهـــرت كنيسة الاسكندرية منذ بدء نشأتها ، خاصة من القرن الثاني بمدرستها التي ركزت على الكتاب المقدس وتفسيره رمزياً ، هذا المنهج الذي تسلمه

العلامة أوريجانوس عن معلمه القديس اكليمندس وسابقيه . وقد قام اوريجانوس بوضعه في منهج محدد مظهراً غايته وكيفية التمتع به ، حتى صار التفسير الرمزي للكتاب المقدس في العالم كله منسوباً إليه ، لقد بالغ أوريجن في استخدامه لهذا المنهج لكنه تلمـذ الكثيرين من قادة الفكر الكنسي مباشرة أو خلال كتاباته ، وبقي أثره واضحاً حتى على مقاوميه .

لسـت هنا في مجال الحديث عن أخطاء أوريجن إذ سبق لي عرضها ، إنما أود توضيح دور الكتاب المقدس في كنيسة الاسكندرية ومدرستها ، خاصة في علاقته بالعبادة .

١ ـ مع اهتمـام مدرسة الاسكندرية منذ نشأتها بالفلسفة والعلم ، فلم تأخذ موقف العداء ضد الفلاسفة ، بل بالعكس تتلمذ بعض رجال الكنيسة في مدرسة اسكندرية الفلسفية " الموزيم " وكسبوا الكثير من قادتها للايمان ، فان نظرتها للكتاب المقدس انه ليس فلسفة فكر للاشباع العقلي البحت ، أو للحوار والجدل ، وإنما هو خبرة لقاء مع الله الكلمة وتمتع حق بعمل الثالوث القدوس في حياة الجماعة كما في حياة كل عضو فيها . ففي المنهج الاسكندري تدخل النفس بروح الصلاة والتقوى إلى حضرة الله لكي يرفعها فوق كل حرف قاتل ، ويصعد بها كما إلى حجالـه السماوي ويكشف لها عن أسراره الالهية التي لا يعبر عنها بلغة بشرية . بهذا فالكتاب المقدس في جوهره اكتشاف لكلمة الله المتجسد ـ ربنا يسوع المسيح ـ المختفي وراء الحروف ، والذي يحملنا إلى خبرة الشركة مع الآب فيه بالروح القدس . بمعنى آخر ، الكتاب المقدس هو عبادة روحية ومتعة حياة مع الثالوث القدوس ، فنختبر بنوتنا للآب أو أبوته لنا وثبوتنا في الابن وحيد الجنس وبلوغنا ثمر الروح القدس .

٢ ـ إن كان الكتـاب المقدس في جوهره لقاء مع الله وتجاوب معه بروح تعبدي تقوي ، فالعبادة الكنسية ـ سواء العامة الجماعية أو الخاصة في البيت والمخدع ـ في جوهرها تعبير عن حـب متدفق لقلوب تلاقت مع الله وتشتهي الدخول إلى أعماق جديدة لتبقى معه أبدياً في أحضانه تنعم بأسراره وأمجاده : بمعنى آخر العبادة أيضاً في جوهرها هي متعة بالحياة الانجيلية ، وإدراك لجوهر الكتاب المقدس ، واكتشاف لأسرار الكلمة .

هنـا نقف أمام الحياة الكنسية الملتهبة حباً فنجدها حياة واحدة لا يمكن تجزئتها إلى حياة تعبدية وحياة دراسية للكتاب المقدس ، فالعبادة هي دخول عملي في الانجيل ، والدراسة هي ممارسة حقـة للعبادة . كل عبادة خارج روح الكتاب باطلة ، وكل دراسة للكتاب بدون روح العبادة محطمة للنفس .

إذن لا حاجة لنا الآن للقول بأن العبادة الكنسية ـ العامة والخاصة ـ مرتبطة بالكتاب المقدس ليس فقط لأنها تحوي الكثير من الاقتباسات عن الكتاب المقدس ، وإنما تحمل روحه مع كل نسمة حب نتنسمها في حضرتنا مع الله بروح تعبدي خاشع . العبادة مستوحاه من روح الكتاب وفي نفس الوقت تكشف عن روحه وأعماق أسراره ، كما ان الكتاب يرفعنا لروح العبادة على مستوى سماوي .

٣ ـ في كل ليتورجيـات الكنيسة والعبادة الأسرية والخاصة نجـد فصولا من العهدين خاصة المزامير ، رسائل معلمنا بولس ، رسائل الجامعة ، الأناجيل الأربعة الخ ... كما في قداس الموعوظين ، ليتورجيا تقديس الماء (اللقان) ، صلوات سر الزواج ، تقديس مياه المعمودية ، الجنازات ، صلاة حميـم الأطفال في اليوم الثامن من ميلادهم ، صلوات تبريك المنازل ، صلوات أو تسابيح السواعي (الأجبية) ... وكأن الكنيسة في كل مناسبة تتقدم لله بالشكر بروح تعبدي خلال كلماته الالهية وفي نفس الوقت تحث الشعب للجلوس مع كلمة الله للتمتع بها والتأمل فيها .

٤ ـ الحياة الكنسيـة ـ في مفهومنا ـ ليست فقط حياة تعبدية بروح الانجيل أو حياة إنجلية بروح العبادة ، إنما هي حياة واحدة شاملة لا يمكن تجزئتها ، تضم السلوك الحي العملي اليومي والممارسة النسكية والتهاب القلب للشهادة والكرازة . بمعنى آخر دراستنا للانجيل هي عبادة وسلوك عملي ونسك وكرازة . حقا ، قد يوهب بعض الأعضاء أعماقا في جوانب معينة ، فالبعض يميل للدراسة المستمرة في الكلمة بلا انقطاع ، والآخر للحياة النسكية التقوية ، والآخر للخدمة والكرازة ... لكن كل عضو حـي في الكنيسة يلزمه أن يحيا بهذا الروح المتكامل معا حتى لا ينحرف عن غاية الانجيل وروح الكنيسة .

٥ ـ مـع اهتمام كنيسة الاسكندرية بدراسة الكتاب المقدس أدركت ان سـر الانجيل يكتشف بثلاثة أمور جوهرية متلازمة معا :

أ] الدراسـة والبحث ، فنرى العلامة أوريجانوس يجمع نصوص الكتاب المقدس وترجماته لينسقها في ستة أنهر (السداسيات) ، فاذا غمض نص يمكن الرجوع إلى النصوص الأخرى ومقارنتها مع بعضها البعض ... بهذا سبـق أوريجانوس ـ من رجال القرن الثاني ـ زمانه .

ب] بجانـب البحث يلزم الصلاة والحياة التقويـة ، فكان الدارسـون الاسكندريون رجال صلاة ونساك ... يؤمنون بالحاجة إلى الاعلان الالهي للنفس خلال النقاوة في المسيح والالتجاء إليه .

ج] اهتمـت مدرسة الاسكندرية بالتلمذة ، فلا يقدر الدارس أن ينعم بروح الانجيل خلال حياته الفردية ودراساته الخاصة ، إنما يجلس لدى أب يتتلمذ عليه ، فينعم بالفكر الانجيلي المسلم ، بجانب تلمذته أيضا خلال كتابات الآباء الأولين فلا ينحرف .

العبـــادة الليتورجيـــة
في الكنيســـة القبطيـــة

كلمـــة " ليتورجيـــة "[1]

كلمـــة " ليتورجية " في اليوناني الكلاسيكي تعني خدمة عامة تؤدي لأجل الجماعة ، إذ هـــي مشتقة من كلمتين :

١ ــ " ليوو " أو " ليؤس " ، وتعني " الجماعة " .

٢ ــ " أرجيا " أو " أرجيؤو "وتعني " عمل " .

وردت نفـــس الكلمة في سفر العبرانيين بمعنى " خدمة المذبح " أو " الخدمة الكهنوتية " (عب ٨ : ٦ ، ٩ : ٢١) .

استخـــدمت الكنيسة هذه الكلمة منذ العصر الرسولي للتعبير عن العبادة التي نظمتها الكنيسة قانونياً ، والتي يقدمها جميع أعضائها أو تقدم باسمهم جميعاً . وبمرور الزمن صارت كلمة " ليتورجية " تطلق على ســـر الأفخارستيا وحده (القداس الالهي) ، بالرغم من وجود ليتورجيات أخرى مثل ليتورجية العماد ، ليتورجية الزواج الخ ...

العبـــادة الليتورجيا والحياة الليتورجيا

الليتورجيا ليست ساعات محددة يقضيها المؤمنون معاً ــ كهنة وشعباً ــ سواء للاشتراك في القداس الالهي أو رفع بخور عشية وباكر ، أو في مناسبة ما قبل عماد إنسان أو زواجه ... إنما هي فكـــر يعيشه كل عضو في الجماعة ، يذوقه ويختبره كل أيام حياته ، ليس فقط حين يجتمع مع إخوته للعبادة الجماعية في أية صورة من صورها ، وإنما يحمله في قلبه حتى في لحظات انفراده في مخدعه ، بمعنى آخر " الليتورجيا " هي حياة تعيشها الكنيسة ، خلالها تتعرف على طبيعتها ، وتحقق غايتها ، وتنعم بكيانها وحياتها ونموها في المسيح يسوع .

إن كنـــا نطلق كلمة " ليتورجيا " على العبادة الجماعية ، إنما لأن المؤمن في هذه الفترة يختبر ارتباطه بالجماعة المقدسة كعضو فيها ، هذه العضوية حيـــة وفعالة في حياته ، بل هي جزء لا يتجزأ من كيانها ؛ يحمل عضويته حتى في لحظات انفراده مع الله في مخدعه . الجماعة في أعماق قلب كل مؤمن حقيقي ، والمؤمن الحقيقي محمول في أعماق الكنيسة أو الجماعة . بمعنى آخر ، إذ ما دخل المؤمن مخدعه للصلاة حمل كل الكنيسة في قلبه ليصلي باسمها فينادي : " أبانا " بصيغة الجمع ، لا " أبي الذي في السموات " بروح الانفرادية ؛ وإذ ما وقفت الجماعة للعبادة حملت بالحب كل عضو ــ حاضراً أم غائباً عنها بالجسد ــ لتصلي من أجله .

ملامـــح الليتورجيـــات القبطية

١ ــ تتمـــيز اللتورجيات القبطية عن غيرها في تأكيد أنها ليست حكرا على الكهنة بل هي ليتورجيات الكنيسة ككل . يشترك فيها الشعب مع الكهنة . فللشعب ألحانه الطويلة ومرداته ودوره للاشتراك وليس مجرد الاستماع ، لذا وجب على الكهنة الصلاة بلغة مفهومة وبنطق واضـــح يتمشى مع عذوبة اللحن حتى يجد الشعب طريقه في الشركة الحقة . هنا نقصد بالشعب شركة الكل . الرجال والنساء مع الشيوخ والشباب والأطفال . كل عضو يجد له موضعا في العبادة الليتورجية . فلا تعرف الكنيسة القبطية عزل الأطفال مثلا أثناء خدمة القداس الالهي أو عند ممارسة أية عبادة ليتورجيا . ولعل هذا أحد أسباب قوة الكنيسة في مصـــر ، إذ يشعر الطفل بعضويته الايجابية وحقه في الشركة في اللتورجيات الكنسية ، يسنده في ذلك الطقس الممتع واللحن العذب الذي يبهجه فلا يشعر بملل بالرغم من طول فترة الخدمة الكنسية .

٢ ــ الليتورجيات القبطية ليســت فقط تحقق وحدة الكنيسة حيث تتناغم الجماعة كلها من كهنة وشعب ، ومن كبار وصغار ، لكنها أيضا تحقق غاية الكنيسة ألا وهو الكشف عن الحياة السماوية كحياة ليست بغريبة عنا ولا بعيدة ! فكل الليتورجيات القبطية تتسم بالفكر السماوي الأخروي (الاسخاتولوجي) ، ترفع المشتركين فيها إلى شركة التسبيح مع السمائيين ، وتنير بصيرتهم لادراك أسرار السماء الخفية والتمتع بعذوبتها في أعماق القلب . أذكر على سبيل المثال ليتورجية الزواج التي توجه النظر نحو العرس السماوي وإكليل القديسين بوضوح وقوة .

٣ ــ ترتبط الليتورجيات القبطية بالعقائد الكنسية ، فبطقوسها ونصوصها قادرة على تعليم حتى الأطفال عن إيمان الكنيسة ومفاهيمها وعقائدها الخاصة بالله وعلاقتنا به ، وعلاقتنا بالسمائيين والقديسيين ، ونظرتنا القدسية للعالم والجسد ، وجهادنا ضد إبليس وجنوده الخ ... الليتورجيات مدرسة الشعب ، تفتح أبوابها بالبساطة للطفل وبالاعماق اللاهوتية للدارس المخلص في بحثه .

الليتورجيات القبطيـــة تعلن العقيدة بعد أن تنزع عنها الجفاف العقلاني ، كما تعطي العقائد الليتورجيات مفاهيم لاهوتية أصيلة يعيشها المؤمن في لحظات تعبده .

٤ ــ ترتبـــط الليتورجيات القبطية بحياة الكنيسة النسكية ، فان كان للنسك أثره الفعال على الليتورجيات يظهر في طول فتـــرة العبادة وكثرة السجود والمطانيات ، فان لليتورجيات أثرها أيضا على النسك فتعطيه عذوبة خاصة ، تظهر بوضوح في خدمة أسبوع الآلام والجمعة الكبيرة ، فمع تشديد المؤمنين على فترة الانقطاع عن الأكل وعدم الترف فيه تجد الكل في تعزية حقيقية قلما ينعمون بها خلال السنة . أيضا ممارسة القداسات الالهية في الصوم الكبير يجعل منها فترة مبهجة في الداخل وفي وسط ممارسة الصوم .

٥ ــ تمتـــاز الليتورجيات القبطية بسمتها الكتابية ، فكل ليتورجية في حقيقتها كشف عن كلمة الله وتمتع بالحياة الانجيلية ، لهذا حرصت كل الليتورجيات ليس فقط

أن تضم قراءات كثيرة من الكتاب المقدس بعهديه ، خاصة من أسفار المزامير ورسائل معلمنا بولس الرسول ورسائل الجامعة والأناجيل ، إنما تقدم صلواتها وتسابيحها تضم عبارات كتابية وتحمل الفكر الانجيلي ، حتى يمكننا القول بان الليتورجيات تقدم تفسيراً مبسطاً لروح الانجيل .

٦ ـ يمكننـــا القول بان الليتورجيات القبطية تمس حياة المؤمنين اليومية والأسرية ، بكونها الدينمو المحرك لهم في حياتهم الواقعية ، فلا يوجد فصل بين العبادة الجماعية والحياة الواقعية ... بمعنى آخر لا يشعر المؤمنون أن العبادة الليتورجية هي واجب يلتزمون به بجانب أعمالهم الخاصة ، وإنما هي جزء لا يتجزأ من حياتهم ككل ، تسندهم في كل أيام حياتهم .

لكـــي نوضح ارتباط الحياة الليتورجية والعبادة الجماعية بالحياة اليومية عند الأقباط ، نذكر على سبيل المثال لا الحصـــر :

أ] يشعـــر الكاهن مع الشعب أن القداس الالهي (ليتورجيا الأفخارستيا) هو تمتع بصليب ربنا يسوع ، ودخـــول إلى الجلجثة ليجلس الكل تحت ظلـــه . لهذا عند رفع الحمـــل يضع الكاهن يديه على الحمـــل ليذكر أسرته حسب الجسد وأولاده الروحيين بل وكل الشعب ، يطلب عن النفوس الساقطة لأجل توبتها وعن المشاكل الكنسية والأسرية ومشاكل الذين في ضيق حتى يتدخل الرب بنعمته ، ويصلي من أجـــل المسافرين والمرضى والراقدين الخ ...

اعتـــاد الشعب القبطي في كل مشاكله العملية أن يطلب من الكاهن أن يذكرهم باسمائهم ويعرض مشاكلهم على مذبح الرب ، ويشتركون هم بقلوبهم معه في الطلب . هكذا يجـــد الأقباط سر راحتهم في القداس الالهي ، حيث يجدون دم ربنا يسوع المسيح شفيعاً كفارياً عن خطاياهم ، وســـر سلامهم الداخلي .

ب] خـــلال الليتورجيات المتنوعة يشعر المؤمن بأمومة الكنيسة الحانية ، وأبوة الكاهن كعلامة وظل لأبوة الله ... لهذا في كل صغيرة وكبيرة يلجأ الأقباط إلى الكنيسة بكل ثقة وحب ، يلجأون في كل الظروف المؤلمة والمفرحة . فان أنعم الله على أسرة بطفل تمارس الكنيسة ليتورجيا (إن صح التعبير) حميم الطفل ، فيشترك الكاهن مع الشمامسة وأفراد الأسرة والأحباء في تقديم تسابيح شكر لله ، طالبين أن يعمل في الطفل لينمو عضواً حياً مقدساً في الكنيسة . وإن تحقق نجاح في عمل ما يقومون تمجيداً لله أثناء القداس الالهي ؛ وإذا حدث مرض تمارس ليتورجيا سر مسحة المرضى ، وإن حدث رقاد تشترك الكنيسة في خدمة التجنيز وفي اليوم الثالث تمارس صلاة جماعية في المنزل لاعلان تعزية الله خلال قيامة السيد المسيح في اليوم الثالث ، وفي كل ذكرى للراقد يذكره الكاهن في القداس الالهي (الترحيم) .

هكـــذا لا تقحم الكنيسة نفسها في حياة أولادها بل تحنو بالحب لتشاركهم في كل دقائق حياتهم ، فيشعر المؤمنون بأمومة الكنيسة ومشاركتها مشاعر أولادها .

+ + +

الأعيـــاد القبطيـــة

الأعيـــاد والعبـــادة

نظمـــت الشريعة الموسوية سبعة أعياد كبرى ، لها قدسيتها وطقوسها ، بكونها جزءاً حياً من العبادة الجماعية ، وهي السبت من كل أسبوع ، اليوم الأول من كل شهر ، السنة السابعة من كل سبع سنوات ، سنة اليوبيل ، أسبوع الفصح ، عيد الخمسين أو الأسابيع ، عيد المظال أو الجمع ؛ وبعد سبي بابل أضيف عيد الفوريم وعيد التجديد ... أما غاية هذه الأعياد فهي بعث روح الفرح والبهجة في حياة المؤمنين ، والتمتع بتكريس أيام خاصة للعبادة الجماعية في المحافل (خر ١٢ : ١٦ ؛ لا ٢٣) ، وتذكر وعود الله مع شعبه ومعاملاته معهم ، مع تجديد العهد معه على مستوى جماعي ومستوى شخصي . هذا وقـد كانت الأعياد طريقاً يمهد للتمتع بالسيد المسيح بكونه " العيد " غير المنقطع ، ومصدر الفرح الأبدي .

إذ تجســد كلمة الله وصار إنساناً خضع للناموس ، فحضر الأعياد واحتفل بها ، لكنه حـــول الأنظار من الرمز إلى الحـــق ، ومن المظاهر الخارجية إلى الأعماق الداخلية (راجع يو ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٢) ، لكي يهب بهجة العيد خلال تمتع المؤمن بالشركة الخفية مع الله ، وقبول أعماله الخلاصية .

الكنيســة القبطية تكاد أن تكون كل أيامها أعياداً ، فان كانت تتسم بحمل الصليب لكنها تحرص أن يعيش أولادها وسط الآلام في أفراح روحية قادرة بالرب أن ترفعهم فوق الضيق . بمعنى آخر ، كنيستنا كنيسة متألمة متهللة على الدوام ، أعيادها لا تنقطع ، تسابيحها بأنغامها المتنوعة لا تتوقف .

كنيســة فــرح

يغلــب على طابع الكنيسة القبطية سمة الفرح ، حتى في نسكياتها ، فحين وصف القديس يوحنا كاسيان رهبان مصـــر المنتشرين من الاسكندرية حتى آخر حدود طيبة (أسوان) ، قال بأن صوت التسبيح يصدر عن الأديرة والمغاير بلا انقطاع ، كأن أرض مصر تحولت إلى فردوس مبهج . وقد دعى رهبانها أناساً سمائيين أو ملائكة أرضيين .

يخبـــرنا القديس جيروم[1] عن رئيس دير يدعى ابوللو ، كان دائم البشاشة ، مجتذباً بذلك كثيرين إلى الحياة النسكية كحياة مفرحة في الداخل ، ومشبعة للقلب بربنا يسوع ، كثيراً ما كان يردد القول : " لماذا نجاهد ووجوهنا عابسة ؟ ! ألسنا ورثة الحياة الأبدية ؟ أتركوا العبوس والوجوم للوثنيين ، والعويل للخطاة ، أما الأبرار والقديسين فحري بهم أن يفرحوا ويبتسموا لأنهم يستمتعون بالروحيات " .

ينعكـــس هذا الروح على عبادة الكنيسة وفنونها وكل جوانب حياتها ، حتى تبدو حياتنا الكنسية عيداً دائماً لا ينقطع . وكما يخبرنا القديس البابا أثناسيوس الرسولي في إحدى رسائله الفصحية أن " المسيح " هو عيدنا . فمع وجود أعياد غير

منقطعة يكتشف الانسان أن عيده في أعماقه ، أي في سكنى السيد المسيح واهب الحياة والقيامة في داخله .

تربـط الكنيسة الأعياد بالحياة النسكية ، فيمارس المؤمنون فترة من الصوم تبلغ قرابة شهرين أحياناً (الصوم الكبير) استعداداً للعيد ، ليدركوا أن فرحهم يقوم على حياة الشركة مع الله ، وليس على أكل وشرب وملبس جديد .

للأعيـاد القبطية ألحانها العميقة العذبة وطقوسها الرائعة الملهبة للروح ، غايتها تقديم الفكر الانجيلي السماوي الحـي والكشف عن الثالوث القدوس وعمل الله الخلاصي في حياة الكنيسة بطريقة بسيطة يعيشها الطفل ، وعميقة تروي اللاهوتي .

أعيـاد الكنيسـة القبطـية

١ ـ الأعياد السيدية الكبرى :

أ] **عيـد البشـارة** (٢٩ برمهات ، حوالي ٧ أبريل) : فيه نذكر تحقيق نبوات العهد القديم ، وتمتعنا بما اشتهاه رجال الله عبر الأجيال ، حيث جاء كلمة الله متجسداً في أحشاء البتول (مت ١ : ١٧) .

ب] **عيـد الميـلاد** (٢٩ كيهك ، ٧ يناير) : يسبقه ٤٣ يوماً للصوم ، غايته تأكيد حب الله الذي أرسل إبنه الوحيد متأنساً ، فرد للانسانية كرامتها ، وقدس طبيعتها وحياتها اليومية ، مقدماً حياته مبذولة من أجلها .

ج] **عيـد الغطـاس** (١١ طوبة ، حوالي ١٩ يناير) : مرتبط بعيدي الميلاد والختان : ففي الميلاد حمل كلمة الله ما لنا ، وفي الختان خضع للناموس كواحد منا ، أما في العماد فقدم ما له لنا . بالميلاد صار بالحق إنساناً وهو إبن الله وحيد الجنس ، وبالعماد نصير نحن فيه أولاد الله مع كوننا بشراً . في هذا العيد يصلي قداس اللقان " ليتورجية تقديس الماء " ، ويرشم الكاهن الشعب على جباههم وأياديهم بالماء تذكاراً للمعمودية .

د] **أحـد الشعانـين** : الأحد السابق لعيد الفصـح ، يمتاز بلحنـة " الشعانيني " المفرح وطقسه المبهج ... حيث تذكر الكنيسة دخول السيد المسيح إلى أورشليمنا الداخلية ، ليقيم مملكته فينا ، ويضم الكل إليه في ملكوته . لهذا يقام موكب مبهج في أثناء رفع بخور باكر يبدأ من داخل الهيكل حول المذبح إشارة إلى أن موكب الخلاص إنما يبدأ بمبادرة الله وخطته الخاصة بذبيحة السيد المسيح ؛ وينطلق الموكب إلى صحن الكنيسة حيث يقف الكل أمام أيقونات القديسة مريم ورؤساء الملائكة والقديس يوحنا المعمدان والرسل والشهداء والنساك ، وأمام أبواب الكنيسة وجرن اللقان والمعمودية ، يسبحون الله الذي يضم الكل معاً في إبنه يسوع المسيح . وينتهي

الموكب بالدخول إلى الهيكل ، حيث يلتقي رجال العهدين مع السمائيين داخل السماء (الهيكل) أبدياً .

في نهـاية القداس الالهي تمارس صلاة تجنيز عام ، حيث يصلي على ماء يرش به من يرقد أثناء أسبوع الآلام دون الصلاة عليه بصلوات التجنيز العادية . وقد أرادت الكنيسة بهذا الطقس تأكيد عـدم انشغالها حتى بالصلاة على الراقدين أثناء تذكار آلام السيد المسيح وصلبه ليكون التركيز كله على أحداث هذا الأسبوع العجيب وقراءاته وطقوسه التي تمس خلاصنا .

هـ] **عيـد القيامـة** (الفصح المسيحي) : يسبقه الصـوم الكبـير (٥٥ يوماً) ، تعتبره الكنيسة القبطية " العيد الكبير " ، تمتد بهجته طوال فترة خمسين يوماً حتى عيد العنصرة ، كما يحتفل بعيد القيامة في كل أحد بالاشتراك في سر الافخارستيا (القداس الالهي) ، إذ تود الكنيسة أن ينعم الكل بالحياة الجديدة المقامة في المسيح يسوع (رو ٦ : ٤) .

و] **عيـد الصعـود** : يحتفل به في اليوم الأربعين من عيد القيامة ، يقع يوم خميس ، فيه نذكر ان الذي يقيمنا معه يصعدنا معه لنجلس في السمائيات (أف ٢ : ٦) .

ز] **عيـد العنصـرة** أو البنطقستي أو الخمسين : يمثل عيد ميلاد الكنيسة المسيحية ، فعندما دفع الابن الوحيد ثمن خلاصها انطلق إلى السماء يعد لها موضعاً ، وأرسل روحه القدوس يستقر فيها ، يقدم لها وجودها ذاته ، ويرشدها ويقدسها ويجملها كعروس .

في هذا العيـد تسبح الكنيسة متهللة بقيامة السيد المسيح وصعوده وحلول روحه القدوس عليها ، هكذا تربط بين الأعياد : القيامة والصعود والعنصرة كعيد واحد متكامل .

تصلـي الكنيسة ثلاث " سجدات " ، خلالها تقدم بخوراً وصلوات عن المرضى والمسافرين وأهوية السماء ، وتعطي اهتماماً بالراقدين ، علامة تمتعها بالشركة والوحدة التي تتحدى الموت .

٢ ـ الأعيـاد السـيدية الصغـرى

أ] **عيـد الختـان** في اليوم الثامن من عيد الميلاد (٦ طوبة) : نذكر فيه ان كلمة الله واضع الناموس قد خضع للناموس مكملا إياه ، لكي يهبنا أن نكمله روحيـاً ، فننعم بختان الروح والقلب (كو : ١١) عوض الختان الحرفي .

ب] **دخـول السـيد المسـيح الهيكل** (٨ أمشير) : فيه نذكر أن كلمة الله إذ صار إنساناً أراد لنا ألا نستهين بحياتنا ، بل نحدد غايتنا منذ صبانا فنعمل لتحقيقها دون مجاملة للآخرين رغم محبتنا وطاعتنا لهم (لو ٢ : ٤٦) .

ج] **عيـد دخـول السيـد المسيح أرض مصـر** (٢٤ بشنس ، حوالي أول يونيو) : امتازت كنيستنا بهذا العمل الالهي الفريد ، إذ جاء السيد المسيح إلى مصرنا ليقيم كنيسته من بين الأمم أيضاً .

د] **عـرس قانا الجليـل** (١٣ طوبة ، حوالي ١٢ يناير) : تحويل الماء خمراً في عرس قانا الجليل كأول معجزة صنعها السيد المسيح علانية تؤكد شوقه إلى تمتعنا بعرس السماء ، واهباً إيانا خمر محبته الفائقة .

هـ] **عيـد التجلـي** (١٣ مسرى ، حوالي ١٩ أغسطس) : فيه تعلن وحدة العهدين في المسيح يسوع ربنا ، إذ اجتمع موسى وإيليا مع بطرس ويعقوب ويوحنا ، وتجلي مجد لاهوت السيد المسيح ، ليشبع كل نفس ببهائه إن ارتفعت معه على جبل تابور .

و] **خمـيس العهـد** : الخميس الذي يقع في نهاية أسبوع الآلام ، نتذكر فيه تأسيس السيد المسيح سر الأفخارستيا ، حيث قدم جسده ودمه ذبيحة حية فعالة ، قادرة على تطهير الداخل ، ومنح الحياة المقامة ، والتمتع بالأبدية .

في هـذا اليوم دون بقية أسبوع الآلام تقدم ذبيحة الأفخارستيا ، ويمارس طقس غسل الأرجل تذكاراً لما فعله السيد المسيح مع تلاميذه .

ز] **أحـد تومـا** : الأحد التالي بعد عيد القيامة ، فيه نطوب الذين آمنوا ولم يروا ، ليحيـا الـكل بالايمـان في تلامس داخلي مع جراحـات المخلص (يو ٢٠ : ٢٩) .

٣ ـ أعيـاد شهـريـة

يبتهـج المؤمنون كل شهر بتذكار قيامة السيد المسيح وميلاده والبشارة به في ٢٩ من الشهر القبطي ، وتذكار العذراء في ٢١ منه ، ورئيس الملائكة ميخائيل في ١٢ منه .

٤ ـ عيـد أسبوعـي

يقـام كل أحد كسبت (راحة) حقيقي ، فيه نجد راحتنا بقيامة السيد المسيح . لا يجوز فيه الصوم الانقطاعي حتى في أيام الصوم الكبير .

٥ ـ أعيـاد القديسـين

تكـاد تكون يوميه ، ليعيش المؤمن في فرح دائم وشركة مع القديسين ؛ هذا بجانب أعياد هامة خاصة بالقديسين والمناسبات .

أ] **أعيـــاد القديسة مريـــم** : تعتز الكنيسة القبطية بالقديسة مريم بكونها والدة الاله (ثيؤتوكوس) التي اختارتها النعمة الالهية ليتجسد كلمة الله في أحشائها بالروح القدس (لو ١ : ٣٥) ، وبكونها العضو الأمثل في الكنيسة ، والأم الشفيعة عن أبنائها ، فاقت السمائيين والأرضيين .. لذلك لا تكف الكنيسة عن تطويبها والاحتفال بأعيادها لكي نتمثل بها ونطلب شفاعتها عنا . أما أهم أعيادها فهـــي : البشارة بميلادها (٧ مسرى ، حوالي ١٣ أغسطس) ؛ ميلادها (أول بشنس ، حوالي ٩ مايو) ؛ دخولها الهيكل (٣ كيهك ، حوالي ١٢ ديسمبر) ؛ نياحتها (٢١ طوبة ، حوالي ٢٩ يناير) ؛ صعود جسدها الطاهر (١٦ مسرى ، حوالي ٢٢ أغسطس) ؛ بناء أول كنيسة باسمها (٢١ بؤونة ، حوالي ٢٨ يونيو) ، ظهورها في الكنيسة بالزيتون (٢٤ برمهات ، حوالي ٢ أبريل) .

ب] **عيـــد الرســل** : (٥ أبيب ، حوالي ١٢ يوليو) ، أو عيد استشهاد القديسين بطرس وبولس الرسولين ؛ يسبقه صوم يبدأ باليوم التالي من عيد العنصرة . في هذا العيد تقام ليتورجية اللقان ، حيث يقوم الكاهن بغسل أقدام الكل تذكاراً لعمل السيد المسيح مع تلاميذه ، لكي يتذكر الكاهن أنه خادم لأقدام شعب الله وليس بذي سلطة .

ج] **عيـــد النـــيروز** : (أول توت ، حوالي ١١ سبتمبر) ، " نيروز " كلمة فارسية تعني " بدء السنة " . هذا ويرجع التقويم المصري إلى سنة ٤٢٤٠ ق . م ، غير أن الأقباط بدأوا تقويمهم من جديد مع بدء حكم دقلديانوس عام ٢٨٤ م ، تذكاراً للملايين من الشهداء ، فيحسب عصره ذهبياً ، فيه قدمت الكنيسة شهادة حـــق ، وانطلقت النفوس متلألئة ككواكب حية في الفردوس .

يبقـــى هذا العيد بألحانه " الفرايحي " حتى عيد الصليب (١٧ توت) ، كأن الكنيسة تعلن بهجتها وفرحها بالشهادة خـــلال حمل صليب ربنا يسوع المسيح ، بهذا تحولت آلام الشهداء وشهادتهم حـــتى الموت إلى باعث للفرح .

د] **عيـــدا الصليـــب** : الأول في ١٧ توت (حوالي ٢٨ ديسمبر) تذكاراً لتكريس كنيسة الصليب المقدس التي شيدتها الملكة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين ، والثاني في ١٠ برمهات (حوالي ١٩ مارس) تذكاراً لاكتشاف خشبة الصليب المقدس بواسطة الامبراطورة عينها عام ٣٢٦ م ، في هذين العيدين تقيم الكنيسة موكباً مشابهاً لموكب أحد الشعانين وتستخدم ذات النغمة " الشعانيني " ، لتعلن أن سر الفرح بالصليب هو انفتاح القلب ـ أورشليم الداخلية ـ للمخلص لكي يملك فينا .

---

١ ـ للمؤلف : قاموس اباء الكنيسة وقديسيها ، حرف أ ، ١٩٨٦ ، ص ١١٣ .

الكنيسة القبطية
روحانية الطقس(١)

طقس السماء

الله روح ، وخليقته السماوية أرواح بلا أجساد ، ومع هذا يحدثنا سفر الرؤيا عن طقس السماء ، إذ لها تسابيح معينة (رؤ ٤ : ٨) . ويوجد سجود (رؤ ٤ : ١٠) ، ويحمل القسوس غير المتجسدين أكاليل ومعهم جامات ذهبية (رؤ ٤ : ٤) ، كما يصف القديس يوحنا أورشليم العليا وأبوابها وأساساتها وسورها وهيكلها (رؤ ٢١) ... لهذا فلا عجب إن رأينا كنيسة الاسكندرية كنيسة طقسية منذ بدء إنطلاقها .

كنيسة طقسية

يؤكد الكتاب المقدس إن إلهنا " ليس إله تشويش " (١ كو ١٤ : ٣٣) ، لذلك يقيم سمواته بطقس روحي رائع ، وقد جاءت كنيسة العهد القديم تحمل طقساً هو " شبه السمويات وظلها " (عب ٨ : ٥) ، فخصته كلمة الله في العهد القديم أسفاراً تتحدث بتفصيل شديد ودقة بالغة عن طقس الكهنوت والذبائح وبناء خيمة الاجتماع وأدواتها وطقوس عبادتها ... لقد أراد أن يكون كل شيء بترتيب ونظام !

في العهد الجديد ، ليس بغير معنى قال السيد لتلاميذه : " اتكئوهم فرقاً خمسين خمسين " (لو ٩ : ١٤) ، إنما أراد أن يؤكد ضرورة النظام والترتيب لتقديم مواهبه السماوية . والعجيب إن السيد المسيح لم يأخذ موقفاً عدائياً من الطقس اليهودي بل خضع للناموس فاختتن ، ودخل الهيكل لينقلهم إلى الطقس الروحي بمفهوم سماوي ، لكنه هاجم حرفية الطقس وشكليته . جاء من بعده التلاميذ يواظبون على عبادة الهيكل اليومية (١ ع : ٤٦) بجانب اجتماعهم معاً لكسر الخبز دون مهاجمة الطقس اليهودي ، بل أرادوا تكميله خلال إعلان سر الصليب وذبيحة السيد المسيح . ولما طردوا من الهيكل والمجامع اليهودية ، أفراداً وجماعات ، لم تعش الكنيسة بلا طقس أو نظام . على العكس نجد الرسل يؤكدون التزام كنيسة الله بالترتيب ليكون كل شيء بلياقة (١ كو ١١ : ٢٢ ؛ ١٤ : ٤٠ ؛ ١ تس ٥ : ١٤ ؛ ٢ تس ٣ : ٦) ، موضحين أن تدابير وطقوس قد سلمت شفاهاً (كو ١١ : ٣٤ ؛ تي ١ : ٥ ، ٢ يو ١٢ ـ ١٤) .

غاية الطقس القبطي وسماته

١ ـ الطقس القبطي ليس هدفاً في ذاته تمارسه الكنيسة في حرفية بلا فهم ، إنما هو لغة الكنيسة التى تنطق بها الجماعة المقدسة ككل ، وينطق بها كل عضو ، لكي ينعم خلاله بعربون السماء ، لذا قال القديس اكليمندس الاسكندري ان الكنيسة صورة السماء .

كل طقس لا يمارس فيه المؤمن شركة مع الله الآب في ابنه بالروح القدس ويختبر عذوبة الحياة الانجيلية المبهجة كحياة سماوية ، هو طقس غريب عن الكنيسة القبطية . نذكر على سبيل المثال طقس سر الزواج مثلا إذ تدور أغلب الصلوات حول الاكليل السماوي والزواج الروحي بين الله وقديسيه إن مارسوه بطريقة روحية وأدركوا أن زواجهم هو صورة للسر الأعظم : اتحاد السيد المسيح بكنيسته (أف ٥ :٣٢) .

٢ ــ للطقس دوره التعليمي ، إذ تقدم الكنيسة القبطية كل العقائد المسيحية والمفاهيم الايمانية والمنهج الروحي في أبسط أسلوب ، يفهمه الطفل ، ويشبع به الانسان اللاهوتي ، ويستعذبه الكاهن المثقل بأتعاب الرعاية ، ويستريح له الناسك الروحي . فبرشم الصليب يتعلم الطفل الايمان بالثالوث القدوس والتجسد الالهي ، وخلال الايقونات يدرك امتداد الكنيسة كجسد المسيح حتى بعد الرحيل من هذا العالم .

٣ ــ يمتاز الطقس القبطي بالتناغم معاً بروح واحد ، فالمبنى الكنسي بطقسه الرائع يتناسق مع الليتورجيا بطقوسها ليعيش المؤمنون بروح الله في حياة خاشعة مفرحة .

٤ ــ في الطقــس القبطي يشترك الجسد مع الروح في التعبد لله ، سواء على مستوى العبادة الجماعية أو العائلية أو الخاصة ، علامة إيماننا بوحدة الانسان ككل ، وعدم تجاهل دور الجسد في الحياة الروحية . إننا نؤمن بقدسية الروح والجسد معاً بروح الله القدوس .

الطقس القبطي وما يحويه من تسابيح ووقوف بخشوع وبسط اليدين وسجود وتقديم بخور ... لا يمثل حركات جسدية محددة ، إنما يمثل مساندة الجسد للنفس المتيقظة ، ذلك كما أن كل تصرف جسدي شرير قادر على تحطيم الروح وإعاقتها عن الشركة مع الله .

الطقس هو لغة الانسان ككل ، يستخدم كل كيانه ليعبر عما بداخله فيما تعجز اللغة العادية عن الحديث عنه . وهو تعبير يخرج عن الجسد متفاعلا مع أعماق النفس الداخلية .

٥ ــ في الطقــس القبطي ليس فقط ينساب الجسد كله متعبداً لله ، وإنما تشترك أيضاً الخليقة في تمجيد الخالق . وكأن المؤمن وقد أدرك تقديس الخليقة يتقدم لله ومعه البخور والخشب (الأيقونات) والخبز والخمر ... معلناً أن كل الخليقة تمجد الله . هذا الفكر يتفق مع ما نتغنى به في التسبحة : " سبحــي الرب من الأرض ... أيتها النار والبرد والضباب الخ ... " مز ١٤٨ . وكأن الخليقة الجامدة ذاتها ليست شراً ولا عائقاً عن العبادة ، بل صالحة يمكن للمؤمن أن يستخدمها في التعبير عن تقديس كل ما على الأرض لله .

٦ ــ يمكننا أن نقول بأن الطقس جزء لا يتجزأ من الحياة الكنسية يمس عبادتها وإيماننا وروحانيتنا ونسكنا إن مارسناه روحياً تحت قيادة الروح القدس

وبفهم ، أما إن مارسه أحد كواجب ملتزم به في روتين جامد حرفي وفي جفاف بلا فهم يصير الطقس عائقاً للحياة الروحية الانجليلية . بمعنى آخر ، الطقس ليس مجرد نظام أو ترتيب خارجي أو مجموعة قوانين تحكم الحياة الكنسية ، إنما في جوهره هو روح داخلي حي نتسلمه عبر الأجيال . للطقس جسده أي الترتيب المنظور الملموس وله روحه أي الفكر الداخلي والحياة الملتهبة بالروح . من يقف عند الجسد دون الروح يكون كمن يلتقي بجثة هامدة تمثل ثقلا نريد دفنها ، أما إن حمل الجسد الروح داخله فيلتقي بحياة فعالة في الجماعة كما في كل عضو .

---

١ ـ المؤلف : مفاهيم إيمانية روحية (١٦) : الطقس بين الروحانية والشكلية ، ١٩٨٠ .

+ + +

تدبير الصـــوم في الكنيسة القبطية

كنيســـة نســـك

الله الـــذي خلق كل أشجار الجنـــة من أجل محبوبه الانسان ، أوصاه بالصوم عن واحدة فقط ، لا لحرمانه ولا لغرض السيطرة عليه ، إنما لكي بالصوم مع طاعة وصية المحبة يدرك : " أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل ما يخرج من فم الله " (تث ٨ : ٣ ، مت ٤ : ٤) .

صـــام كلمة الله المتأنس قبيل تجربته وخدمته لحسابنا ، لكي إذ نصوم معه نغلب به ونتقدس للعمل ، سالكين حسب الروح لا الجسد (رو ٨ : ١) . صام أربعين يوماً (مت ٤ : ٢) ، ليتجلى وسط موسى وإيليا اللذين صاما أربعين يوماً (خر ٤٠ : ٢٨ ، ١ مل ١٩ : ٨) ، معلناً أن الصوم ليس حرماناً أو كبتاً للجسد لكنه ارتفاع مع الرب على جبل تابور للتمتع ببهائه فينا .

والكنيســـة القبطية (تشاركها الكنيسة الأثيوبية) كنيسة ناسكة ، تؤمن بفاعلية الصوم في حياة المؤمنين لا كرياضة بدنية ، وإنما كذبيحة حب داخلي تقدم من القلب كما من الجسد ، لذا تطالبهم أن يقضوا أكثر من نصف السنة صائمين ... والعجيب أنه بينما تميل جميع الكنائس في العالم إلى التقليل من مدة الصوم من جيل إلى آخر ، إذ بكنيستنا تشتاق ـ بكامل حريتها ـ لو عاشت صائمة : بعض الشباب في كنيستنا يطلبون في اعترافاتهم إن أمكن أن يصوموا أكثر ... وقليلون جدا هم الذين يتضجرون بسبب كثرة الأصوام .

مفهـــوم الصـــوم

١ ـ تلزمنـــا الكنيسة الصوم فترة انقطاع عن الطعام حتى نجوع ، فقد جاع السيد المسيح (مت ٤ : ٢) مشبع النفوس والأجساد ، وجاع الرسل في أصوامهم

(أع ١٠ : ١ : ٢ كو ١١ : ٢٧) . وبعد الانقطاع لا ننغمس في المشتهيات بل نلتزم بمأكولات معينة بلا دسم[١] :

« لـــم أكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل في فمي لحم ولا خمر » دانيال ١٠ : ٣ .

« خـــذ أنت لنفسك قمحاً وشعيراً وفولا وعدساً ودخناً وجرسنة » حزقيال ٤ : ٩ .

« ركبتاي ارتعشتا من الصوم ، ولحمي هزل عن سمن » مز ١٠٩ : ٢٤ .

ومع هذا فالصـــوم ليس امتناعاً عن الطعام والشراب ، ولا عن المشتهيات ، لكنه في جوهره تعبير عن حبنا لله الذي بذل ابنه الوحيد لأجلنا . إن كان السيد المسيح أسلم نفسه لأجلي (غل ٢ : ٢٠) ، بدوري أود أن أموت من أجله كل النهار (رو ٨ : ٣٦) . لهذا يرتبط صومنا عن الطعام بصومنا عن كل شر وشبه شر ، بل وبنمونا الروحي الدائم ، فنقدم صوماً مقدساً للرب .

هـــذا ما حدثنا عنـــه البابا أثناسيوس بشيء من التفصيل وبقوة في رسالته الفصحية الأولى ، إذ جاء فيها : [حينما نصوم يلزمنا أن نقـــدس الصـــوم (ى ٢ : ١٥) ... نحن مطالبون بالصوم ، لا بالجسد فقط بل وبالروح أيضاً . فالروح يتضع حينما لا يتبع الأفكار الرديئة بل يغتذى بالشوق إلى الفضيلة ... ربنا ومخلصنا يسوع المسيح هو الخبز السماوي ، لهذا فهو غذاء القديسين ... بينما الشيطان هو غذاء الدنسين ، الذين لا يصنعون أعمال النور بل أعمال الظلمة ... متى حفظ الصوم مقدساً ، لا يؤدي إلى التوبة فحسب ، بل يعـــد قديسين ، ويسمو بهم فوق الأرضيات] .

٢ ـ خلـــق الله أجسادنا صالحة ، تعمل مع نفوسنا تحت قيادته لتتمم إرادته الالهية . الآن إذ خضعت نفوسنا لشهوات أجسادنا الشريرة خلال العصيان صرنا جسديين (رو ٧ : ١٤) . بالصوم نرجو في المسيح أن نخضع أجسادنا بالروح القدس لنحيا في الروح وليس حسب الجسد (رو ٨ : ١٢ الخ) . حقاً كرز القديس بولس بالانجيل لكثيرين لكنه كان يحذر من جسده ، مخضعاً إياه بالصوم حتى لا يكون هو نفسه مرفوضاً (١ كو ٩ : ٢٧) .

٣ ـ خـــلال الصوم نطلب أن نتحرر من " الأنا " ، فنصوم عن حب ذواتنا كما عن الطعام : نمارس الحب لله خلال حبنا لاخوتنا أو خلال حبنا لكل كائن بشري ، بفضل نعمة الله . لذا يقول القديس بولس : " وإن سلمت جسدي حتى أحترق وليس لي محبة لا أنتفع شيئاً " (١ كو ١٣ : ٣) . لهذا يلزم أن يرتبط الصوم بالشهادة لله المحب خلال تقديمنا للصدقة وجهادنـــا من أجل خلاص البشر . في الكنيسة الأولى كان كثير من الموعوظين يتمتعون بالعماد في ليلة عيد القيامة أو الفصح المسيحي ، إذ غالباً ما كانت الكنيسة تكسب الكثيرين بكرازتها وقت الصوم الكبير (قبل العيد) ، أو خلال السنة بروح الصلاة والصوم مع الشهادة العملية وكلمة الانجيل لتهيئهم بالأكثر في فترة الصوم لقبول العضوية في جسد المسيح .

أمــا من جهة البذل القلبي المترجم عملياً بالعطاء ، فالى يومنا هذا نعتبر فترة الصوم الكبير من أغنى أوقات السنة التي فيها يقدم المؤمنون الكثير للفقراء والمحتاجين ، متذكرين كلمات الكتاب : " أليس هذا صوماً أختاره ؟ ! .. أن تكسر للجائع خبزك ، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك ؟ ! " (إش ٥٨ : ٣ ــ ٧) .

في القــرن الأول التحم الصوم بالصلاة (حب الله المباشر) والصدقة (حبنا له خلال إخوتنا) فجاء كتاب الراعي لهرماس يحثنا على تقديم ما توفر خلال الصوم من مال إلى الأرملة واليتيم[٣] ، ويطوب العلامة أوريجانوس[٣] الذين يصومون فينعشون الفقير ، وأما القديس أغسطينوس[٤] الذي سجل لنا كتاباً كاملا عن الصوم فيشعر أن من يصوم ولا يقدم ما فضل عنه خلال الصوم للفقير يكون قد مارس " طمعاً " لا " صوماً " .

٤ ــ أيــام الصوم هي أيام توبة وتذلل لكنها في نفس الوقت أيام مفرحة ومبهجة خلال خبرة النصرة والغلبة التي يتذوقها المؤمنون في حياتهم الداخلية . الصوم لا يعني تعباً وضيقاً وتبرماً ، لكنه فرح وتهليل داخلي بالله العامل فينا ... هذا ما تلمسه في الكنيسة القبطية خاصة في أسبوع الآلام فمع ممارسة المؤمنين للنسك في أشد صورة بالنسبة لبقية الأصوام ، لكنك تشعر بعلامات الفرح الحقيقي وتعزيات الروح التي تملأ القلب .

هــذه الخبرة يسجلها لنا البابا الاسكندري القديس أثناسيوس : [ليتنا لا نترك هذه الأيام تمر علينا كمن هم في حزن ، إنما إذ نتمتع بالغذاء الروحي تخمد شهواتنا الجسدية . بهذه الوسيلة نقدر أن نغلب أعداءنا (الشياطين والشهوات) كما صنعت الطوباوية يهوديت (يهوديت ١٣ : ٨) ، إذ تدربت أولاً على الأصوام والصلوات ، بهذا غلبت الأعداء وقتلت أليفانا][٥] .

الصــوم ليس مجالا لتقديم عذر لنفسك على غضبك ، وإنما هو مجال لاتساع القلب بالحب والغلبة على روح الغضب والأنانية وكل حب للذات !

الصــوم والتدبــير الكنســي[٦]

بينمــا يقضي الكثير من الأقباط وأيضاً الاثيوبيين) غالبية أيامهم صائمين بكامل حريتهم خلال تدبير الكنيسة كأم محبة لأولادها ، يهرب كثير من الغربيين من صليب الصوم ، مقدمين أعذاراً كثيرة :

١ ــ **الصــوم عمل فردي يمارس في الخفاء** (مت ٦ : ١٧ ، ١٨) ، ويرد على ذلك بأن ذات الوصية تنطبق على الصلاة والصدقة (مت ٦ : ٢ ، ٦) ، ومع هذا ففي كل كنائس العالم تمارس الصلوات وتقدم الصدقات بصورة جماعية مع ممارستها أيضاً على المستوى الشخصي الخفي .

في العهــد القديم التزم الشعب بالعبادة الجماعية ، ليس فقط في الصلاة والتسبيح والقراءات الكتابية وإنما أيضاً في الأصوام (زك ٨ : ١٠ ؛ أس ٤ : ٣ ، ١٦ ؛ عز ٨ : ٢١ ؛ ٢ أي ٢٠ : ٣ ؛ يوئيل ٣ : ٥) وفي العهد الجديد صام الرسل

معاً (أع ١٣ : ٢ ، ٣) ... فلماذا يهرب المؤمنون من الصوم الجماعي تحت ستار العمل الخفي ؟ !

سـر قوة الكنيسة الأولى الجامعة وحدتها في الايمان وأيضاً شركتها معاً حتى في الأصوام ، فالتاريخ يشهد أن الكنيسة شرقاً وغرباً ، كانت منذ العصر الرسولي تصوم يومي الأربعاء والجمعة[٧] وأيضاً الصوم الأربعيني[٨] .

أمـا من جهة إخفاء الصوم ، فان غايته الامتناع عن حب الظهور وطلب المجد الباطل ، لهذا نجد الرسول بولس لم يخف صومه ، بل أعلنه ، قائلاً : " في أصوام " ، كما مارسه مع من كانوا في السفينة (أع ٢٧ : ٢١) .

٢ ـ لـماذا تحدد مواعيد خاصة بالصوم ؟ لو تركت بدون تدبير أو تنظيم كنسي يمكن أن يحرم المؤمنون منه كل أيام حياتهم ، كما حدث في أغلب كنائس الغرب . وفي العهد القديم وجدت أصوام محددة (زك ٨ : ١٩) ، جنباً إلى جنب مع الأصوام الجماعية أو الشخصية في أزمنة الضيق .

٣ ـ يعتـرض البعض على الصوم الكنسي بالقول الرسولي : " لا يحكم عليكم أحد في أكل وشرب ... " (كو ٢ : ١٦) ، وما جاء في سفر الأعمال : " ما طهره الله لا تدنسه أنت " (أع ١٠ : ١١ ـ ١٥) ، وأيضاً القول : " يرتد قوم عن الايمان ... مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر " ١ تي ٤ : ١ ـ ٣) . يرد على ذلك بالآتـي :

أ] لم يقـل الرسول : " لا يحكم أحد عليكم في صوم " بل " في أكل وشرب] ... فالمقصود هنا الامتناع عن الأطعمة المحرمة حسب الشريعة المرسومة ، كما فعل بطرس حين رأى ملاءة عظيمة عليها كل أنواع الأطعمة فامتنع أولاً (أع ١٠ : ١١ ـ ١٥) . وكأن الرسول هنا يقاوم فكرة العودة إلى التهود .

ب] أمـا عن القوم المانعين عن أطعمة معينة ، فيقصد الرسول أمثال أتباع ماني والدوناتست الذين حرموا الزواج كنجاسة وأكل اللحم كدنس ... لذلك قطعتهم الكنيسة عن شركتها . أما في الصوم فنحن لا نحرم طعاماً معيناً ، إنما نمتنع اختيارياً لقمع الجسد وضبطه (١ كو ٩ : ٢٧) .

هذا ويلاحـظ أن طعام الانسان الأول كان نباتياً (تك ١ : ٢٩) ، وبقي الانسان لا يأكل اللحم إلى زمن فلك نوح (تك ٩ : ٣) حيث هبط مستواه روحياً ... لهذا عندما يود المؤمنون تهيئة الجو الروحي لنموهم يأكلون الطعام النباتي كما فعل دانيال والثلاثة فتية في القصر ، وأيضاً حزقيال :

ج] التنظيـم أو التدبير الكنسي ضروري لحياة الجماعة ، كما جاء في ٢ يو ١٢ . وقد عرفت الكنيسة بمرونتها ، إذ يستطيع المؤمنون بارشاد آباء اعترافهم الروحيين أن يمارسوا أصواماً أكثر أو أن يعفوا منها حسب ظروفهم الروحية أو الصحية أو الاجتماعية .

الأصـــوام في الكنيســـة القبطيـــة

أولا ـ الصوم الأسبـــوعي : كما تمارس الكنيسة العبادة العامة أسبوعيا هكذا تمارس الكنيسة صوما عاما أسبوعيا تمتد جذوره إلى الكنيسة اليهودية . اعتاد اليهود أن يصوموا يومي الاثنين والخميس ، لأن فيهما صعد موســى على الجبل ليتسلم الشريعة ونزل حاملا اللوحين . لهذا عندما تحدث السيد المسيح عن الفريسي المتكبر ، ذكر أنه كان يفتخر بصومه يومين كل أسبوع (لو ١٨ : ١٢) . والكنيسة منذ العصر الرسولي وهي تقدر أهمية الصوم وضعت أن تصوم يومي الأربعاء والجمعة ، تذكارا للتشاور ضد السيد ولصلبه .

ثانيـــاً ـ الصوم الأربعيني Tessaracoste أو الصوم الكبير Great Lent . له غايتان : الأولى الاستعداد لخبرة بهجة قيامة السيد المصلوب ، والثانية إعداد الموعوظين بالتعليم وممارسة العبادة مع التوبة الحقيقية العملية لينالوا سر العماد ليلة عيد الفصح .

يلزمنـــا هنا أن نقف قليلا عند هاتين الغايتـــين :

بالنسبـــة للاستعداد لبهجة القيامة والتمتع بقوتها ، فاننا وإن كنا نعيد بالقيامة أسبوعيا كل أحد ، بل ونمارس " الحياة المقامة " كل يوم خلال التجديد المستمر والتوبة الدائمة ، فاننا في حاجة أن نقضي فترة الأربعين المقدسة يليها أسبوع البصخة تمارس بالرب حياة الاماتة لتعلن قوة قيامته فينا ، قائلين مع الرسول بولس : " إن كنا نتألم معه لكي نتمجد معه " (رو ٨ : ١٧) .

أمـــا بالنسبة لاعداد الموعوظين في هذه الفترة ، فارتباط الصوم بهذا يعطي للصوم فهما عميقاً ، ألا وهو اتساع قلب نحو البشرية ، فالكنيسة كلها تصوم لكي يجتذب الله أولاداً جدداً له ويهيئهم للتمتع بالبنوة له ... صومنا علامة إيماننا بعمل الله نفسه في الخدمة والكرازة . هذا ومن جانب آخر فان صومنا ـ خاصة الصوم الأربعيني ـ يلزم أن تكون غايته الشهادة للسيد المسيح والصلاة الدائمة لأجل تقديس البشرية .

في كـــل صوم أربعيني كان المؤمن يذكر كيف صامت الكنيسة لأجله وجاهدت لتكسبه إناء مقدساً وهيكلا للرب ، فيرد الحب بالحب عاملا هو أيضا لأجل خلاص غيره .

هـــذا الصوم الأربعيني تمتد جذوره إلى العصر الرسولي :

أ] جـــاء في كتابات القديس إيريناؤس ـ في القرن الثاني ـ إن بعض المؤمنين يصومون يوما قبل الفصح وآخرون يومين والبعض فترة أطول ، كما أشار إلى أن البعض يحسبون اليوم أربعين ساعة(٩) .

هنـــا لا ينفي القديس إيريناؤس الصوم الأربعيني أو صوم أسبوع الآلام ، إنما يتحدث عن الصوم الانقطاعي الذي يسبق قداس العيد ، فالبعض يكتفي بصوم سبت النور[وهو السبت الوحيد الذي يصام أنقطاعيا في الكنيسة القبطية] ، والبعض

يصوم يومين متتالين هما : الجمعة العظيمة وسبت النور . أما عن حساب اليوم ٤٠ ساعة ، فلعله يقصد العادة التي كانت متبعة منذ القرن الثاني ـ ولازالت قائمة لدى بعض الأقباط ـ وهو الصوم منذ بدء الجمعة العظيمة حتى فجر الأحد ، أي قداس العيد ، وهي تعادل حوالي ٤٠ ساعة .

جاءتنـــا شهادة أكيدة في منتصف القرن الثالث عن امتداد الصوم لمدة ستة أيام (من الاثنين إلى السبت) . يعلق بعض الدارسين على ذلك بأنه قد حدث تمييز واضح بين صوم الستة الأيام الفصحية ككل وصوم يومي الجمعة والسبت الذي له مكانة خاصة(١٠) . والواقع إن ما ورد عن القرن الثالث هنا يمكن اعتباره حديثا مكملا لما ورد في إيريناؤس . فالقديس حدثنا عن صوم انقطاعي طويل يسبق قداس العيد مباشرة ، بينما ما ورد في منتصف القرن الثالث فيتحدث عن صوم أسبوع الآلام ككل ، ولـــه مكانته الخاصة أيضا ، إذ لازال يمارس في كنيستنا بنسك أكثر منه في فترة الصوم الأربعيني .

ج] في سنـــة ٣٢٥ م جاء الحديث عن الصوم الاربعيني في مجمع نيقية كأمر مستقر في الكنيسة الجامعة ، وليس كأمر مستحدث في كنيسة أو بعض الكنائس .

د] في منتصف القرن الرابع نجد اهتمام القديس أثناسيوس الرسولي بكتابة رسائله الفصحية حتى في منفاه ، هذه الرسائل اعتاد بطاركة (باباوات) الاسكندرية أن يكتبوها على الأقل منذ عهد البابا ديونسيوس الاسكندري . وكانت تكتب في عيد الغطاس ليس فقط لتحديد موعد عيد الفصح ، وإنما لتحديد موعد بدء الصوم الكبير الملتحم بأسبوع الآلام (البصخة) وبالتالي بالعيد .

يلاحـــظ في رسائل القديس أثناسيوس التي وصلتنا أنه يدمج الصوم الأربعيني بأسبوع الآلام وإن كان يبرز التمييز الواضح بينهما .

تصـــوم الكنيسة القبطية ٥٥ يوما هـــي [٤٠ يوم الصوم الأربعيني + ٨ أيام الفصح + ٧ أيام يقال إنها بدل أيام السبوت حيث لا تصام انقطاعيا] .

ثالـــثا : أصـــوام أخـــرى

بجانـــب الصوم الأسبوعي وصوم الأربعين المقدسة وأيضا أسبوع الآلام ، يمارس الأقباط الأصوام التالية :

١ ـ صـــوم الميلاد : غايته الاستعداد الروحي لاستقبال عيد ميـــلاد المخلص ، مدته ٤٠ يوما مضافا إليه ٣ أيام هي التي صامها الشعب لنقل جبل المقطم في عهد المعز .

٢ ـ صـــوم الرسل : يبدأ باليوم التالي لعيد العنصرة ويستمر حتى عيد الشهيدين بطرس وبولس في ٥ أبيب (١٢ يوليو) .. غايته التهاب القلب بحب الكرازة بفكر رسولي .

٢ ـ صـــوم أهل نينوي : ٣ أيام يبدأ الاثنين قبل السابق لبدء الصوم الكبير ، ربما يقصد به صوم يونان في الحوت .

٤ ـ صوم الســيدة العذراء : ١٥ يوماً قبل عيد ظهور جسدها (بعد نياحتها) (٧ ـ ٢٢ أغسطس) .

ملاحظـات على الأصوام القبطية

١ ـ لا تصام أيــام الأربعاء والجمعة في فتــرة الخماسين المقدسة (من القيامة حتى العنصرة) .

٢ ـ للمرضـــى والمسافرين أن يقللوا من الصوم بارشاد أب اعترافهم ، أما الكاملون من النساك فلا يخضعون لقانون إذ يمكنهم الصوم كل أيام حياتهم ... وأيضاً إذ يسام الأسقف يصوم سنة كاملة .

---

١ ـ راجع قداسة البابا شنودة الثالث : روحانية الصوم ، طبعة ١٩٨٤ .

2. The Shepherd of Hermas 3 : 7.
3. In Lev. hom 10 : 2.
4. Ser. 208 : Fathers of the Church, Vol. 38.
5. Paschal Ep. 4 : 2.

٦ ـ راجع قداسة البابا شنودة الثالث : مذكرات في اللاهوت المقارن ، ج ٣ .

7. Didache 8:1.
8. Dict. of Christian Antiq. 2:972, Hip. of Rome, Canon 20; Council of Nicea, Canon 5.
9. J. G. Davies: A. Dict. of Liturgy and Worship, SCM 1978, P.212.
10. Ibid : 213.

القــراءات الكنسيــة
في الكنيســة القبطيــة

بلا شــك كلمات الانسان تكشف عن حياته الداخلية وسماته وشخصيته وقدارته ومواهبه ، هكذا القراءات الكنسية تكشف عن الكنيسة من جهة طبيعتها وفكرها ومنهجها وغايتها وإمكانياتها .

القــراءات الكنســية في العصــور الأولــى

+ كانت الليتورجيات اليومية تمارس جنباً إلى جنب مع طقوس الذبائح الصباحية والمسائية عند اليهود ، خاصة في الأعياد والسبوت ، وقد وضع المجمع اليهودي " قراءات " مناسبة على الأقل للسبوت(١) .

يمكننا أن نوجــز الليتورجيات اليهودية اليومية في أيام السيد المسيح في الآتــي(٢) :

١ ـ يدعـو رئيس المجمع الخادم ليختار من الشعب من يقرأ الشيما Shema (قانون الايمان اليهودي[٣] ، ويحوي تث ٦ : ٤ ـ ٩ ؛ ١١ : ١٣ ـ ٢١ ؛ عـد ١٥ : ٣٧ ـ ٤١) ، والبركات الثماني عشر (سبعة في السبوت) .

٢ ـ قـراءة من أسفار موسى الخمسة بالعبرية ثم بالأرامية .

٣ ـ قـراءة من الأنبياء أو الأسفار الأخرى .

٤ ـ إن وجـد الشخص المناسـب أو الأشخاص المناسبون للوعظ يعظون (أع ١٣ : ١٥) .

+ كـان المسيحيون الذين من أصل يهودي يشتركون في هذه الليتورجيات اليهودية حتى سنة ٦٠ م (أع ٢٠ : ١٦) .

+ ورثـت الكنيسة عن المجمع القراءات اليومية من الكتاب المقدس بما يناسب الفكر المسيحي .

+ في القـرن الثاني ، يذكر الشهيد يوستين[٤] أن الكنيسة أضافت قراءات مقتبسة من الأناجيل والكتابات الرسولية .

+ في القـرن الثاني وجدت قراءات ثابتة خاصة بالأعياد السيدية ، خاصة عيدي الفصح والعنصرة[٥] ، ثم قراءات خاصة بأعياد الشهداء ، فأيام الآحاد [ذكـر كثير من الآباء استخدام الكنيسة قراءات من العهدين][٦] .

+ قبـل مجمع نيقية كان بالكنيسة قطمارس Lectionary ثابت أو أكثر[٧] .

ملامـح القـراءات في الكنيسـة القبطيـة

أولا

يمكننـا تقسيم القراءات الكنسية إلى صنفين ، كل منهما يبرز جانباً من جانبي طبيعة الكنيسة :

١ ـ قـراءات تمثل خطاً عاماً عبر العام كله ، تبدأ بالنيروز (رأس السنة) وتنطلق بالمؤمن في خط لاهوتي وروحي يمثل منهج الكنيسة أو سلمها الروحي حتى يجتاز العام كله ... هذا الخط يمثل جامعة الكنيسة ووحدتها .

٢ ـ قـراءات خاصة بكل يوم حسب أعياد القديسين ... هذه تمثل طبيعة التمايز بين يوم ويوم ، بالنسبة لنا تمثل التمايز بين أعضاء الكنيسة واختلاف مواهبهم كأمر متكامل مع جامعيتهم ووحدتها .

يمكننـا أن نسمي النوع الأول بالخط العام للقراءات ، والنوع الثاني بالقراءات الخاصة ، وسنترك الحديث عنهما مؤقتاً .

ثانيـــاً

إن القــراءات الكنسية تعتبر جزءاً لا يتجزأ من العبادة الكنسية ، فهي ليست فصولا تقرأ فحسب وإنما عبادة تمارس وتسبحة ترنم ، لذا غالبا ما تقرأ بلحن خاص متمايز حتى يتناغم اللحن مع غاية الكنيسة من تقديم الكلمة ، فيقدم العابدون خلال القراءات تسبحة حب لله . بمعنى آخر القراءات الكنسية هي صلوات خلالها نسمع الصوت الالهي ونسمعه أصواتنا الداخلية ، أو قل هي " ديالوج " حب بين الله وشعبه لذا لا توجد صلاة كنسية بدون قراءات كتابية . فالقراءات لا تقف عند ليتورجية الأفخارستيا اليومية ، وإنما تمتد إلى رفع البخور باكر وعشية ، وأيضا ليتورجيات الأسرار كالزواج والمعمودية وليتورجيات المناسبات الأخرى كالجنازات ، حتى في صلوات الأجبية ، في كل ساعة يمتزج لحن المزامير مع مقتطفات من العهد الجديد .

ثالثـــاً

القــراءات الكنسية في القداس الالهي ليست مجرد توزيع لفصول أسفار العهدين على مدار السنة ، وإنما هي اختيار لفصول معينة بوحي الروح القدس لكي تقدم منهجاً روحياً لاهوتياً متكاملا ، هذا المنهج يأتي مترابطاً مع مناسبات الكنيسة وألحانها وتسابيحها وطقوسها المتباينة خلال العام لتقدم بناء حياً للجماعة المقدسة .

رابعـــاً

بجانــب القراءات التي تقتبس من أسفار العهدين القديم والجديد والتي تأتي متناسقة ومتكاملة مع ألحان الكنيسة وتسابيحها التي تتنوع وتتشكــل عبر العام القبطي ، توجد أيضاً قراءات أخرى من الكتب التقليدية والآبائية ، مثــل :

١ ـ **السنكسار** : الذي يضم سير الآباء وأعمال الله مع الكنيسة عبر التاريخ .

٢ ـ **الدفنــار** : أشبه بتمجيد لعمل الله في حياة قديس اليوم [لم يعد مستعملا في أغلب الكنائس اليوم] .

٣ ـ مواعــظ ومقالات آبائية مثل مواعظ القديس يوحنا الذهبي الفم [تستخدم غالباً في الكنائس التي لا توجد بها كلمة وعظ ، وهذا نادراً ما يحدث] .

كتــب القــراءات الكنســية

توجــد كتب " القطمارس " ، التي تحوي القراءات من الكتاب المقدس المستخدمة في رفع بخور باكر وعشية والقداس الالهي ، وهــي :

١ ـ **القطمارس الــدوار** : خاص بالقراءات التي تتلى في الأحاد والأيام العادية عبر السنة ، يقسم حسب الأشهر القبطية وهي ثلاثينية ، والشهر الثالث عشر أو الصغير أو النسى مدته خمسة أو ستة أيام حسب السنة .

٢ ـ قطمارس الصـــوم الكبير (أيام الصوم بآحاده) .
٣ ـ قطمارس البصخـــة المقدسة (من سبت لعازر حتى عيد القيامة) .
٤ ـ قطمارس الخماســـين (ما بـــين عيد القيامة وعيد العنصرة) .

+ + +

الخـــط العـــام للقـــراءات الكنسيـــة

في القـــراءات الكنسية الخاصة بليتورجيا الأفخارستيا وما يدور حولها مثل قراءات رفع بخور باكر وعشية ، إن تركنا القراءات الخاصة بكل يوم لنتطلع بنظرة شمولية لاتجاه القراءات خلال العام القبطي ، نجدها تقدم لنا صورة متكاملة للمنهج الكنسي كمنهج إنجيلي تعبدي نسكي لاهوتي يحمل فكراً إنقضائياً (سماوياً) مع عدم تجاهل للواقع الذي نعيشه على الأرض ، فهو يضم المراحل التالية بالترتيب :

١ ـ **ما بـــين عيد النيروز وعيد الصليب** (١ ـ ١٧ توت) : يغلب عليها طابع التسبيح والفرح مع التجديد المستمر ، لذا فان أول عبارة ينطق بها في ليلة رأس السنة هي " سبحوا الرب تسبيحاً جديداً] ... وكأنه إن كانت التوبة هي طريق الملكوت لكنها توبة الرجاء الممتزجة بتجديد الفرح على الدوام .

* إلتحـــام عيد النيروز (كعيد للشهداء) بعيد الصليب ، واستخدام الألحان الفرايحي طوال المدة تأكيد لبهجة الكنيسة المتألمة بحملها الصليب بفرح مع عريسها .

٢ ـ **الاســـتعداد لعيـــد الميلاد** (٢٩ كيهك) : حيث تصوم الكنيسة ٤٣ يوماً لتقدم قراءات تدور حول " الصداقة الالهية " التي تحققت بالتجسد .

٣ ـ **ارتبـــاط أعياد الميلاد بالختان والعماد (الغطاس)** : وحـــدة هذه الأعياد تعلن بقراءاتها أن صديقنا خضع معنا تحت الناموس فاختتن ، لكنه دخل بنا إلى نهر الأردن لرفعنا إلى الختان الروحي ، وتتحول الصداقة إلى " البنوة لله " فنصير " أهـــل بيت الله " .

بمعنـــى آخر تتحقق الصداقة الالهية (الميلاد) خـــلال عملين متكاملين : نزول كلمة الله إلينا (ختانه مثلنا) ورفعنا بروحه القدوس إليه (ختاننا الروحي أو معموديتنا) ، صار مثلنا خاضعاً لناموس هو واضعه ليجعلنا على مثاله أبناء لأبيه القدوس :

٤ ـ **فصـــح يونـــان** : تحقيق البنوة إنما يتم خلال " العبور " ، نموت معه وندفن (كما في جوف الحوت) لنقوم معه في جـــدة الحياة [كلمة « فصح » تعني « عبور »] .

* القـــراءات في صوم يونان وفصحه تمثل دعوة لقراءة العهد القديم بمنظار جديد خلال أحداث الفصح المسيحي ، أي صلب المسيح وقيامته .

٥ ـ **قـراءات الصوم الكبير** : سواء في أيام الصوم أو أحاده لها طابعها الخاص ، إذ تهيئنا عملياً للشركة الحقيقية مع المسيح فصحنا الذي ذبح لأجلنا .

٦ ـ **قـراءات البصخة (العبور) المقدسة** : تبدأ بسبت لعازر حتي قداس عيد القيامة (الفصح) ، وهي مركز القراءات كلها ، حيث تتابع الكنيسة أحداث الخلاص ساعة فساعة ، لتكشف عن أسرار حب الله الخلاصي من خلال العهدين القديم والجديد ليعيش المؤمن بكل قلبه وأحاسيسه فيها ، فينعم بهجة القيامة مع المسيح وبه .

٧ ـ **الخماسين المقدسة** : بقراءاتها وألحانها تكشف عن أسرار الملكوت السماوي ، الذي في جوهره تمتع بالمسيح القائم من الأموات ، الجالس في السموات [تمتد ما بين عيد القيامة حتى عيد العنصرة] .

٨ ـ **عيـد الرسـل (٥ أبيب)** : هو عيد الكرازة والخدمة بلا توقف ، والسلوك بحياة رسولية .

٩ ـ **عيـد العـذراء (١٦ مسرى)** : يعلن الأمجاد التي يبلغها المؤمن باتحادة بالمسيح الممجد ، واضحة في القديسة مريم بكونها العضو الأمثل بين المؤمنين ، كما يؤكد هذا العيد شركة القديسين .

١٠ ـ **الاستعداد للنـيروز** : في الأسبوعين الأخيرين من العام توجه القراءات أنظارنا إلى انقضاء الدهر ومجيء الرب الأخير ، لنقول : نعم ، تعال أيها الرب يسوع .

في إيجـاز يمكننا القول أن المنهج العام للقراءات الكنسية العامة يتلخص في الآتـي :

١ ـ يبـدأ بالفرح الروحي في الرب مع الرغبة المستمرة في التجديد كأساس لحياتنا الروحية **(عيد النيروز حتى الصليب)** .

٢ ـ هـذا الفرح يقوم على الصداقة الالهية ومبادرته بالحب **(عيـد الميلاد)** .

٣ ـ تحققـت هذه المبادرة بمشاركته لطبيعتنا لنشاركه بنوته **(عيدي الختان والغطاس)** .

٤ ـ هـذه البنوة هي عبور من حالة العبودية خلال الفصح الذي تركز حوله العهد القديم **(فصح يونان)** .

٥ ـ الفصـح القديم كان رمزا لفصحنا الحق « صلب الرب وقيامته » **(الصـوم الكبير)** .

٦ ـ التزامنـا بالشركة مع فصحنا عملياً ، بقبولنا صليبه في حياتنا لننعم ببهجة قيامته وقوتها **(أسبوع البصخة)** .

٧ ـ التزامنـا بالفكر الانقضائي السماوي ، وعدم الانحراف عن الملكوت الداخلي (**الخماسين المقدسة**) .

٨ ـ إذ ننعـم بالشركة مع الله يلزمنا الشهادة له : العمل الكرازي (**عيـد الرسل**) .

٩ ـ شـركتنا مع الله تقيم شركتنا معاً فيه ، وتربطنا بقديسيه (**عيد القديسة مريم**) .

١٠ ـ تذوقنـا للشركة مع الله ومع إخوتنا يلهب حنيننا لمجيء الرب ، لننال الشركة على المستوى السماوي الأبدي خـلال كمال المجد (**نهاية العالم**) .

من النقـاط السابقة نجد الكنيسة القبطية تقدم لشعبها خلال العام فكراً متكاملا عن محبة الله وعمله الخلاصي مع الالتزام بالجهاد الروحي ، وعن التأمل في السماويات مع قبول الآلام بفرح ، التمتع بأسرار كلمة الله من العهدين القديم والجديد مع الكرازة والشهادة ، التمتع بالشركة الخفية مع الله في إبنه بروحه القدوس خلال شركتنا معاً فيه .

---

1. J. G. Davies: A Dict. of Liturgy and Worship, SCM 1978, p. 211.
2. W. K. Lowther Clarke: Liturgy & Worship, SPCK 1943m p. 76, 77

٣ ـ كان كل يهودي يلتزم بتلاوة قانون إيمانه هذا مرتين يومياً .

4. Apology 1: 67.
5. Dom Gregory Dix: The Shape of Liturgy, 1975m p. 39.
6. St. Clem. Alex. PG 8:237 F; Origen: Homilies, passim; Tertullian; De Praescript 36; Cyprian: Ep 38, 39.
7. Dix, p. 39, 370.

\+ + +

العبـادة الخـاصـة
في الكنيسـة القبطيـة

حيـادة تعبديـة واحـدة

المؤمـن في حياته اليومية وسلوكه وعبادته إنما يحمل حياة واحـدة لا يمكن تجزئتها ، إما حياة " في المسيح " أو " خارج المسيح " . فان تمتع بحياته " في المسيح " لا يمكنه أن يفصل شركته في العبادة العامة عن ممارسته حياته التعبدية الخفية الخاصة ، لانهما يمثلان حياة تعبدية واحدة . بمعنى آخر يستطيع المؤمن وهو يشارك الجماعة الليتورجيات الكنسية أن يدخل مخدعه الخفي ويغلق أبواب حواسه ، فيكون وهو بالجسد وسط الجماعة لكنه بالقلب والفكر والنفس منطلقاً إلى السموات يناجي الله ويلتقي به كما لو لم يوجد في المسكونة غيرهما . وأيضاً حين يدخل حجرته

الخاصة ويغلق الباب الخارجي لينسكب أمام الله في عبادة روحية حقة يحمل في قلبه كل العالم ـ أقصد كل جنس البشر ـ ليصلي من أجلهم ويطلب صلواتهم عنه ... يشعر وهو في حجرته داخل الكنيسة التي تضم صفوف المجاهدين بل والمنتصرين وأيضاً تضم السمائيين .

بهـذا المفهوم لا يمكننا أن نضع خطاً فاصلا بين حياة كنسية وحياة تعبدية خاصة ، لأن الكنيسة هي كل مؤمن يلتحم مع إخوته في الرأس الواحد .

هـذا ما يدفعنا في الوقت الحالي ـ نظراً لبعض المشاكل السكانية في مصـر ـ إذ لا يجد لكل مؤمن حجرة خاصة به لينفرد بالصلاة ، أن يقف أو ينحني ليصلي في حضرة أعضاء الأسرة ... ولا يتوقف عن الصلاة الخاصة بحجة عدم وجود مخدع مغلق خاص به ... فالمخدع في داخله إن أراد أن يغلق أبواب حواسه .

عبـادة خاصـة أم عبـادة فرديـة ؟

ليـس للكلمة " فردية " وجود في قاموس كنيستنا ، ففي المسيح محب البشر انتزعت عنا روح الانعزالية والفردية ، لنحيا بروح الحب الجماعي ، حتى وإن كنا في حجرتنا الخاصة . هذا ما سبق فأوضحته كثيراً عند الحديث عن الرهبنة والتوحد ، إن الرهبنة ليست إنعزالا داخلياً عن الجماعة ، ولا ممارسة لحياة فردية ، إنما هي اتحاد مع الله محب البشر .

العبـادات الخاصـة

في الكنيسـة القبطية يمارس المؤمن الكثير من العبادات الخاصة ، نذكر منهـا :

١ ـ صلـوات الأجبية (السواعي) : أخذت الكنيسة الأولى عن الكنيسة اليهودية نظام تقسيم اليوم إلى ساعات للصلاة . كثير من الأقباط يصلون باكر وصلاة النوم ، والبعض نصف الليل ... وإذ سنحت لهم فرصة يصلون صلوات أخرى .

يلاحـظ في صلوات الأجبية الآتي :

أ] تدعـى كل صلاة " تسبحة " ... كأن الكنيسة تدعو أولادها لحياة الفرح إن أمكن كل ساعات أيام حياتهم نهاراً وليلا .

ب] مع كـل ساعة تقدم لنا الكنيسة تذكاراً لجانب من جوانب عمل الله الخلاصي ، فتسبحة باكر تذكرنا بقيامة السيد المسيح ، وقيامتنا اليومية معه لنبدأ الحياة الجديدة . وتسبحة الساعة الثالثة تذكرنا بحلول روح الله القدوس على الكنيسة واهب التجديد المستمر والتقديس وفي الساعة السادسة نذكر صلب السيد المسيح ، بينما في الساعة التاسعة نذكر موت السيد المسيح بالجسد وانفتاح باب الفردوس للص اليمين . في الساعة الحادية عشر (الغروب) نذكر نزول جسد السيد المسيح ، مقدمين الشكر لله على انقضاء النهار ، سائلين إياه أن نجتاز الليل بسلام . وفي تسبحة

النوم نذكر دفن جسد السيد المسيح ، مترقبين نهاية حياتنا على الأرض ، أما تسابيح نصف الليل الثلاث ففيها ترقب لمجيء ربنا يسوع المسيح .

ج] تسبحـــة السواعي تفتح بالشكر لله بعد الصلاة الربانية ، ثم تقديم توبة (مز ٥٠) ، يليها التسبيح بالمزامير .

٢ ـ بجانـــب صلـــوات أو تسابيح الأجبية يمارس المؤمن صلواته الخاصة أو حديثه الخاص ... تارة يسبح وأخرى يشكر وثالثة يعاتب ورابعة يطلب ويتوسل ... ويليق بالمؤمن أن يكون متسع القلب فلا يركز في صلواته على احتياجاته هو بل يطلب إن أمكن من أجل الكـــل : من أجل أحبائه كما من أجل مقاوميه : معارفه والغرباء عنه ، المؤمنين وغير المؤمنين .

٣ ـ يليـــق بـــه ممارسة " السجود " أو المطانيات ... علامة الانسحاق والتوبة . يتدرب المؤمن أن يقدم مطانيات لأجل خلاص الآخرين .

٤ ـ الانشـــغال بالله عبـــر يومه ... أو ما يسمى " صلاة اسم يسوع " ، وتدعى " الصلاة السهمية " ، إذ يصرخ المؤمن من لحظة إلى أخرى بصلاة قصيرة . منادياً اسم ربنا يسوع المسيح كسهم يضرب به فخاخ العدو الشيطان . هذا العمل مع بساطته له فاعليته في حياة المؤمن وعبادته .

٥ ـ تسابيـــح وتماجيـــد وتطويبـــات : بعض المؤمنين يمارسون التسابيح الكنسية يومياً أو في الأعياد كعبادة خاصة في مخادعهم . هنا نذكر أن الأقباط يفضلون إقامة أشبه بمقصورة صغيرة في بيتهم كركن خاص بالعبادة ... وإن لم يمكن ذلك تجد الكثير من الايقونات تزين بيوتهم علامة شوقهم للحياة المقدسة في الرب ، والشركة مع القديسين .

+ + +

الفصـــل السابـــع

الكنيســـة القبطية والعقائـــد

الاســـكندرية والعقائـــد المسيحيـــة(١)

العقائـــد بالنسبة للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ليست مجرد مفاهيم لاهوتية خاصة بالله ، الانسان ، الكنيسة ، الحياة الأبدية ، الخليقة السماوية ، الشيطان الخ ... يناقشها رجال الكهنوت والباحثون والعلمانيون ، وإنما هي في جوهرها خبرات يومية يعيشها كل عضو في الكنيسة . بمعنى آخر ، العقائد تمثل إيماننا بالله من جوانب متعددة ، غايتها شركتنا مع الله الآب في يسوع المسيح ، كلمة الله المتجسد ، بواسطة روحه القدوس . بهذا نفهم خلاصنا وعضويتنا الكنسية ، كما يعيد لنا فهما عميقا للكتاب المقدس ، قبل ملكوت الله في نفوسنا ، والشركة مع الخلائق السمائية ، وخبرة الحياة الأبدية .

العقيـــدة وتكامـــل الحيـــاة الكنسيـــة

ليســـت الكنيسة المسيحية مجرد مدرسة تنشغل في بحث العقائد وتقوم بتعليمها ، وإنما هي مؤسسة تتعبد لله ، وتخدم البشرية : تعمل من أجل تغيير العالم وتجديده ، وفي رجاء تنتظر العالم الآتي . حقا إن الكنيسة المسيحية لا يمكن أن تكون كنيسة كما نعرفها بدون العقائد المسيحية(٢) . إذ تفسر العقائد كل فلسفتنا للكنيسة خلال إيماننا المترجم عمليا في التقليد المقدس والكتاب المقدس ، والعبادة ، والسلوك ، والكرازة . كل هذه العناصر معا تمثل جوانب مختلفة لحياة كنسية واحدة .

إن تطلعنـــا إلى علاقة العقائد بالكتاب المقدس ، نلاحظ أنها ليس فقط تقوم على أساس كتابي ، وإنما كل عقيدة لا يوجد لها أساس في الكتاب المقدس تحسب باطلة . العقائد في الواقع مرآة الكتاب المقدس ، تفسره وتجتذب البشر للتمتع بروحه .

بنفـــس الطريقة يمكننا القول بأن العقائد هي الطريق الذي يقود المؤمنين لعبادة الله بالروح والحق : وكل عبادة حقة تعلن عقائدنا في بساطة .

ترتبـــط العقائد باتجاهنا النسكي . فكما سبق لي فأشرت(٣) أن اللاهوتيين ورجال الدين الاسكندريين الأوائل كانوا نساكا بالحق ، ولايزال للنسك أثره الفعال على لاهوتياتنا ، لا بجحد أجسادنا كما ادعى بعض الدارسين ، وإنما بالتركيز على

الاتجاه الخلاصي . فالنساك الأقباط الأوائل كانوا ممتصين في التمتع بأعمال الثالوث القدوس الخلاصية ، أي ، بالتمتع بتقديس النفس والفكر والجسد والمواهب الخ ... وذلك بالشركة مع الآب في ابنه بالروح القدس .

كان النسك المصـــري الأول كتابيا : لا يبغض الجسد بحواسه وقدراته ، ولا يجحد حرية الارادة الانسانية ، ولا يحتقر الحياة الأرضية والممتلكات الزمنية . النسك القبطي في جوهره ليس اعتزالا للبشرية بل وحدة مع الله . هذا الاتجاه له أثره على لاهوتياتنا وعقائدنا ، بالتركيز على " التألة " ، بمعنى عودة الانسان إلى صورة الله الأصلية باصلاح نفسه وفكره وجسده الخ ... كاعداد للتمتع بالفردوس .

أمـــا عن ارتباط العقائد بالسلوك أو الايمان العملي ، فيلزمنا أن نميز بين العقائد الكنسية وإيمان الشيطان ، إذ كما يقول القديس يعقوب : " والشياطين تؤمن " (٢ : ١٩) .

بخصـــوص علاقة العقائد أو اللاهوتيات ككل بالحياة التقوية العملية ، أقتبس كلمات الآن ريتشاردسن : " غالبا ما يشعر المتدينون أن اللاهوتيات تقيم أفكارا باردة ميتة عوض الايمان الحي الحار . اللاهوتيات مثل كل دراسة يمكن أن تصير جافة وأكاديمية ... في الحقيقة أن الدين بدون لاهوتيات ناقص ولا يمكن التفكر فيه ، تماما كاللاهوتيات بدون تدين : الاثنان مكملان لبعضهما البعض كما يتكامل معا النظريات والتطبيق العملي "(٤) .

التحـــام العقيدة بالكرازة واضح من سيامة أغلب عمداء مدرسة الاسكندرية الأولين كباباوات وأساقفة لهذا الكرسي . هؤلاء كانوا على ثقافة عالية في اللاهوت أي العقائد مع قدرة على الكرازة وممارسة الأعمال الرعوية .

في اختصـــار يمكن القول بان اللاهوت الحقيقي ليس هو ذاك الذي ينشغل بالبحث وتعليم العقائد إنما أيضا يقبل عقائد الكنيسة التي هو عضو فيها . مثل هذا يدعوه أوريجانوس " رجل الكنيسة "(٥) ، لا يتحدث باسم الكنيسة فقط إنما يمارس حياتها أيضا .

العقيدة هـــي ما نؤمن به ، ما نتعلمه ، ما نعترف به ، وما نمارسه .

العقائـــد والمعـــرفـــة

إحدى السمات الرئيسية لكنيسة الاسكندرية اتساع فكرها وانفتاح قلبها نحو الفلاسفة فبينما تطلع قادة الكنيسة في البلدان الأخرى إلى الفلسفة كعدو للايمان (مثل القديس يوستين وترتليان) إذ بآبائنا يحتضنون الفلاسفة بالحب ، متطلعين إليهم كأطفال يحتاجون إلى الكنيسة لتعينهم حتى ينمو بالايمان إلى النضوج . هكذا ننظر الاسكندريون إلى الايمان ليس كمناقض للعقل والمعرفة وإنما كمشبع للذهن ورافع للأفكار حتى ينعم الانسان بالمعرفة الالهية . هذه المعرفة أسمى من المعرفة الفلسفية . الله يهب الايمان للبشر الذين هم خليقته العاقلة ، ولا يود تحطيم الأذهان التي خلقها بنفسه .

في القــرن الثاني اعتقد القديس اكليمندس ، وهو لاهوتي ذو تقوى عظيمة محب للقراءة ودارس للعلوم الزمنية ، إن المؤمن الروحي هو " غنوصي " ، معطياً لتعبير " غنوصية " (معرفة) معنى مسيحياً عوض المعنى الذي كان سائداً في ذلك الحين ألا وهو " هرطوقي " . إنه يقول : " الغنوصية هي أساس ومصدر كل عمل يناسب اللوغوس "(٦) ، " نعمة الغنوصية تأتي من عند الآب بالابن "(٧) .

العقيــدة أساسهــا الحــق والحــب

العقــائد ـ كما رأينا ـ هي تفسير لخبراتنا مع الله ، في المسيح يسوع المصلوب القائم من الأموات . هذه الخبرة لا تتغير مع الأجيال ، إذ يبقى يسوع المسيح هــو أمس واليوم وإلى الأبد (عب ١٣ : ١٨) . لم يجلس التلاميذ والرسل والأساقفة بعدهم حول مائدة يتفقون فيها على عقائد جديدة بل بالحري كرزوا بخبرتهم المسيحية . وكما يقول القديس يوحنا : " الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به " (١ يو ١ :٣) ـ هكذا جاءت كل العقائد المسيحية كمحصلة لخــبرة الكنيسة مع المسيح المصلوب القائم من الأموات " الحق " ، " الحب " فى نفس الوقت . لقد تقبلنا هذه العقائد كحق غير متغير ، نمسك به خلال الحب .

الباباوات (الأساقفة) الاسكندريون كلاهوتيين وكرعاة في نفس الوقت تطلعوا إلى العقيدة كتعبير عن الحق الانجيلي ملتحم بالحب . كانوا غيورين تماماً في دفاعهم عن الايمان والعقائد الأرثوذكسية ضد أية هرطقة ، ليس فقط في مصر وإنما في كل العالم المسيحي ، مقدمين حياتهم ذبائح لحساب الكنيسة . كانوا حازمين تماماً ومدققين في الايمان الذي تسلموه (٢ تي ١ : ١٢ ، ١٤) ، حتى وصفهم بعض المؤرخين بالعنف ، لكنهم بالحقيقة كانوا محبين ولطفاء . كتب القديس كيرلس لنسطور يخبره أنه لن يجد أحداً يحبه مثله ، لكن هذا الحب لن يكون على حساب الايمان . لقد كره الهرطقة والخطأ وأحب نفس الهرطوقي واشتاق إلى خلاصها .

العقــيدة والاصطلاحــات اللاهوتيــة

استخدم الآباء الاسكندريون المصطلحات اللاهوتية للتعبير عن الحقائق الالهية ومعانيها العميقة ، وللدفاع عن الايمان الأرثوذكسى ضد الهراطقة ، لكنهم لم يكونوا

---

1. Father Tadros Malaty: Alexandria & Christian Dogmas, Ottawa 1986.
2. See J. Pelikan: The Christian Tradition, Vol. 1, 1973, p. 1.
3. Terms: Physis & Hypostasis in the Early Church, p.19.
4. Alan Richardson: Creeds in the Making, SCM, 1979, p.8.
5. In Levit 1: 1; In Jos. 9:8.
6. Strom, 6: 69: 2.
7. Ibid 5: 71:5.
8. Tome to the People of Antioch.
9. For more details see our booklet: Alexandria & Christian Dogmas.

عبيداً للمصطلحات في ذاتها . القديس أثناسيوس الذي كرس حياته للدفاع عن لاهوت السيد المسيح يقول بأنه يلزم ألا يسبب الخلاف على الكلمات انشقاقاً بين أناس متحدين في الفكر[٨] .

العقيـــدة والتجديـد

تعـرف الكنيسة القبطية ككنيسة محافظة ، خاصة في العقيدة والتعليم . وفي نفس الوقت تنمو (تتطور) لا بقبولها تعاليم جديدة أو عناصر إيمان جديدة ، بل بتفسير ذات الايمان المسلم مرة للقديسين (يهوذا ٣) بلغة معاصرة[٩] .

\+ + +

إيمـاننـا بالله[١]

الله محبـــة

" الله محبة " (أيو ٤ : ٨) . ليس فكرة مجردة نعتنقها ، ولا كائناً مخيفاً يعيش بعيداً جداً عن السموات معتزلاً عالمنا ، بل هو محب للبشر . يهبنا معرفته الالهية لكي ننعم بحبه وندرك أبوته . يتوق أن يقترب إلى البشرية جداً ، يضمها إليه ، يسكن في النفوس ، ويهبنا شركة مجده .

بمعنـــى آخر ، الله يعلن ذاته لنا لا لننشغل بمناقشات نظرية ، ولا ليفرض سلطته علينا ، إنما ليجتذب البشرية أولاداً له ، يجدون فيه مصدر الحياة والخلود والمجد الأبدي .

إعـــلان الله

خلـق الله الانسان على صورته ، كأكمل خليقة على الأرض ، لا ليتركه وحيداً في الفردوس ، وإنما ليلتقي به (تك ١٨ : ١٧) ، يعلن له ذاته وطبيعته وأسراره وإرادته .

تحـدث الله مع البشرية خلال الطبيعة (رو ١ : ٢٠) ، وإذ رفضوا الانصات لها أرسل إليهم الشريعة الموسويـة المكتوبة والأنبياء (عب ١ : ١ ، ٢) . وأخيراً جاء كلمة الله المتجسد يشرق بنوره في داخلهم مقيماً مملكته فيهم ... جاء ليعلن عن سر الله محب البشر ومخلصهم ... وكأن إعلانه إنما يمس كياننا ومستقبلنا الأبدي ، وليس موضوع مناقشات جدلية بحتة .

ســـــر الله

كلمـــة " ســـر Mystery " في المسيحية لا تعني قبول المؤمن لعقائد غامضة دون فهم ، مناقضة للعقل ، إنما تعني عجز الفكر الانساني عن قبولها ، وحاجته إلى نعمة الله التي تكشف له الحق ، وترفعه ليدرك بفرح الالهيات كحقائق يتقبلها العقل وإن كانت تسمو عنه ... الله يتعامل معنا كخلائق عاقلة ، مقدراً العقل الذي خلقه فينا ، فيعليه ولا يحطمه .

الوحـــدانية والايمـــان الثالـــوثـــي

إيماننـــا في جوهره هو دعوة للتمتع بخبرة الله الواحد ، محب البشر ، وقد جاء الكتاب المقدس بعهديه يؤكد ذلك . تحدث العهد القديم عن الله الواحد في سلبية إذ كان يحوط حول اليهود خشية السقوط في " تعدد الآلهة " والانغماس في رجاسات الوثنيين (٢ مل ٢١ : ٢ ؛ ٢ أي ٢٨: ٣) ؛ أما العهد الجديد فعمق إيماننا بالله الواحد كاشفاً عن الايمان الثالوثي . هذا الايمان ـ في حقيقته ـ لايضاح الوحدانية بل يؤكدها معلناً بعض أسرار الاله الواحد ومفسراً لها .

الايمـــان الثالوثـــي والكتـــاب المقـــدس

أشـــير للثالوث القدوس عند عماد السيد المسيح (يو ١ : ٢٧ ـ ٣٣) ، كما يتحقق عمادنا باسم الثالوث (مت ٢٨ : ١٩) ، ويعددهم الرسول بولس في البركة الرسولية (٢ كو ١٣ : ١٣) .

وفي العهـــد القديم نجد الله يسبح بثلاثة تقديسات (إش ٦ : ٣) ، ويذكر اسمه بصيغة الجمع (الوهيم) حتى في (تث ٦ : ٤) حيث يؤكد أن الله واحد ، [راجع تك ١ : ٢٦ ؛ ١١ : ٧] .

هـــل من ضـــرورة للايمـــان الثالـــوثـــي ؟

١ ـ الايمـــان الثالوثي يعالج كثير من مشكلات الوحدانية المطلقة ، نذكر على سبيل المثال : إن قلنا بان الله محبة ، حبه أزلي ، فهل كان معه من يحبه منذ الأزل ؟ ! إن كان يحب ذاته ، فهذه أنانية (حاشا لله) ، إن قيل انه كان يحب بالقوة لا بالفعل حتى يخلق السمائيين والأرضيين فيحبهم ، إذ ينسب لله النقص (حاشا لله) . لأنه محتاج بالضرورة للخليقة كي يمارس حبه فيتحول من القوة إلى الفعل . وما نقوله عن الحب نكرره في بقية الصفات الالهية مثل السلام والمودة . إيماننا بالله الواحد المثلث الأقانيم يعلن حركة الحب والوحدة والسلام في الله كحركة أزلية قائمة في الثالوث . الآب يحب الابن أزلياً ، والحب ليس غريباً عن الله أو أمراً إضافياً لله ... هو حب ومحبوب ومحب أزلياً . وما يمارسه معنا من حب إنما امتداد لعمله وحياته الأزلية الداخلية . إذن الثالوث ينزع عن الله فكرة الجمود .

٢ ـ إن قيـــل أن الايمان الثالوثي قد يوحي بالتعدد نجيب ان الابن هو كلمة الآب ... في كثير من الاديان ينظر إلى كلام الله إنه أزلي . كلمة الله ليس شيئاً خارجاً عنه ، بل واحد معه ، كالبهاء الذي يشـــع من النور . لم يكن الآب بدون كلمته ، ولا يوجد نور بدون بهاء .. إذن فالابن لا يعني تعدداً .

أما الروح القدس فهو " الحياة " ... الآب هو الكينونة الالهية ، كينونة حياة أزلية .

الله كائن ناطق حي .. ثالوث لا يحمل تعقيداً أو تعدداً بل بساطة ووحدة .

٣ ـ يقـــول القديس اكليمندس الاسكندري أن كل التعبيرات الخاصة بالله وردت بسبب ضعفنا وعجزنا . فكلمة " واحد " لا تعني خضوع الله لرقم عددي أي " واحد " ، إنما الله هو واحد ، وفوق العدد ... إذن ليتنا لا نتطلع لله في واحدنية بطريقة مادية .

٤ ـ حينما نتحدث عن الابن ، لا يفهم ذلك مادياً ، كأن الابن جوهر آخر مع جوهر الآب ... إنما هو بهاء النور غير المنفصل عنه .

لمـــاذا نستصعب ولادة الابن من الآب أزلياً ؟ كل جوهر فعال يلد ما يعلن فاعليته ؟ فالنار تعطي نوراً ، والمواد المشعة طاقة ذرية ، والعقل الانساني يلد أفكاراً ... فلماذا نفكر في الله بطريقة جامدة ؟ !

ـ إيماننـــا بالابن يعلن عن طبيعة الله المحبة ، الذي في حبه الأزلي يقدم ذاته للابن بكونه واحداً معه في الجـــوهر .

٥ ـ يوضح القديـــس أثناسيوس سر دعوة " الابن " " كلمة الله " .. ألا وهو تأكيد الوحدانية في الجوهر ، لئلا يظن بالآب والابن جوهرين .

٦ ـ وحـــدة الثالوث القدوس ، وحدة حب ، حركة مستمرة ، هي سر حيويتنا ، إذ تمثل بالثالوث القدوس في اتحادنا معاً فيهم .

٧ ـ إيماننـــا بالثالوث يمس حياتنا اليومية ومستقبلنا الأبدي ... إذ فيه ندرك أبوة الله وننعم بالصداقة الالهية بالمسيح مخلصنا ، وندرك شركة الروح القدس ... هذا كله يفتح أمامنا باب الرجاء في شركة الأمجاد السماوية .

٨ ـ الثالـــوث القدوس يوضح مفهوم " الكمال ... كمال الوحدة بين الثالوث ، وليس الكمال النظري الجامد بلا حركة حب .

الثالـــوث القـــدوس والفكـــر الانســـاني

إيماننـــا بالثالوث القدوس لا يضاد الفكر الانساني كما يظن البعض ، فان كان هو سر فكما قلنا إنما لأننا في حاجة إلى إعلان إلهي عنه . حتى الوحدانية تحمل أسراراً يعجز العقل عن إدراكها ، نذكر على سبيل المثال أن الكل يؤمن بان الله (مالـــىء) السماء والأرض وغير محدود ، ومع هذا نؤمن بالعرش الالهي ... فهل هو عرش

محدود ؟ كيف نراه في السماء على العرش ؟ كيف يمـلأ الكل وفي نفس الوقت بكامله ـ إن الله لا يتجزأ ـ موجود في كل حجرة أو بيت لله ؟ !

لنـا في النفس البشرية مثال مبسط أو ظل للثالوث ، فكل نفس هي موجودة ناطقة حية ، والوجود غير النطق غير الحياة ... وهي نفس واحدة لا توجد دون الكيان أو النطق أو الحياة .

والنار أيضـا هي لهب منير حار ؛ اللهيب غير النور غير الحرارة ، ومع ذلك فهي نار واحدة .

أخـيراً كان لزاماً الكشف عن الثالـوث القدوس لتحقيق خلاصنا بالله الذي يحب البشرية فأرسل كلمته متجسداً يحمل ثقل خطايانا ، يفي الدين عنا ، ليرسل روحه القدوس رافعاً إيانا إلى مجده .

إيماننـا بالثالوث القدوس يكشف حقيقة الله كمحب للبشر ، لا يود تحطيمنا أو السيطرة علينا كما يظن بعض الوجوديين الملحدين ، وإنما هو حب فائق يود بنوتنا لننعم بالاتحاد معه ، نشاركه أمجاده الأبوية .

---

1. Father T. Malaty: The Coptic Orthodox Church and Dogmas; GOD.

\+ + +

الانسـان وخـلاصـه

الانسـان في نظـر الله

إيماننـا بالله مرتبط بحياتنا فنحن نتعرف عليه كمحب للبشر يعلن ذاتـه لمحبوبيه ، وأيضاً نظرتنا للانسان وخلاصه ومصيره الأبدي تتحقق بعلاقتنا بالله ، ونظرته إلينا .

الانسـان ـ في عيني الله ـ ليس مخلوقاً من بين ملايين المخلوقات لكنه هو صورته ومحبوبه ، يتعامل معه كصديق حميم مرتبط به . من أجله أوجد الله العالم ، وأعطاه سلطاناً على كل شيء حتى الفضاء . لهذا عندما انهار تماماً ـ روحياً وجسدياً ـ نزل كلمة الله متجسداً ليقيمه ويجدد طبيعته . بهذا التجسد الالهي أعلن الله عن :

١ ـ تقديره للانسان ، إذ صار كلمة الله متأنساً وحـل بيننا .
٢ ـ رده الحريـة الانسانية ، بعد أن أفسدتها الخطية .

الحـريـة الانسـانيـة

في نظـر القديس كيرلس الاسكندري الحرية الانسانية هي صورة الله التي تمتع بها آدم ، لكنه أفسدها بالعصيان ، فصار غير قادر على التجاوب مع حب الله بحرية .

الطبيعــة الانســـانيــة

حينمـــا نتحدث عن الانسان وخلاصه ، أو الطبيعــة الانسانية وتجديدها لا نقصد النفس مجردة ، فقد جاء السيد المسيح إنسانا كاملا لكي يقيم الانسان بكليته . هذا ما دفع آباء الاسكندرية إلى مقاومة الغنوسيين الذين تطلعوا إلى الجسد كعدو ، كما اهتموا بتقديس الفكر والعلم والفلسفة ، ناظرين إلى الايمان ليس عدوا للعقل .

دور الله في خـــلاص الانســـان

يحتـــاج الانسان بعد سقوطه إلى التمتع بالحياة المقامة من الموت ، كما يحتاج إلى إيفاء العدل الالهي : هذان الأمران لم يكن ممكنا تحقيقهما إلا بالتجسد الالهي والصلب . لقد جاء الله الكلمة نفسه مخلصا ، ليقم لنا البركات التاليـــة :

١ ـ أعلـــن صلاح الخالق ... هو خلق وهو الذي يجدد الخليقة .

٢ ـ ليضمنـــا إليه واهبا مؤمنيه الاتحاد معه (يو ١٧ : ٢٣) .

٣ ـ فيـــه تحقق حكم الموت عنا (٢ كو ٥ : ١٤) ، ودان الخطيـــة (رو ٨ : ٣) .

٤ ـ وهبنـــا الغلبة على الموت بغلبته وقيامته (١ كو ١٥ : ٢١) .

٥ ـ وهبنـــا النصرة على الشيطان عدونا (١ يو ٣ : ١) .

٦ ـ أصعـــدنا إلى السموات (أف ٢ : ٦) .

٧ ـ جدد طبيعتنا فيه ووهبنا شركة الطبيعة الالهية (٢ بط ١ : ٤) .

٨ ـ حقـــق جامعية الكنيسة إذ ضم الأمم مع اليهود بالايمان به في جسد واحد .

٩ ـ قـــدم لنا المعرفة الحقة (مت ١١ : ٢٧) ، إذ وحده يعرف الآب .

دور الانســـان في الخـــلاص

النعمـــة الالهية هي مركز اللاهوت الاسكنـــدري ، إذ أحبنـــا الله أولا (١ يو ٤ : ١٩) ، وسبق فعرفنا (رو ٨ : ٢٩) ، واختارنا ، وعيننا ، ودعانا ، وبررنا ، ومجدنا ... لقد أراد خلاصنا وقرره وقام به ، لكننا لن ننعم بهذا الخلاص المجاني التزاما بغير إرادتنا . الله يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تـــي ٢ : ٤) . إذ لا يشـــاء موت الخاطـــىء قبـــل أن يرجـــع ويحيـــا (مز ٣٣ : ١١) ، مقدما إبنه كفارة عن العالم كله (١ يو ٢ : ٢) . ومع هذا فان الله يتركنا نختار الطريق (تث ٣٠ :١٥ ، ١٩) ، معلنين هذا الاختيار بالايمان العملي .. وكأن الأعمال الصالحة التي هي بفضل النعمة الالهية ضرورية ولازمة .

يقــدم لنا قداسة البابا شنودة الثالث في كتابه : " الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي " براهين كثيرة على أهمية الأعمال الصالحة ودورها في خلاصنا . نذكر منهــا :

١ ــ الأعمــال الشريرة تؤدي إلى الهلاك الابدي (غلا ٥ : ١٠ ــ ٢١ ؛ أف ٥ : ٥ ، ٦) .

٢ ــ ستكــون الدينونة حسب أعمالنا (مــت ١٦ : ٢٧ ؛ يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) .

٣ ــ الأعمــال هي ثمار الايمان الحق (لو ٣ : ٨ ، يع ٢ : ١٤) .

٤ ــ الأعمــال شهادة عن وجود الايمان (يع ٢ : ١٨ ، مت ٧ : ١٦ ، ١٧) .

٥ ــ بالأعمــال نشهد أننا أولاد الله (١ يو ٢: ٢٩ ؛ ٣ : ٩ ، ١٠) .

٦ ــ الأعمــال تجعل الايمان كاملا (يع ٢ : ٢٢ : ١ : ٢٧) .

هنــا يلزمنا أن نميز بين أنواع كثيرة من الأعمال المذكورة في الكتاب المقدس :

١ ــ أعمــال البر الذاتي ، حيث يتكل الانسان على ذراعيه ... وهي أعمال محطمة للخلاص .

٢ ــ أعمــال الناموس الحرفية مثل الختان وحفظ السبت بطريقة جامدة ... إن استخدمت حرفياً تعوق الحياة الروحية .

٣ ــ أعمــال صالحة هي ثمن الايمان ، فيها يتكىء المؤمن على صدر الرب ، ويطلب عمل نعمته الالهية تحت قيادة الروح القدس : هذه أعمال لازمة وضرورية لخلاصنا .

---

1. Father T. Malaty: The Coptic Orthodoc Church and Dogmas; Man & Redemption.

\+ + +

الــكــنــيــســة(١)

طبيعــة الكنيســة

الكنيســة هي الموضوع الذي يحتل قلب الكتاب المقدس ، إذ هي غاية الخلاص الذي يعلنه الكتاب . لقد اقتناها الله بدم المسيح (أع ٢٠ : ٢٨) .

من يفهــم الكنيسة إنما يفهم العلاقة بين الله والانسان ، خطة الله للخلاص ، أبوة الله ، ملكــوت المسيح ، عمل الروح القدس ، وسائط الخلاص ، معنى تاريخ البشرية ، مصير الانسان الخ .. خلال الكنيسة كشف الله حكمته الخلاصية حتى للسمائيين (أف ٣ : ١٠) .

تبنـــت كنيسة الاسكندرية هذا المفهوم الروحي للكنيسة دون النظر إليها كمنظمة بشرية ، للأسباب التاليـــة :

أ] عاشـــت كنيسة الاسكندرية عبر العشرين قرنا معتزلـــة السياســـة وبلا سلطة زمنية .

ب] نظـــرة الاسكندرية للمعرفة " غنوسية " كعطية إلهية يمنحها الآب على الدوام خلال ابنـــه ، تجذب حتى رجال الكهنوت للتأمل ودراسة الكتاب المقدس والعبادة ... دون الارتباك في الاداريات الكنسية .

د] اتجـــه المصريون ـ كهنة وعلمانيون ـ للحياة الكنسية ، حتى قبل ظهور الحركة الرهبانية ، فارتفعت أذهانهم وقلوبهم نحو ملكوت السماء بعيداً عن إدارة الاسكندرية .

١ ـ **شعـــب الله صاحب العهد** : في العهد القديم كان المؤمنون ينظرون إلى الجماعة كلها كشعب الله ، أبناء ابراهيم ، الذي أقام الله معه عهداً (تك ١٧) . في العهد الجديد قدم السيد المسيح عهداً جديداً ، أقامه ببذل جسده ودمـــه وتقديمهما طعاما لشعبه قادراً أن يهب حياة أبدية (مت ٢٦ : ٢٨ ، اكو ١١ : ٢٥ ، يو ٦) .

ورثـــت كنيسة العهد الجديد وعود العهد القديم لكن بمفهوم جديد عميق ... لذا فهي كنيسة قديمة جديدة ... ونحن كأعضائها ننعم بالنبوات القديمة خلال الحياة الجديدة التي لنا في المسيح الذي لا يشيخ .

٢ ـ **أم المؤمنـــين** : هي عذراء بتـــول من أجـــل طهارتهـــا وعفتهـــا (٢ كو ١١ : ٢) ، وهي أم ولود تنجب لله أولاداً بلا توقف ... وأولادها أيضا دائماً مثمرون بشهادتهم للسيد المسيح .

٣ ـ **جســـد المسيـــح** : هي جسد المسيح ، تنمو لكي تبلغ الكمال ، ينعم أبناؤها بالشركة في جسد الرب ودمه .

٤ ـ **خليقـــة جديدة في المسيح** : بالعماد ينعم المؤمن بالولادة الجديدة فيصير خليقة جديدة في المسيح (٢ كو ٥ : ١٧) ، يصلب مع السيد المسيح ويقوم معه (أف ٢) . عمل الروح القدس في حياة المؤمنين تقديسهم المستمر حتى يحملوا صورة السيد المسيح .

٥ ـ **عـــروس المسيح** : تترقب الكنيسة مسيحها القادم إليها ليقيم عرسه معها أبدياً (رؤ ١٩ ٧) ... وقد دعي السيد المسيح نفسه عريساً (مت ٩ : ١٤ ـ ١٥ ؛ مر ٢ : ١٨ ـ ٢٠ ؛ لو ٥ : ٣٣ ـ ٣٥ ؛ مت ٢٥ : ١ ـ ٣) . خلال هذا المفهوم ندرك أن الرب قادم لا ليدين نفوسنا ـ مع انه الديان ـ لكنه لكي يطلبها تلتصق به وتتحد معه وتتنعم بأمجاده . بكونه العـــريس فهـــو غيـــور عليهـــا (خر ٢٠ : ٥ ؛ ٣٤ : ١٤ ؛ تث ٤ : ٢٥ ؛ ٥ : ٩ ؛ ٦ : ٥١) لأنه لا يقدر أن يلتصق بالخطية ولا أن تكون له شركة معها . كل خطية نرتكبها هي جريمة ليس فقط

ضد ناموسه وإنما بالأكثر ضد محبته ؛ إذ بها نكسر قلب عريسنا السماوي . هذا واتحادنا به على مستوى العرس يعني اتحاداً أبدياً لا ينفصم .

٦ ـ **بنـــاء المسيـــح** : الذي ينمو كهيكل الله المقدس (أف ٢ : ٢١ الخ) ، هيكل روحي ومقدس يسكنه الثالوث القدوس .

٧ ـ **بيـــت الايمـــان** ، البيت الذي يحفظ وديعة الايمان بلا انحراف .

٨ ـ **بـــيت الخـــلاص** : كبيت راحاب (يش ٢) ، لا خلاص خارجه .

٩ ـ **جماعـــة حـــب** : تعلن الكنيسة ملكوت الله على الأرض ، بكونه ملكوت حب خالص ، غايته تمتع كل نفس بالحياة الابدية ... من ينتمي للكنيسة ولا يحب فهو خارجها ، لأنه لا يعرف الله (١ يو ٣ : ١٤ ؛ ٤ : ٧ ، ٨) . هذا الحب يربط الكل معهاً في الله " المحبة " ، يربط الأرضيين بالسمائيين ، البشر بالملائكة ، المجاهدين بالمنتصرين .

١٠ ـ **أبقونـــة السماء** : إذ نزل السماوي إلى أرضنا أقام منا كنيسته على مستوى سماوي ، نعيش على الأرض بقلب سماوي وفكر علوي ، نشارك السمائيين تسابيحهم وفرحهم وسلامهم .

١١ ـ **كنيسة دائمة الشباب**، لا تشيخ ولا تضعف لأنها تحمل عريسها الذي لا يشيخ ، يهبها بروحه القدوس حياة التجديد المستمر ، فيتجدد كالنسر شبابها (مز ١٠٣ : ٥) . حقاً إن كان إنساننا الخارجي يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً (٢ كو ٤ : ١٦) .

١٢ ـ **كنيســـة أبكار** : عريسها البكر يهب كل أعضائها " البكورية " .

ســـــمات الكنيســـــة

١ ـ تحـــدث آباء الاسكندرية عن ديمقراطية الكنيسة ، فمن حق الشعب أن يختار راعيه ، هذا ومن واجب الراعي أن يقدم أبوة حب لا أن يمارس سلطة ... لكل عضو في الكنيسة عمله : رجلا كان أم امرأة أم طفلا ... الأمر الذي نتحدث عنه في كتاب : " كنيسة شعبية " .

٢ ـ تتســـم الكنيسة القبطية بالروحانية كعنصر أساسي وحـــي في كل تصرفاتها وحياتها .

٣ ـ يرى آباء الاسكندرية ـ مثل القديس كيرلس الكبير ـ أن ســـمة الكنيسة هي الوحدة القائمة على الايمان الواحد بلا انحراف .

---

1. Father T. Malaty: The Coptic Orthodox Church and Dogmas; The Church.

+ + +

الســـــمائيــون

الكنيســة القبطيــة واللاهــوت الغربــي

عنــدما تحدث " كالفــن " Calvin عن الملائكة قال بانه من واجبنا أن نبقى في جهل فيما لا تفيدنا معرفته ، وبدأ بارث مناقشته أيضاً عن الملائكة في شيء من التردد[١] . هذا ويميل اللاهوتيون الغربيون إلى تجنب الحديث عن السمائيين إلى حد كبير ، حجتهم في هذا أن عقلية الانسان المعاصر وإن كانت لا تعترض على وجود الملائكة لاهوتياً أو منطقياً لكنها لا تتقبل الحديث عنهم سيكلوجياً . يتطلع البعض إلى الحديث عنهم كأساطير أو كخيال . أما بالنسبة للكنيسة القبطية فقد ترك السمائيون بصماتهم واضحة وقوية في كتابات آباء مدرسة الاسكندرية خاصــة العلامــة أوريجانوس ، كما في التسابيح والأعياد والأيقنة والمباني الخ ...

فمن جهــة الكتابات احتلت فكراً واضحاً في الكنيسة الأولى ، خاصة مدرسة الاسكندرية ، وذلك على نهج الكتاب المقدس الذي تحدث عن السمائيين في سفر التكوين حتى سفر الرؤيا ، ولم يكن هذا الحديث الطويل عبر العهدين بلا معنى ولا هدف .

أمــا في التسابيح ، فالكنيسة وهي تتقبل عربون الحياة السمائية مترقبة التشبه بملائكة الله تسبح معهم ، وتطوبهم ، وتطلب صلواتهم ، وتقيم أعياداً لبعضهم ، خاصة رؤساء الملائكة ميخائيل وروفائيل والأربعة مخلوقات الحية والأربعة عشرين قسيساً غير المتجسدين الخ ...

اهتمــت الكنيسة بأيقونات السمائيين إما بتصويرهم وحدهم أو في الأحداث الخاصة بالسيد المسيح أو في أيقونات القديسين حيث يصورون حاملين الأكاليل على هامات القديسين ، إشارة إلى انفتاح السماء للمؤمنين وتشبه المؤمنين بالسمائيين .

وفي المبانــي الكنسية تحتل الملائكة مكاناً هاماً لتأكيد أن الكنيسة ما هي إلا أيقونة السماء . في ذكصولجية (تمجيد) باكر نرنم : " السلام للكنيسة بيت الملائكة " . وفي إحدى العظات القبطية القديمة تعرف الكنيسة : [هي موضوع التعزية : هي اجتماع الملائكة ، وموضع الشاروبيم والسيرافيم][٢] .

الكنيســة وخــدمة الملائــكة

يتحــدث القديس بولس الرسول عن الملائكة كخدام للعتيدين أن يرثوا الخلاص (عب ١ : ١٤) ... هذا لا يعني أنهم أقل من المؤمنين رتبة أو مجداً ، وإنما يعني حبهم للبشر الذي يجعلهم خداماً لخلاصهم ... أية خدمة يقدمها السمائيون ؟

١ ـ الشعور بمعيــة الملائكة يطفي على الكنيسة المتألمة نوعاً من الفرح السماوي ، إذ يسحب قلبها نحو المجد الأبدي وشركة السمائيين ... لهذا يقول العلامة

أوريجانوس : [لا تضطرب بسبب قفر البرية ، فغي رحلتك بالخيام تتقبل المن من السماء وتأكل خبـز الملائكة][٣] .

٢ ـ تحـدث الشمـاس اسطفانوس (أع ٧ : ٥٣) والرسول بولـس (غلا ٣ : ١٩ ؛ عب ٢ : ٢ ـ ٣) عن الدور الايجابي للملائكة في استـلام الناموس . ويرى العلامة أوريجين أن الملائكة كأصدقاء للعريس يهيئون الكنيسة ـ شعب الله ـ في فترة خطبتها حتى تلتقي بالعريس شخصياً ، إذ يقول : [إذ كنت أعد نفسي للزواج بابن الملك ، بكر كل خليقة ، رافقتني الملائكة وخدمتني وقدمت لي الناموس كهدية عرس][٤] ، [هؤلاء هم الملائكة حراس الأطفال الذين يرون وجه الآب في السماء][٥] .

اعتمـاداً على ما ورد في دانيال (١٠ : ١٣ ـ ٢١) يقول القديس اكليمندس الاسكندري : [وزعت قوات الملائكة الحاكمة على الأمم والمدن][٦] .

٣ ـ مجـيء العريس ـ ربنا يسوع المسيح ـ لم يوقف عمل الملائكة ولا أنهى محبتهم العاملة لحساب ملكوته فينا ... إذ كشف العهد الجديد عن ظهورات الملائكة في حياة السيد المسيح على الأرض منذ لحظة البشارة حتى صعوده ، وسيأتي أيضاً مع ملائكته . ما أجمل عبارات العلامة أوريجانوس : [عندما رأت الملائكة ملك الطغمات السمائية يسير في أماكن الأرض ، دخلوا الطريق الذي افتتحه ، وتبعوا ربهم ، وأطاعوا إرادته ، ذاك الذي وزع المؤمنين به عليهم لحراستهم . الملائكة في خدمة خلاصك ... إنهم يقولون فيما بينهم : " إن كان قد أخذ (المسيح) جسداً قابلا للموت ، فكيف نقف نحن مكتوفي الأيدي ؟ تعالوا أيها الملائكة ، لننزل جميعنا من السماء " . هذا هو السبب الذي لأجله جموع الطغمات السمائية كانت تمجد الله وتسبحه عند ميلاد المسيح . لقد امتلأ كل موضع بالملائكة][٧] .

يـرى القديس أثناسيوس أن الملائكة التي نزلت من السماء تبشر بمجيء السيد المسيح أيضاً انطلقت إلى السماء عند صعوده تبشر السمائيين ليفتحوا أبوابهم لملك المجد[٨] .

٤ ـ يوضح العلامة أوريجانوس شركة السمائيين مع الكنيسة ، قائلا : [إن كان ملاك الرب يعسكر حول خائفيه وينجيهم (مز ٣٣ : ٨) ، فيبدو أنه متى اجتمع عدد من الناس لمجد المسيح يكون لكل منهم ملاكه يعسكر حوله إذ هم خائفوا الرب . كل ملاك يرافق إنساناً يحرسه ويرشده ، وبهذا متى اجتمع القديسون معاً تقوم كنيستان : كنيسة من البشر ، وأخرى من الملائكة][٩] .

يـرى القديس اكليمندس الاسكندري أن للملائكة دور إيجابي في مساندة الكهنة لخدمة أولاد الله[١٠] ، ويتحدث العلامة أوريجانوس عن دورهم في خدمة الأسرار الكنسية وتوبة النفوس[١١] ومعاونة المؤمنين على الصلاة .

يحدثنـا القديس اكليمندس عن مساندة النفس على نموها الروحي[١٢] كما يحدثنا أوريجانوس عن حزن ملاك النفس عند سقوط الانسان في الخطية[١٣] .

٥ ـ يربـط العلامة أوريجانوس الملائكة بانطلاقنا إلى الفردوس ، خاصة بالنسبة للشهداء . يفسر كلمات الرسول بولس إننا صرنا منظراً للناس والملائكة (١ كو ٤ : ٩) قائلا بان الملائكة تتطلع إلى الشهداء باعجاب ، وتفرح في السماء معنا(١٤)

---

1. Carl F. H. Henry: Basic Christian Doctrine; Michigan 1980, p.63.f. — J. Calvin: Institutes, I,XIV,3 — K. Barth: Die Kirckliche Dogmatik, III, 3, Sec.51.
2. Fr. Malaty: Church, House of God, 1982, p.332.
3. In Num. hom 17:3.
4. Comm. in Cant., 1.
5. Ibid: 2.
6. Stromata: 6:17 see 7:2.
7. In E.z., hom 1:7.
8. Exp. in Ps. 23.
9. Fr. Malaty: Church, House of God, p.332.
10. Stromata: 7:1.
11. Sel: Ps. 37.
12. Strom: 7:2.
13. In Luc. hom. 35.
14. Exhort. to Martyrdom 18.

\+ + +

القـديـسـون

القديسـون ورباط الحـب

نتطلـع إلى القديسين كأخوة أحباء لنا ، جاهدوا ورحلوا إلى الفردوس . إنهم ليسوا أمواتـاً بل هم نيـام كمـا قال الـرب (يـو ١١ : ١١) وراقـدون (١ تس ٣ : ١٣) .

تحـدث آباؤنا الأولون في وضوح وبتفصيل عن علاقتنا بالقديسين . فالقديسون في الفردوس هم أعضاء منتصرون ينتمون لذات الكنيسة الواحدة التي نحن أعضاء فيها . جميعنا " منتصرون ومجاهدون " أعضاء في الكنيسة التي هي جسد يسوع المسيح الواحد . بالنسبة لنا صاروا هم أعضاء غير منظورين بسبب موت الجسد ، ونحن أعضاء منظورون ، أما بالنسبة لله فالكل منظـورون ، أعضـاء عائلـة مقدسة واحدة .

رحـل المنتصرون عن الأرض ، لكنهم لم يرحلوا عن الكنيسة . محبتهم لاخوتهم لن تبطل برحيلهم وسكناهم في الفردوس . موتهم بالجسد لن يحطم رباط الحب المشترك بينهم وبيننا ، بل بالحري يزداد عمقاً وقوة . صلواتهم من أجل خلاص العالم لا تتوقف : هم يصلون عنا ونحن نكرمهم كأصدقاء قديسين ، أحباء لنا .

أيقـــونات القديســين

نكــرم أيقونات القديسين ، فنضعها على حامل الأيقونات ، وعلى حوائط الكنيسة وأبوابها ، وفي منازلنا الخ ... كعلامة للتلاقي معاً في المسيح يسوع ربنا . للأيقونات القبطية طابعها المميز كما سبق فرأينا .

شفاعـــة القديسين أو صلواتهـــم عنـــا[1] .

مادمنـــا جميعاً ـ الأعضاء المنتصرة والمجاهدة ـ جسد واحد ، نحمل المحبة التي لا تسقط أبداً (١ كو ١٣ : ٨) ، فتفاعلنا معاً لا يتوقف . الذين سبقونا يطلبون عنا ، ونحن بالحب نطلب عن الراقدين ، والله في أبوته يسر بهذه المحبة المتبادلة .

إيمان الكنيســة بالشفاعة كتابي ، كما يظهر من النقاط التالية :

١ ـ القديســون الراقدون هم أحياء كما قيل : " الرب هو إله ابراهيم وإلــه اسحق وإلــه يعقوب ، وهو ليس إلــه أموات ، وإنما هو إلــه أحياء ، لأن الجميع عنده أحياء " (لو ٢٠ : ٢٨ ؛ مت ٢٢ : ٣٢ ؛ مر ١٢ : ٢٦) . لهذا ظهر موسى وإيليا عند التجلي (لو ٩ : ٢٨ ـ ٣٣) ، وقام كثير من أجساد القديسين عند قيامة الرب (مت ٢٧ : ٥٢ ، ٥٣) .

٢ ـ إن كان الله قد كشف لرجاله في العهدين أموراً خفية ومستقبلة (أع ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ؛ ٢ بط ١ : ١٤) ، فلا عجب إن كشف القديسين في الفردوس عن أحوالنا ... معرفتهم ليست معرفة ذاتية لكنه هبة من الله ... علامة معرفتهم هذه علم ابراهيم بمجيء موسى والأنبياء بعده (لو ١٦ : ٢٩ ـ ٣١) ، وفرح السماء بتوبة الخاطىء (لو ١٥ : ٧ ، ١٠) .

٣ ـ للراقديــن المؤمنين دالة لدى الله : لذا بارك الرب اسحق من أجل أبيه ابراهيم (تك ٢٦ : ٥) ، ورثي الرب لبني اسرائيل من أجل ابراهيم واسحق ويعقوب (٢ مل ١٣ : ٢٣) ، ولم يسمح بتمزيق المملكة في عهد سليمان إكراماً لداود أبيه (١ مــل ١١ : ١١ ، ١٣) ، وأقام الرب ميتاً إكراماً لاليشع عندما مس جثمانه عظام اليشع النبي (٢ مل ١٣ : ٢٠ ، ٢١) .

٤ ـ نسمــع المجاهدين يستغيثون بشفاعة القديسين ، فيستشفع يعقوب بجده ابراهيم وأبيه اسحق (تك ٢٢ : ٩) ، وموسى بابراهيــم واسحــق ويعقــوب (خــر ٣٢ : ١٣) ... إذ يكرم الرب الذين يكرمونه (١صم ٢ : ٣٠) ، فينسب نفسه إليهم (تك ٢٦ : ٢٤ ؛ ٢٨ : ٣) ويسمع إلى طلبتهم ... لذا نجد الغني في الجحيم يستغيث بابراهيم (لو ١٦ : ٢٧ ، ٢٨) .

---

١ ـ قداسة البابا شنودة : مذكرات في اللاهوت العقيدي .

نيافــة الأنبا غريغوريوس (القمص باخوم المحرقي) : شفاعة المنتقلين في الأحياء ، مجلة الكرازة عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ .

لهــذا نجد العلامة أوريجانوس الاسكندري يقول : [إنه أمر لا يضاد الصواب أن نسأل القديسين ، وأن نستشفع بهم ... حتى يساعدونا] . ويقول البابا أثناسيوس [أيتها السيدة والملكة ، والدة الله ، اشفعي فينا] .

\+ + +

الحيــاة الســرائرية

الأســرار والحيــاة الكنسيــة

ما أعــذب أن أكتب عن الأسرار الكنسية ، لأنها في الحقيقة هي تذوق لحب الله الفائق ونعمته الالهية المجانية . الأسرار ليست إلا ممارسة للانجيل في الواقع الكنسي الحــي ، فيها يتكشف المؤمن سر الانجيل ، ويتعرف على الحياة الكنسية الخ ... في اختصار يمكنني أن أقول بان الأسرار تمنحنا الآتــي :

١ ـ **التمتــع بالنعمــة الالهية عمليــاً** : فان كان التعليم عن " النعمــة الالهية " هو قلب الانجيل ومركزه ، هذه النعمة نتمتع بها خلال الأسرار كما يؤكد لنا الكتاب المقدس :

ســر المعمودية : فيه ننال لا عن استحقاق ذاتي ولا بذراع بشري بل بالروح القدس الميلاد الجديد (يو ٣ : ٣ ـ ٥ ؛ تي ٣ : ٥) ، التبني لله (غلا ٣ : ٢٦ ، ٢٧) ، غفران الخطايا (أع ١٢ : ٣٨) ، التقديس (أف ٥ : ٢٥ ـ ٢٦) .

ســر المــيرون : فيه ننال عطية الروح القدس الذي يعلمنا ويرشدنا ويقدسنا ، لننمو حتى نبلغ معاً إلى قياس قامــة ملء المسيح (أع ٨ : ١٧ ؛ ١٩ : ٥ ، ٦) .

ســر التوبة والاعتــراف : فيه يقدم لنا الروح القدس الحل من الخطايا (مت ١٦ : ١٩) .

ســر الأفخارســتيا : فيه ترتفع الكنيسة كما إلى السماء لتلتقي بالمخلص السماوي ، تشارك السمائيين تسابيحهم ، وتتناول جسد الرب ودمــه لتتحد به وتثبت فيــه ، فتحيــا إلى الأبــد (يــو ٦ : ٣٥ ، ٥٥ ؛ مت ٢٦ : ٢٧ ، ٢٨ ؛ ١ كو ١٠ : ١٧) .

ســر مســحة المرضى : فيه يتقبل المريض الآلام كشركة مع السيد المسيح المتألم ، كما ينال المريض غفران خطاياه (بالتوبة والاعتراف) وشفاء جسده (يع ٤ : ١٤ ؛ مر ٦ : ١٣) .

ســر الــزواج : ينال العروسان الاتحاد معاً ويقيم الروح القدس من بيتهما كنيسة مقدسة للرب .

سـر الكهنـوت : فيه يعمل السيد المسيح الكاهن الأعظم والفريد في من وهبهم الروح نعمة الكهنوت (مت ٢٨ : ١٩ ـ ٢٠ : أف ٤ : ١١ ، أع ٢٠ : ٢٨ ، ١ تي ٤ : ١٤ ، ٢ تي ١ : ٦) .

هذه الأعمال الالهية الفائقة هي نعمة الله المجانية التي تقدم للمؤمنين خلال كنيسته .

٢ ـ **التحام العمـل الالهى المجاني مع الجانب الانساني** : لقد دعيت هذه الأعمال " أسراراً Sacraments " ، لأنها أعمال إلهية فائقة للعقل ، يجد فيها المؤمن الثالوث القدوس عاملا لحسابه ، مهتماً به ليقيمه إبنا لله مقدساً مغسولا بالدم الثمين ، يشارك السمائيين حياتهم العلوية ؛ يعمل الله في حياته الروحية ، ويهتم به في مرضه الخ ... غير أن هذه الأسرار تحمل روحاً إنجيلياً ، أقصد عدم تجاهل الجانب الانساني .

في أكثـر توضيح أقول أن الله في حبه للانسان أعطاه كرامة خاصة ، فيعمل به ومن خلاله دون تجاهل له . ففي سر العماد مثلا لا يمكن لخليقة ما سماوية أو أرضية أن تقيم إنساناً بشرياً إبناً لله ، هذا من صميم عمل روح الله القدوس ، وفي استحقاقات الصليب ... لكنه يتحقق خلال الكاهن ... الله يسر أن يعطي للانسان هذه الكرامة ، لكن يبقى عمل السر من فعل الله ذاته لا الكاهن .

ربمـا يستصعب البعض هذا الفكر ، متساءلا : لماذا لا يهب الله عطاياه للمؤمن مباشرة دون وساطة الكاهن ؟ نجيب بان الله الكلمة الذي لم يستنكف من أن يصير إنساناً يكرم البشرية كلها بالعمل خلال بشر يدعوهم ويقدسهم واهباً إياهم نعمة الكهنوت .

مـع الفارق حينما تجسد الكلمة الالهي لتحقيق خلاصنا استخدم القديسة مريـم ، وأخذ جسداً حقيقياً منها ، وكان لها دورها الايجابي ... وحسبنا هذا تكريماً لجنس البشر . ويبقى الله يطلب من الانسان عمله الايجابي ليعلن الله ذاته من خلاله .

٣ ـ **الكشـف عن طبيعة الكنيسة** : إذ يسيء البعض استخدام هذه الأسرار ، فيستغلها للسلطة عوض الخدمة يثورون ضد هذه الأسرار بقصد الثورة على سلطة الكنيسة . لكن في الكنيسة القبطية يشعر المؤمنون بأمومة الكنيسة وحنوها خلال تمتعهم بالأسرار . فان كان الثالوث القدوس يعطي بفيض للمؤمنين وبلا حساب إنما يعطي خلال كنيسته الحاملة لصورة السيد المسيح والمتسمة بصفاته .

نذكـر على سبيل المثال ، إذ يشعر المؤمن أنه في مياه المعمودية نال الميلاد الجديد ، يتطلع إلى الكنيسة كأم أنجبته بالروح القدس إبنا لله ، فتصير بنوته مجالا لوحدته مع بقية الأعضاء روحيا لا لعزلته واتسامه بالانفرادية . حتى في حياة الزوجية يشعر أنه قبل زوجته واحداً معا خلال الكنيسة المحبة ، فيرى في علاقته معها صورة لعلاقته بالجماعة المقدسة .

ممارســة الأسرار بالروح والحق ، دون استغلال لسلطة ما ، يكشف أمومة الكنيسة ووحدتها بل وكيانها الروحي وغايتها نحو خلاص كل نفس بعيداً عن روح الاداريات والتنظيمات البشرية .

٤ ـ **الكشــف عن فهمنا للخليقة كلها** : الله الكلمة الذي يسمو فوق كل مادة صار إنساناً حقاً ، أكل وشرب وعمل ... مقدساً نظرتنا ليس فقط للجسد الذي أخذه وإنما حتى للحياة اليومية وللمادة التي استخدمها ، فلا نرى في الأكل نجاسة ولا في الخليقة الجامدة عنصر ظلمة وعداوة .

اســتخدام الأسرار للخليقة الجامدة كالماء في المعمودية ، والزيت في سر مسحة المرضى ، والخبــز والخمر في سر الافخارستيا ، ووضع أكاليل معدنية في المعمودية والزواج ، والملابس الكهنوتية الخ ... إنما يرفع نظرتنا تجاه المادة لنرى يد الله التي تقدس كل شيء لحساب خلاصنا !

مفهومنــا للأســرار الكنسيــة

الأســرار أمر حيوي وضروري بالنسبة للكنيسة ، كما قلت ، هي ممارسة للفكر الانجيلي المفرح ، وتمتع بالنعمة الالهية وعمل الروح القدس في كنيسة المسيح حتى يرتفع الكل إلى حضن الآب .

في اختصــار أود تقديم الخطوط الرئيسية لمفهومنا لكل ســر :

١ ـ في طقــس سر المعمودية القبطي يظهر بوضوح خطان رئيسيان هما جحــد الشيطان وقبــول عمل الله ... بمعنى آخر في سر المعمودية ينتقل المؤمن من البنوة للشيطان بالخضوع لأعماله إلى البنوة لله : يجحد ملكوت إبليس ليتقبل في داخله ملكوت المسيح ، ينتقل من الغرب حيث الظلمة إلى الشرق حيث شمس البر .

في هذا الطقــس تسلم الكنيسة المعمد حديثاً للاشبين بوصايا حازمة ، حتى يشعر بالمسؤليــة نحو تقديم الحياة الانجيلية الكنسية له .

تصــر الكنيسة القبطية على التغطيس ـ إلا في حالات الضرورة القصوى كالمرض الشديد ـ لتؤكد دفن المعمد مع السيد المسيح وقيامته للتمتع بالحياة المقامة الجديدة (رو٦ : ٤ ـ ٦) .

٢ ـ طقس المــيرون يدهــن الجسد ٣٦ رشما علامة تقديس النفس والجسد معاً ، فيصير الانسان بكليته هيكلا للروح القدس . كل الأعضاء ـ حتى التي تبدو بلا كرامة . تدهن بالمسحة المقدسة إذ ليس في الانسان عضواً نجساً أو معيباً .

لبــس الثياب البيضــاء الجديدة (وفي القديم لبس إكليل) يشير إلى التمتع بعربون الحياة السماوية النقية المكللة .

٣ ـ في طقس التوبــة والاعتراف : يشعر الكاهن مع المعترف إنهما معاً تحت قيادة روح الله القدوس الذي يبكت على خطية ويمنح المغفرة من أجل الشركة مع الثالوث القدوس .

لا يخجـل المؤمن من كشف ضعفاته في حضرة أبيه الذي يهتم بخلاصه ، والذي يشعر أنه شريك مع أبنائه في الضعف .

٤ ـ في سـر الأفخارستيا ، تعيش الكنيسة كما في السماء ، خلال الذبيحة الواحدة غير المتكررة ، الحيـة والواهبة الحياة ، الحاضرة . في هذا السر تجتاز الكنيسة طريق الجلجثة منطلقة نحو السماء تحمل ذبيحة مخلصها القادرة أن تفتح أبواب السماء ، وترد البشر إلى أحضان أبيهم السماوي .

في سـر الأفخارستيا تتقدم الكنيسة بكل طلباتها عن أبنائها ، بل وعن العالم كله ، لأجل خلاص البشرية ، وتدبير حياتهم على الأرض ... إذ نجد قلب الله متسعاً بالحب وأذنيه مصغيتين لطلبتها .

٥ ـ في سـر مسحة المرضى ، ترتبط البركات الروحية بالزمنية معاً ، فينال المريض غفران خطاياه مع شفائه من المرضُ النفسي والجسدي .

٦ ـ في سـر الزواج يهتم الطقس باعلان الاكليل السماوي ، ليرفع قلوب كل الحاضرين إلى العرس الأبدي ، ويدرك العروسان إن حياتهما الزوجية ظل لكنيسة السماء .

٧ ـ في سـر الكهنوت ينال الشخص نعمة الكهنوت ليغسل أقدام شعب الله لا بنفسه لأنه غير مستحق خدمتهم ، إنمـا بالسيـد المسيـح خادم البشريـة لخلاصهم ... فيه ينال الكاهن أبوة ليس له فيها فضل ، إنما هي عمل أبوه الله فيه ، فيقول مع القديس يوحنا : " يا أولادي " (١ يو ٢ : ١) ، ومع الرسول بولس : " لأني أنا ولدتكم في المسيح " (١ كو ٤ : ١٥) .

إذن الأسـرار في مجمل طقوسها تطلب خلاص الانسان وبنوته ، وترفعه إلى الحياة السماوية ليأكل خبز الملائكة وينعم بشركة الأمجاد الأبوية ، هي متعة ببركات الانجيل .

\+ + +

التقليـد (التسليم) الكنسـي[١]

بقـى بعض الغربيين إلى فترة طويلة يتطلعون إلى " التقليد " أو " التسليم " على أنه طاعة عمياء للماضي وتمسك بوديعة سلبية جامدة . بهذا يكون التقليد ـ في نظرهم ـ أشبه بفهرس ثمين لمجموعة من التعاليم القديمة والقوانين والطقوس ، أو قل متحف يضم ما هو قديم ، بهذا يحسبون الكنيسة التقليدية كنيسة جامدة رجعية ترتبط بالقديم لمجرد قدمه .

مفهـوم كلمـة " تقليـد "

كلمة " تقليـد " كما وردت في العهد الجديـد Paradosis لا تعنـى " محاكاة " إنما تعني تسليم شيء وتقبله ، هو تسليم وديعة الايمان واستلامها عبر الأجيال (يه ٣) .

مـــادة التقليـد

١ ـ رسـالة الايمان بالثالوث القدوس وعمل الله الخلاصي .

٢ ـ أعمـال السيد المسيح وأقواله .

٣ ـ أسـفار العهد القديم .

٤ ـ المنهـج الروحي والسلوكي في المسيح يسوع .

٥ ـ منهـج العبادة : مفهومه ونظامه .

التقليـــد في العصر الرسـولي

كان التقليـد هو المصدر الوحيد للايمان المسيحي والتعليم والعبـادة ، أمـا دوره :

١ ـ تسلمـت الكنيسة الأولى من السيد المسيح والرسل فهماً جديداً لأسفار العهد القديم لم يكن يدركه اليهود . بالتقليد قبلت العهد القديم وقبلت مفاهيم جديدة له .

٢ ـ بالتقليـد قبل المسيحيون أسفار العهد الجديد قبل تقنينها كنسياً .

٣ ـ كان التقليـد هو مصدر تعليم الرسل (١ يو ١: ١ ؛ يو ١٩ : ٣٥ ، لو ١ : ٢ ؛ أع ٢١ ، ٢٢) . اعتبر الرسول بولس ما تسلمه من الكنيسة بالتقليد تسلمه من الرب نفسه (غلا ١ : ٧ ، ١ كو ١١ : ٢٣) .

٤ ـ بالتقليـد عاشت الكنيسة الحياة الجديدة الفعالة .

التقليـد والكتـاب المقـدس

+ الكتـاب المقدس في حقيقته جزء من التقليد الكنسي ، والتقليد في جوهره تقديم كلمة الله بطرق متنوعة ... لأن التقليد عني " التعليم الرسولي " ... بكتابة العهد الجديد لم يتوقف عمل التقليد ، بل جاء الكتاب يحث على التمسك بالتقليد (٢ يو ١٢ ؛ ٣ يو ١٣ ، ١٤ ، ١ كو١١ : ٣٤ ؛ تي ١ : ٥ ، ٢ تس ٣ : ١٦ ، يو ٢١ : ٢٥ ، ٢ كو ١١ : ٢٣) .

+ يقـول العلامة أوريجانوس : [بالتقليد عرفت الأناجيل الأربعة ، وإنها وحدها صحيحة] .

+ التقليـد الكنسي يحفظ وحدة الكنيسة للكتاب المقدس عبر الأجيال ، فلا يفسره كل مؤمن حسب هواه الشخصي . يقول أوريجيـن : [التلميذ الحقيقي ليسوع هو ذاك الذي يدخل المنزل ، أي يدخل الكنيسة ، فان من يدخل الكنيسة يفكر ذات فكر الكنيسة ويحيا كحياتها ، بهذا يتفهم الكلمة . إنه ينبغي أن نتقبل مفتاح الكتاب المقدس من التقليد الكنسي كما من الرب نفسه][٢] .

التقلـيد اليهـودي والمسيحيـة

رفـض السيد المسيح التقاليد اليهودية الحرفيـة المناقضـة لكلمـة الله (مت ١٥ : ٣ ، مر ٧ : ١٣ ، كو ٢ : ٨) ... لكن الكنيسة قبلت ما هو حـي ومتناغم مع كلمة الله . منه عرف يهوذا المنازعة بين ميخائيل وإبليس (يه ٩) ، وأيضاً نبوة أخنوخ (يه ١٤ ، ١٥) ، وعرف بولس الرسول اسمي مقاومي موسى (٢ تي ٣ : ٨) ... وكانت الكنيسة الأولى تشترك في خدمة الهيكل بتسابيحها ومزاميرها .

حفـظ التقليـد الكنسـي

التقليـد الكنسي كايمان وعبادة وسلوك وحياة معاشة سلم إلينا خلال قرارات المجامع المسكونية والمحلية ، وكتابات الآباء الأولين ، وأيضاً خلال حياة الشعب الذي له دوره الرئيسي والحيوي في تسليم روح الحياة الجديدة عبر الأجيال عملياً .

التقلـيد الكنسـي والحيـاة الحاضـرة

التقليـد لا يعني جمودا ، وإنما حفظاً للماضي كسند للحاضر ، وممارسة الحاضر كأساس للمستقبل . التقليد هو سـر نمو الكنيسة وحيويتها وليس جمودها .

يلزمنـا أن نفهم التقليد في أعماقه الروحية وأسسه اللاهوتية ، وليس في التمسك بحرفيته في غير فهم .

عنـدما كرزت الاسكندرية في أثيوبيا قدمت التقليد الكنسي الحي لكنها لم تلزم الأثيوبيين أن يقبلوا التقاليد القبطية في تفاصيلها ، لذا وجب التمييز بين " التقليد " كفكر كنسي عام وبين التقاليد الخاصة بالكنائس المحلية . مثلا قبلت أثيوبيا عن مصـر تقليد الليتورجيات لكنها لم تقبل ذات نصوصها بل روحها وهيكلها العام ، وأيضا قبلت الايقونات لكن بفـن أثيوبي لا قبطي وهكذا قدمت الكنيسة جوهر التقليد لا تفاصيل التقاليد القبطية . لهذا عندما نكرز في بلد أجنبي يلزم تقديم التقليد الكنسي الأرثوذكسي لكن دون صبغهم بفكر محلي معين . هذا ما يحدث الآن عند الكرازة في جنوب افريقيا .

التقليـد الكنسـي والحيـاة الشخصية

يظـن البعض أن حفظ التقليد الكنسي يعني تحطيم الحياة الشخصية للعضو في علاقته بالله وفهمه للكتاب المقدس وممارسته للعبادة . لكن الكنيسة الأرثوذكسية وهي تحب الطريق الوسـط المعتدل دون مبالغة أو تطرف تحفظ التقليد الكنسي الذي ينظم الحياة الكنسية ويضع المفاهيم الرئيسية للعبادة ويدخل بنا إلى روح الكتاب المقدس دون أن يحطم العلاقة الشخصية لكل عضو مع فاديه وفهمه للكتاب بطريقة شخصية وتمتعه بالحرية .

نذكـر على سبيل المثال ، حينما نعيش في مجتمع له نظمه الاجتماعية وروابطه الأسرية ، فان هذه النظم والروابط في الحقيقة تسند شخصية العضو في الجماعة في نطاق الروح الجماعي ولا تجعل منه آلة تتحرك بلا تفكير .

وإن كانت الكنيسة في أوروبا ـ في العصور الوسطى ـ قد حولت غالبية النظم الكنسية والقوانين إلى شرائع جامدة حطمت الكثير من حقوق المؤمن الشخصية ، بينما يمارس الانسان في الغرب حريته الفردية في فهمه للكتاب المقدس حسب فكره الشخصي ، وأيضاً في تعرفه على المسيحية بطريقة فردية ، فان الكنيسة الأرثوذكسية في الواقع تسلك في المنتصف ... تقدس الفكر الكنسي الجماعي وتقدر الحياة الشخصية لكل عضو فيها .

+ + +

الفصـــل الثامـــن

الكنيسة القبطية كنيسة شعبية

دور الشعـــب كنســـياً

شعـــب أو لأوس[١]

في العهـــد القديم استخدمت كلمة " شعب " بالمعنى الواسع الشامل ليضم كل جماعة المؤمنين من كهنة ولاويين وشعب ، إذ دعوا " شعب الله " تمييزا لهم عن الشعوب الأممية ، كما استخدمت بالمعنى المحدد الخاص بالرعية دون الكهنة واللاويين .

في كنيســـة الاسكندرية الأولى استخدمت الكلمة اليونانية " لأوس " أيضا تارة بالمعنى الشامل لتعني كنيسة الله بكل أنماطها من كهنة ورهبان ورعية ، كما قصد بها أحيانا المعني المحدد الخاص بالرعية وحدها .

مـــا أود توضحيه هنا أن آباء الأسكندرية الذين عاشوا بفكر إنجيلي كنسي ، أحبوا الكهنوت وكرموه ، واختبروا الرهبنة في سيرتها الملائكية ، وفي هذا كانوا يتطلعون إلى الشعب بكونهم الكنيسة الحية التي يخدمها الكاهن ويصلي من أجلها الراهب أو الراهبة أو البتول دون وجود طبقية كنسية . فالشعب هو الكنيسة الحيـــة العاملة ، لكل عضو منهم : رجلا كان أم امرأة ، شيخا أم شابا أم طفلا ، غنيا أم فقيرا ... الكل له دوره الحي الفعال في العبادة وممارسة الحياة القدسية والشهادة للسيد المسيح .

الشعـــب والكهنـــوت

ســـر حيوية الكنيسة القبطية إلى يومنا هذا يرجع أساسا إلى فهم العلاقة بين الكاهن والشعب ، فالكهنوت في فهم كل قبطي ، حتى الطفل الصغير ، أبوة روحية . فالكاهن ليس موظفا في مؤسسة يمارس واجبا معينا ، لكنه أب حقيقي أبوته لا يحطمها حتى الموت ، لذا لا يعرف سنا للتقاعد . خلال هذه الأبوة يتذوق المؤمن

أبوة الله الفريدة ، وأمومة الكنيسة ، فيرتبط بالله وكنيسته لا على مستوى الخوف أو القهر وإنما على مستوى الحب البنوي .

خـــلال الأبوة يشعر الكاهن أن كل المؤمنين هم عائلته الخاصة ، يشاركهم كل مناسباتهم ، نذكر على سبيل المثال : متى رزق مؤمن بطفل يقدم الكاهن مع الشمامسة وأهل البيت صلوات شكر وتسبيح لله (صلاة حميم الطفل) : بعدها يقوم الكاهن بتعميد الطفل في جـــو مفرح عجيب : إذا مرض مؤمن أقيمت ليتورجية مسحة المرضى ، وإن دخل إنسان في ضيق رفعت القرابين عنه في القداس الالهي (سر الأفخارستيا) ، في حالة الوفاة تقيم الكنيسة كلها صلاة جناز ، وتشارك الأسرة في اليوم الثالث وفي الأربعين الخ ...

خـــلال هذا المفهوم الكنسي يمكننا توضيح النقاط التالية :

١ ـ الكهنـــوت ـ في نظر الكنيسة القبطية ـ أبوة وحب وخدمة وليس سلطة[٢] . الكاهن الروحي لا ينهمك في إداريات الكنيسة ، بل بالحري يبذل حياته من أجل أبنائه في الرب . بهذا لا يصطدم مع مجالس كنسية بل يعيش معهم أبا لهم ، يكرمونه ويطلبون مشورته .

٢ ـ الكاهـــن في صدق محبته لشعبه يشعر أنه واحد منهم يحتاج إلى صلواتهم كما يصلي عنهم ، وينتفع بخبرات حتى الأطفال الصغار ، فيعيش متفاعلا معهم في غير تعـــال أو كبرياء .

٣ ـ تركـــز كنيسة الاسكندرية على حق كل الشعب في اختيار الكاهن .

٤ ـ القوانـــين الكنسية في تأديب الكاهن أكثر صرامة وحزماً من تلك الخاصة بالشعب ، بسبب خطورة دوره كقائد روحي .

٥ ـ لكـــي يحفظ الكاهن أبوته للشعب في نقاوة بلا شائبة يلزمه ألا يرتبك بعمل سياسي : بهذا يمارس أبوته بالنسبة للجميع ، ويبقى يحمل فكراً روحياً خالصاً .

دور الشعـــب الايجـــابـــي

حملـــت الكنيسة منذ العصر الرسولي نمطين واضحين ، هما نمط الرعاة والخدام ونمط الشعب ، لكنها عاشت كنيسة متكاملة ومتلاحمة ، لا تعرف السلبية في حياة أي عضو من أعضائها . حقاً كان للأسقف عمله وأيضاً للقس والشماس وكان للشعب أيضاً دوره الايجابي ، في عبادته كما في شهادته للمصلوب خلال الكرازة .

١ ـ في دراستنـــا لسر الأفخارستيا (القداس الالهي) رأينا الشعب ليس مستمعاً في العبادة بل مشاركاً وعاملا . فالليتورجيا ليست هي عبادة الكاهن وحده عن الشعب ، إنما هي عمل الكنيسة كلها كهنة وشعباً من أجل تقديس العالم كله . فان وقف الشعب مستمعاً دون شركة الشكر والتسبيح والصراخ والطلبة تفقد الليتورجية عملها الحق ويكون الشعب قد جهل رسالته أو تنازل عن حقـــه الايماني في الشركة

المقدسة ، أو يكون الكهنة قد اغتصبوا حق الشعب في الشركة فافسدوا العمل الكنسي الحي .

٢ ـ للشعـب حق الشركة الايجابية ليس فقط في كل أنواع العبادة وإنما أيضا في الكرازة أو الشهادة لانجيل المسيح المفرح . ففي سفر الأعمال نرى الشعب الذي تشتت بسبب الضيقة تاركا أورشليم انطلـق يكرز بالكلمـة ويشهـد للحـق (أع ٨ : ٤) .

٣ ـ اهتمـت مدرسة الاسكندرية بتشغيل طاقات الشعب لحساب ملكوت الله بالتشجيع المستمر ، لهذا كثيرا ما تحدث القديس أكليمندس الاسكندري والعلامة أوريجانوس عن الكهنوت العلماني أو كهنوت الشعب أو الكهنوت العام ، فيقول العلامة أوريجانوس : [أما تعلم أن الكهنوت قد سلم لكم ، أي لكنيسة الله كلها ، لجمهور المؤمنين ؟ ! اسمع ما يقوله بطرس للمؤمنين : " جنس مختار ، وكهنوت ملوكي ، أمة مقدسة ، شعب اقتناء " (١ بط ٢ : ٩) . إذن لكم كهنوت إذ أنتم جنس كهنوتي ، لذا يليق بكم تقديم ذبيحة حمد لله (عب ١٣ : ١٥) ، ذبيحة الصلوات ، ذبيحة الرحمة ، ذبيحة النقاوة ، ذبيحـة القداسـة][٣] ... آبـاء الاسكندرية الذين عاشوا كرجال كنسيين محبين للكهنة كآباء كانوا يسندون كل فئات الشعب للعمل في المسيح يسوع ربنا .

---

1. Fr. Malaty: The Universal Love (Arabic), 1985.
2. In Is. hom. 6, Pg 13:239. — 3. In Levit. hom 9:1.

+ + +

دور المـرأة كنسـياً

الكنيسـة القبطيـة واللاهـوت النسـائي

يعتـبر البعض أن من أهم ملامح اللاهوت المعاصر هو الاتجاه المتزايد نحو " اللاهوت النسائي " ، الأمر الذي يتبناه بعض اللاهوتيين الغربيين ويتحمس له جدا أصحاب اللاهوت الزنجي Black Theology ... إذ ينادون بمساواة المرأة بالرجل في تمتعها بالكهنوت واستلام القيادة الكنسية جنبا إلى جنب مع الرجل ، مع عدم استخدام صيغة المذكر بالنسبة لله الخ ... هذا الاتجاه ليس له موضع في الكنيسة القبطية في مصر ... لمـاذا ؟

أولا : اهتمـت الكنيسة المصرية بالمرأة منذ بدء إنطلاقها ، فضمت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية النساء جنبا إلى جنب مع الرجال ، حتى اضطر العلامة أوريجـن في القرن الثاني أن يخصي نفسه حتى لا يترك مجالا للعثرة ... مما يشير إلى التصاق الكثيرات به طلبا للدراسة أو لتسجيل كلماته . وفي العصر الحديث نجد

المعاهد اللاهوتية بمصر على امتداد القطر تضم عددا من النساء والفتيات ربما أكثر من الشبان والرجال : بل ونجد بعضهن يدرسن في هذه المعاهد .

تقديـــر الكنيسة للمرأة واضح من تكريمها المستمر للقديسة مريم ، فتسبحها الكنيسة أعظم من كل الطغمات السمائية حتى السارافيم والشاروبيم الحاملي للعرش الالهي . وتكرم الكنيسة قديسات كثيرات مثل الشهيدة الأم دولاجي والقديسة رفقة والشهيدة دميانة ... وتطلب الكنيسة كلها من البابا البطريرك والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الشعب صلواتهن عنهم .

ثانيـــاً : الاتجاه النسكي له دوره في الكنيسة المصرية ، فالمؤمن كلما التهب قلبه حباً غالباً ما لا يطلب الكهنوت ولا الانشغال بالجوانب الاجتماعية والادارية إنما بالأكثر يتجه نحو الزهد ... لذا يتزايد الميل في مصر نحو الرهبنة والبتولية ، الامر الذي يجد فيه الشاب والشابة طريقاً مفتوحاً بلا تمييز بينهما .

هـــذا وإنني على ما أظن أن " اللاهوت النسائي " ظهر في الغرب كثمرة طبيعية للصراع على السلطة : وفي اللاهوت الزنجي كعلامة من علامات الثورة على الظلم والرغبة في التحرر ، إذ يشعر الرجل الأسود إنه يريد الخلاص من نير الرجل الأبيض ـ كما في جنوب افريقيا ... هذا الاحساس خلق اتجاها مبالغا فيه ضد كل تنظيم فيحسبونه قيدا ، لذا حسبوا أن قصـــر الكهنوت على الرجال هو تنظيم غربي وثقافة الرجل الأبيض يريدون التحرر منها (حسب تعبير البعض في مؤتمر اللاهوتيين الأفارقة بالقاهرة سنة ١٩٨٥) ... أما في الكنيسة القبطية فاذ ينظر إلى الكهنوت كذبيحة حب وأبوة وليس سلطة ، لا يجد هذا الصراع مجالا فيها .

ثالثـــاً : تقـــدير الكنيسة الأرثوذكسية للنظام الطبيعي الذي أوجده الله ، أعني التمايز الجنسي ، إذ خلق الرجل والمرأة يكملان بعضهما البعض . حقا في المسيح يسوع ليس رجل ولا إمرأة ، لأن كل منهما هو عنصر في الجسد الواحد ، له ذات الايمان ، وذات البنوة لله ، وأيضا ذات المجد الأبدي ، لكن يبقى الرجل رجلا له دوره والمرأة إمرأة لها دورها . يقول الأسقف كالستوس وير : [أحد أمجاد الطبيعة البشرية أن الرجال والنساء ، وهم مساوون ، لكنهم لا يحلون محل بعضهـــم بعض][1] .

لقـــد أكد آباء الكنيسة ـ بروح الكتاب المقدس ـ التساوي بين الرجل والمرأة ، وفي نفس الوقت أكد التمايز .

يحـــاول بعض المدافعين عن " اللاهوت النسائي " ربط سيامة المرأة بتحرير العبيد ، قائلين أن الكنيسة التي قامت بدور إيجابي في تحرير العبيد في القرن الثامن عشر يلزمها أن تقوم بذات الدور في الدفاع عن حق المرأة في السيامة . الاجابة على هذا أن التمايز بين السادة والعبيد ليس من وضع القانون الالهي أو الطبيعـــة ، وكما يقول القديس باسيليوس : [ليس إنسان عبدا بالطبيعة][2] ، أما التمايز بين الرجل والمرأة فهو جزء من قانون الطبيعة .

يقــول الأسقف كالستوس إنه في عهد السيد المسيح وجدت كاهنات وثنيات ، ومع هذا لم يختر السيد إمرأة واحدة بين الرسل ، إذ يتساءل : [ألعلنا نقرر بأن كلمة الله وحكمته المتجسد كان مخطئاً وإننا نحن في أواخر القرن العشرين نفهم الحق أكثر منه ؟][٣] لم يعدم السيد المسيح وجود امرأة يمكن أن تكون بين الرسل ، فقد كانت القديسة مريم المثل السامي لا لتقديس جنس النساء بل لتقديس كل جنس البشر ، إذ فاقت الكل .

رابعــاً : في العصــر الحديث نجــد للمرأة دورها الحي الايجابــي في الكنيسة ، نذكر على سبيل المثال لا الحصــر :

أ] توجــد أمهات رئيسات للدير "Abbess" لهن دورا قياديا ، تجتذبن الكثيرات للحياة النسكية ، ولا أكون مبالغاً إن قلت أن بعضهن لهن دورهن في حياة حتى العائلات ، حتى صارت بعض الأديرة أشبه بمركز روحي للشعب .

ب] زوجــات الكهنة في مصر لهن دورهن في الخدمة . في سوريا يدعى الكاهن " خوريا " وزوجته " خورية " ؛ وعند اليونان يسمى الكاهن " برسبيتيروس " أو " باباس " ، وزوجته " برسبيتيرا " أو " بابايا " ؛ وعند الروس يسمى الكاهن " باتوشكا " أي " أب صغير " ، وزوجته " ماتوشكا " أي " أم صغيرة " ... هذه الألقاب لزوجة الكاهن في الكنائس الأرثوذكسية تحمل معنى خاص يكشف عن التزامها أو قل حقها في العمل .

ج] تزايــد عدد المكرسات ظاهرة واضحة في حيــاة الكنيسة القبطية المعاصرة .

د] قام قداســة البابا شنودة الثالث باقامة شماسات في عيد العنصرة سنة ١٩٧٩ م .

هــ] أغلــب الأنشطة الاجتماعية الكنسية مثل دور الحضانة وبيوت المسنين ودور الأيتام ... في أيدي النساء .

و] تقــوم النساء والشابات بخدمة مدارس التربية الكنسية .

خامســاً : نريد أن نؤكد مع Louis Bouyer[٤] أن قصر الكهنوت في العهدين القديم والجديد وفي التقليد الكنسي على الرجال لا يقوم على التقليل من إمكانيات المرأة أو دورها في الكنيسة ، إنما يلزم على الكل أن يدرك " سر المرأة " ليتعرف على دورها الجوهري لا مجرد المطالبة بأعمال معينة .

" المــرأة " تمثل " الكنيسة " النامية لتبلغ قياس ملء قامة المسيح ، دورها حيوي وداخلي ... قادرة على الولادة والتربية لتقديم أولاد الله كعروس للعريس السماوي . تستطيع المرأة بالحب أن تعلن عن كنيسة المسيح .

" الرجــل " يمثل " المسيح " الباذل حياته على الصليب ... لذا لاق به أن ينال الكهنوت ليس للتكريم وإنما للذبح اليومي والبذل لحساب أولاد الله ... في الكنيسة

القبطية من يقبل الكهنوت إنما يتقدم صفوف الشهداء ليحني رقبته بالحب محتملا الموت بفرح .

---

1. Women & the Priesthood, p.29.
2. On The Holy Spirit, 20:51.
3. Women & the preisthood, p.16.
4. Women in the Church, 1984, ch.1.

الطفـــل في الكنيسة القبطيـــة

ســـر قوة الكنيسة القبطية منذ بدء انطلاقها في القرن الأول الميلادي حتى الآن ، بالرغم من الظروف القاسية التي عاشت فيها حتى ليبدو بقاؤها أحد المعجزات السبع في العالم كما قال أحد المؤرخين هو اهتمامها بالأطفال ليدركوا حقيقة عضويتهم ، ويمارسوا دوراً حياً وفعالا فيها .

حقـــاً إن إمكانيات الكنيسة الغربية المادية والفنية لها أثرها الكبير على اهتمامها بالأطفال مثل إصدار كتب ومجلات للأطفال تتناسب مع كل سن ، وابتكار وسائل إيضاح حديثة وألعاب الخ ... مع دراسات متخصصة في تربية الطفل والصبي والشاب ، هذه الأمور التي ربما لا تستطيع كنيسة الشرق بأمكانياتها أن تجاري الغرب ، لكن مع هذا يجد الطفل متعته ومكانه في الكنيسة الشرقية ، خاصة القبطية أكثر من الغرب ، وذلك يرجع للآتي :

١ ـ يتجلـــى إيمان الكنيسة بدور الطفل وأهميته في تمتعه بالميلاد الثاني خلال المعمودية دون أية شروط للسن ، فتتلقفه المعمودية ربما وهو ابن أيام قليلة ليعمل روح الله فيه فيجعل منه إبناً لله ومسكناً للروح القدس له كل حق العضوية الكنسية .

كثـــيرا ما نسأل : لماذا يعمد الأطفال وهم بعد لم يدركوا معنى الايمان ؟ نجيب على هذا السؤال ، إنه بجانب دعوة السيد المسيح للأطفال : " دعوا الأولاد يأتون إلـــي ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات " ، وبجانب شهادة سفر الأعمال ان من كان يعتمد يأتي مع أهل بيته بما فيهم من أطفال ، فان عماد الأطفال تأكيد حق لعضوية الطفل في الكنيسة ، التي تقوم لا على مجرد القبول الايماني الفكري البحت وإنما على عمل روح الله القدوس في حياة الانسان أيا كان عمره ! كم من أطفال سبقوا ببساطة إيمانهم الناضجين عمـــرا !

الطفـــل القبطي منذ نعومة أظافره يتمتع بسر الأفخارستيا ، فيشعر بالكنيسة أما له ، تقوته بجسد الرب ودمه ، وتقدر خلاص نفسه ، وتهتم به .

هـــذا وتمتع الأطفال بالعماد وسر الميرون وشركة الأفخارستيا على إيمان أبائهم إنما يؤكد إدراك الكنيسة لدور الأسرة في حياة الطفل . فالأسرة في نظرنا هى كنيسة

البيت ، كنيسة مقدسة ، ملتزمة بتربية الأطفال بفكر إنجيلي وحياة إيمانية ، لا خلال الوصايا والتلقين فحسب وإنما خـلال الممارسة الحية للانجيل العملي . فالطفل لا يستطيع أن يدرك أبوة الله دون تذوقه لدفء الحب الأبوي والأمومة الحانية . إن كان الغرب بوجه عام يطالب الآن بعودة احتضان الأم لأطفالها ، الأمر الذي لا يستطيع المجتمع مهما قدم أن يعطيه ، وبدونه يفقد الطفل الكثير مما قد يحطم شخصيته ... فان الكنيسة القبطية تعلن هذا عملياً بتسليم الأطفال في يدي الوالدين أثناء العماد ليتقبلوا منهما الروح الكنسي الحـي .

٢ ـ اهتمـام الكنيسة بالأطفال واضح جداً خلال فهمها للكهنوت ... ففي الكنيسة القبطية الكاهن ليس موظفاً يمارس عمله حتى يبلغ سن المعاش ، ولا هو مجرد واعظ أو مدرس أو باحث لاهوتي ... لكنه أولا وقبل كل شيء هو أب ، يشعر بأبوته الطفل الصغير والشاب والرجل الناضج والشيخ الكهل ... أبوة حانية لا يقدر الزمن أن يحطمها . هذه الأبوة تعطي للطفل طمأنينة واكتفاء ، خلالها يدرك أبوة الله وأمومة الكنيسة .

إن كان الشـباب في العصر الحديث يتجه للالحاد ، فالسبب الرئيسي هو فقدان الكنيسة للأبوة والأمومة وانشغال رجال الدين بأي عمل إداري أو تنظيمي أو حتى وعظي دون تقديم روح الأبوة الحانية في الرب . لذا صارت الحاجة ماسة لعودة الكنيسة في العالم لتقديم هذا الروح للأطفال كما للكبار .

٣ ـ في الخدمـات الليتورجية ، خاصة القداس الالهي ، يشترك الأطفال مع الكبار في الكنيسة القبطية ، دون عزلهم في مكان خاص بهم خارج صحن الكنيسة . هذا التصرف يربط الطفل بالعبادة الكنسية ، ويشعره بتقدير الكنيسة له ، وحقيقة عضويته فيها . فالكنيسة ليست تنظيماً مجرداً وإنما هي أسرة تضم الكل بالحب في أقدس لحظات العبادة .

٤ ـ تمتـاز الكنيسة القبطية بألحانها العذبة وطقسها المبهج الذي يسحب قلب الطفل ، فلا يمل من العبادة .

٥ ـ في القـديم كانت توجد مدرسة (كتاب) تلحق بالكنيسة ، حتى حينما خـير الأقباط بين غلق الكنائس أو المدارس (الكتاتيب) فضلوا البقاء على المدارس حتى لا يفقد أبناؤهم الايمان . حالياً إذ ضاع هذا النظام لظروف خارجه عن إرادتها تهتم الكنيسة بالتربية الكنسية (مدارس الأحد) كعمل أساسي لها ، حتى أقام المثلث الرحمات البابا كيرلس السادس أسقفاً خاصاً بها ، حالياً قداسة البابا شنودة الثالث .

٦ ـ يبـرز تقدير الكنيسة للطفل وتكريمها له من اهتمامها بأعياد الكثير من الشهداء والقديسين الأطفال والصبيان ، وطلب صلواتهم عنا ، وبناء كنـائس بأسمائهم ، مثل عيد استشهاد أطفال بيت لحم ، وعيد القديس قرياقوص الطفل وأمه يوليطة ، والقديسة الأم دولاجي وأولادها ، والقديسة رفقة وأولادها الخ ...

يـروي لنا التاريخ الكنسي عن رضع لا يستطيعون الكلام عندما وقفت أمهاتهم أمام ولاة أو قضاة للمحاكمة من أجل اسم السيد المسيح انفتح لسان الطفل الرضيع

ليوبخ الوالي أو القاضي شاهدا للاهوت السيد المسيح وعمله الخلاصي بطريقة معجزية ، هؤلاء لم ينالوا البنوة خلال المعمودية وإنما صاروا أيضا شهداء يحتلون المراكز الأولي في السماء عينها !

أخـــيرا يمكننا القول بان حياة الكنيسة تتجلى بقوة في أطفالها وشبابها ليمارسوا حقهم في العضوية الكنسية خـــلال نعمة الله التي لا تعتمد على سن معين أو مجرد خبرات أو قدرات بشرية .

+ + +

الفصـــل التاســـع

الكنيسة القبطية والحياة المسكونية

الحـــركة المسكونيـــة
في الكنيســـة القبطـــية الأولـــى

حيـــــاة مسكونيـــة

" الحركـــة المسكونية " تمثل قسماً هاماً في أغلب التنظيمات الكنسية ، فانه وإن اختلفت الأهداف لكن كل كنيسة في أعماقها تتوق للوحدة الكنسية على مستوى مسكوني ... وإن كان أيضاً مفهوم الوحدة يختلف من كنيسة إلى أخرى . أما بالنسبة لكنيسة الاسكندرية الأولي فلم تكن " المسكونية " حركة تنظيمة أو خطة في ذهن القادة لكي يبرز دور الكنيسة المصرية القيادي سواء في اللاهوتيات أو النسكيات ، إنما كانت " المسكونية " فكراً طبيعياً وحياة معاشة . كانت الكنيسة في مصـــر كعروس للمسيح لا تطلب مجداً زمنياً بضم كنائس إلى تبعيتها ولا بعمل اتحاد من أجل السلطة إنما بالحب الروحي الخلاصي تخدم كل نفس وتطلب خلاص كل إنسان أياً كانت جنسيته وأياً كان بلده . بهذا تفاعلت بالحب مع العالم الخارجي ، وكان لها مكانتها في قلوب الكثيرين .

وقـــد نبت " الفكر المسكوني " في كنيسة الاسكندرية نتيجة الآتـــي :

أولا : العمـــل الكـــرازي

عـــرف الأقباط الأولون بشوقهم الملتهب نحو الشهادة للسيد المسيح ، سواء كانوا كهنة أو رهباناً أو من الشعب أو من مدرسي مدرسة الاسكندرية . ففي الجيش الروماني وجد ضباط أقباط وجند كانوا يشهدون لمسيحهم وسط إخوانهم الوثنيين ، سواء في مصـــر أو خارجها ، وقد دفع الكثيرون منهم حياتهم ثمناً لهذه الشهادة . وقام التجار والبحارة القبط بنفس الدور خلال تنقلاتهم ... ويظهر أثر ذلك واضحاً في نقل الكثير من الثقافة القبطية والفنون القبطية إلى ربوع أوروبا .

في ســـوريا وصلت كتيبة طيبية عام ٢٨٥ م تحت قيادة القديس مورتيوس من صعيد مصر ، وقد استشهد هناك ، ولايزال تمثاله قائماً في الميدان العام لمدينة سان

مورتيز ، كما استشهدت معه كل الكتيبة . تبعته أخته فارينا التي قدمت إلى سويسرا واستشهدت هناك . أما أصدقاؤه الثلاثة : القائد فيلكس وأخته لاجيولا وثالث يدعى اكسيوبيرانتوس فقد اختفوا وذهبوا إلى بحيرة زيورخ ليبشروا الكثيرين ، ولما سمع الوالي بأمرهم قطع رؤوسهم . يرسم هؤلاء الشهداء برؤوسهم المقطوعة والموضوعة على أياديهم على درع مدينة زيورخ .

حدثـت قصة مشابهة مع بعض الاختلاف في مدينة Solothurn ، بطلها القديس بقطر (فيكتور) ، نقلت رفاته إلى جنيف في القرن الخامس .

دخلـت المسيحية إلى الجزر البريطانية على حدود أوروبا بواسطة إرساليات قبطية قبل مجيء (القديس) أغسطينوس أسقف كنتربري سنة ٥٩٧ م بوقت طويـل[١] .

أمـا عن دور الكنيسة القبطية الأولى في الكرازة بافريقيا فقد قبلت أثيوبيا الكرازة خلال خدمة الاسكندرية ، وأيضاً النوبة والسودان ... الآثار الحديثة في النوبة تكشـف عن مدى ارتباط النوبة بأقباط مصر روحياً وثقافياً وفنياً .

ثانـياً : الجانب التعليمي

إنشـاء مدرسة الاسكندرية على يدي مار مرقس الرسول ، وقد بلغت شهرتها إلى العالم المسيحي كله في القرن الثاني خاصة على أيدي أساتذتها بنتينوس وأثيناغوراس وأكليمندس وأوريجين جذب قيادات كنسية من الشرق والغرب لتتلمذ على أيدي اللاهوتيين الأقباط ... بهذا انتشر الفكر الاسكندري في العالم .

هـذا ومن جانب آخر كان قادة المدرسة أيضاً يتحركون نحو الخارج بروح مسكوني ، فزار القديس اكليمندس ايطاليا واليونان وفي أثناء الاضطهاد لجأ إلى فلسطين وسوريا وكان له دوره التعليمي ، أما أوريجانوس فزار روما في أثناء أسقفية زفيرينوس ونقل إليها فكر اللاهوت الاسكندري ، كما زار بلاد الغرب بدعوة من حاكم البلاد ، وتكررت زيارته لها ، وزار أنطاكيا كطلب ماميـا والدة الامبراطور ، وذهب إلى اليونان ، وأقام مدرسته فيما بعد في فلسطين . وقام بنتينوس بعمل تعليمي كرازي في الهند وآسيا .

ثالثـاً : الجانـب الدفاعـي

دراسة المجامع المسكونية الثلاثية [نيقية سنة ٣٢٥ م ، القسطنطينية سنة ٣٨١ م ، أفسس سنة ٤٣١ م] تكشف عن الدور الحقيقي لكنيسة الاسكندرية في الدفاع عن الايمان بروح مسكوني ... فانه كان يكفي الاشارة إلى ذكر قادتها مثل البابا أثناسيوس الرسولي والبابا كيرلس الكبير لتأكيد أرثوذكسية أية عقيدة إيمانية وصدقها لاهوتياً .

رابعـاً : نشـر الفكـر الرهبـاني

في كتابنـا " الكنيسة القبطـية الأرثوذكسية كنيسة نسك " رأينا الدور القيادي للكنيسة القبطية في نشر الحياة الرهبانية بكل نظمهـا [التوحـد ـ الجماعات ـ الشركة] في أرجاء العالم المسيحي ، ذلك خـلال :

١ ـ نشـر سير بعض قادة النساك المصريين مثل حياة القديس أنبا أنطونيوس بقلم القديس أثناسيوس .

٢ ـ الرحـالة الشرقيون والغربيون الذين جاءوا وعاشوا وسط رهبان مصر مثل القديسين يوحنا كاسيان ، جيروم ، مانيلا الكبري .

٣ ـ تتلمـذ بعض القيادات الرهبانية الأجنبية على أيدي نساك مصريين مثل القديس أوجين .

٤ ـ نشـر الكتابات النسكية المصرية مثل " الأبوفثجماتا " .

٥ ـ نقـل الأنظمة الرهبانية المصرية إلى الخارج خلال ترجمتها وتبنيها كما فعل بندكت أب الرهبنة الغربية .

---

1. Dr. A. S. Atiya: p.54 & Murad Kamel: p.78 ff.

\+ + +

الكنيسـة القبطية في الخـارج

أحـد المظاهر الرئيسية للمجتمع المصري بوجه عام ، والأقباط على وجه الخصوص هو انسحاب أعداد كبيرة إلى الخارج للهجرة أو للعمل .. وقد شعرت الدولة في مصر بأهمية هؤلاء المصريين وقدراتهم وإمكانياتهم ، فأقامت وزارة خاصة بالهجرة بغية توطيد العلاقة بينهم ـ خاصة المهاجرين ـ وبلدهم . أما بالنسبة للأقباط وهم يمثلون الغالبية العظمى للمهاجرين المصريين في أمريكا وكندا واستراليا ، قد بذل المتنيح البابا كيرلس السادس مجهوداً كبيراً في رعايتهم ، وجـاء قداسة البابا شنودة الثالث يقدم الكثير لخدمة الأقباط المهاجرين وقد أراد أن تبقى كنائسنا في المهجر تحت رعايته شخصياً ، ببذل الجهد الكثير لمساندتهم روحياً ، مدركاً أهمية دور هذه الكنائس في الكرازة والشهادة للفكر الايماني الأرثوذكسي .

لسـت أريد أن أعدد كنائسنا في الخارج ، لكنه مع كثرتها في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا وأوروبا والدول العربية وافريقيا ... لايزال الكل يشعر بالحاجة الملحة لاقامة كنائس جديدة ترعى الأقباط في الخارج ، فان طاقة المباني

الكنسية والرعاة تعتبر أقل بكثير من احتياجات الشعب ، وذلك للسرعة غير المتوقعة لحركة الهجرة التي لاتزال مستمرة .

كان من تدبـــير الله لي أنه سمح لي بالخدمة في لوس أنجلوس سنة ١٩٧٠ ، ونيويورك ١٩٧٢ ، وملبورن ١٩٧٥ ، وأتاوا ١٩٨٦ ... وكنت أود أن أكتب عن " الكنيسة بالخارج " في كتاب مستقل يعالج كل احتياجاتها ... لكني أكتفي الآن بعرض بسيط ، لا لاستعراض ما قدمته الكنيسة في الخارج ونشاطاتها ، وإنما لدراسة احتياجاتها بنظرة مستقبلية .

ليـــت روح الله القدوس يعطي لكل قلب من أخوتنا وأولادنا في الخارج للعمل على بنيان الهيكل الروحي الحـــي العميق حتى تشب أجيال جديدة تمثل ذات الروح الأرثوذكسي بقلب ملتهب قادر على الشهادة للايمان المستقيم بحياة إنجيلية صادقة وفكر آبائي كنسي .

غايـــة كنيستنـــا في الخـــارج

يليـــق بنا ونحن في بدء عهدنا بالهجرة أن ندرس وننتفع بخبرة الكنائس الأخرى التي سبقتنا في هذا المضمار ، خاصة الكنائس الأرثوذكسية مثل الكنيسة الروسية في أمريكا واليونانية والأرمنية والسريانية ... ننتفع بالجوانب الطيبة المقدسة وأيضا بنقط الضعف التي تعرضوا لها .

هـــذا ويليق بنا بين الحين والآخر أن تقام حلقات دراسية من الكهنة والخدام والعلمانيين خاصة الشباب لمراجعة دور الكنيسة القبطية في الخارج حتى لا يحدث إنحراف أو تجاهل لجانب على حساب الآخر .

يمكننـــا حصر دور الكنيسة الرئيسي في الشهادة لعريسها بايمانها الأرثوذكسي الحـــي ، وحياتها الانجيلية التقوية ، وحملها صليب عريسها بفرح ، لتكون رسالة المسيح المقروءة من جميع الناس والانجيل العملي الشاهد للحق .

خـــلال هذا الهدف يمكننا تأكيد النقاط التالية :

١ ـ ليس غاية كنائسنا المباراة في إنشاء كاتدرائيات ضخمة ... فالغرب يضم كاتدرائيات لا تقدر بثمن ... وإنما الاهتمام بالنفوس ، الحجارة الحية ، التي بها يبنى هيكل الرب . كل نفس ـ لشيخ أو طفل ـ ثمينة للغاية في عيني الكنيسة الأم ، للأسف ما أسهل أن تنفق مئات الألوف من الدولارات وربما الملايين على المباني الكنسية وملحقاتها بينما الحاجة الآن إلى البناء الفكري الجاد ، خاصة بالنسبة للشباب والأطفال .

٢ ـ نحـــن في حاجة إلى حركة ترجمة سريعة لكل تراثنا القبطي المسيحي إلى اللغات الأوروبية بأسلوب حديث وطباعة لائقة ... مع دراسة وعرض وتحليل أيضا كما نحتاج إلى الكتابة إلى أبنائنا بالمهجر بفكر أرثوذكسي مع ثقافة تناسبهم ، حتى لا يشعروا بالتمزيق والصراع بين حياة يعيشونها وتقاليد يسمعون عنها ! بمعنى آخر

ليتنا نقدم تقاليدنا لا كقطع أثرية قديمة ثمينة ، وإنما كخبرة حياة معاشة يمكن التمتع بها وتذوقها .

٣ ـ معالجـــة اختلاف الثقافات والفكر والمدارس في المهجر ... يلزم تأكيد أن أختلافات الثقافات يغني ويروي وليس يحطم ويمزق . فالقبطي بحياته في بلد غربي يحمل من الغرب ما لبنيانه ويمارس ما للشرق ما لشبعه الداخلي : يعيش في الغرب ويمارس روحانية الشرق دون تعارض أو صراع .

٤ ـ دراســة المشكلات التي تواجه الشباب خاصة ما يراه الأقباط كنوع من الاباحية ، مثل مشكلة الصداقات المشتركة وحفلات الرقص ، الخ ... هنا يلزم دراسة هذه الأمور بحكمة ، فقد رأينا بعض الأطفال نتيجة ضغط الوالدين بطريقة غير حكيمة أن يقولوا " نحن لسنا مصريين " ... وكأن كل ما فعله الآباء هو بث روح الكراهية للتقاليد المصرية عند أطفالهم . إننا في حاجة إلى تأكيد شخصية أطفالنا وشبابنا ليدركوا أنهم قبل أن يكونوا هكذا أو غير ذلك فهم مسيحيون ، يلزمهم أن يمارسوا مسيحيتهم أينما وجدوا ، بروح البذل والطهارة في كامل حريتهم .

٥ ـ الحاجــة إلى دراسة الزوجات الأجنبيات ... فان تجاهلهن ، بممارسة العبادة بغير لغة البلد ينفرهن من الكنيسة ، ولا يمكن لهن أن يربين أولادهن في حضن الكنيسة ، مع أن بعض هؤلاء الأجنبيات بحبهن العميق للكنيسة يستطعن الشهادة للحياة الأرثوذكسية .

٦ ـ نشــأ في بعض البلاد صراع بين الأقباط بخصوص لغة العبادة ، الأمر الذي لا أريد الخوض فيه ، إنما أريد توضيح النقاط التالية :

أ] إن كــل شاب نفقده بسبب عدم اشتراكه في العبادة الكنسية إنما نفقده نهائيا هو ونسله من بعده ... فالكنيسة يجب أن تحرص على كل طفل وشاب ليحمل شهادة معه .

ب] لا يستطيــع الشاب أن يشترك في عبادة لا يفهم لغتها .

ج] حســن أن نعلم أولادنا اللغة القبطية وأيضا العربية ... ليكن هذا في دروس مستقلة لكن ليس على حساب شركتهم فكريا وروحيا في العبادة .

د] إن كــان بعض الكبار في السن يشعرون بضيق للصلاة بالانجليزية ، فهذا أحد ثمار هجرته التي قبلها بمحض إرادته ... لست أظن انه يطلب أن يتمتع بالعبادة بلغته التي يفهمها على حساب خلاص أولاده ... لذا يليق بنا نحن الذين تدربنا على الصلاة بلغة عربية أن نقبل بفرح من أجل أولادنا الصلاة بالانجليزية .

هـ] لتكــن لنا نظرة واسعة مستقبلية ، فانه إن كان الجيل الحاضر يقبل الشركة في العبادة بغير اللغة التي يمارسها وذلك تحت الضغط فيستحيل أن يقبل الجيل المقبل ذلك ، لذا وجب على الكنيسة التي تنظر إلى المستقبل البعيد أن تسرع بخطواتها نحو كسب هذه الأجيال .

٧ ـ أود أن أختـــم حديثي عن كنيسة المهجر بابراز ضرورة الشهادة للحياة الكنسية المتكاملة ، فقد اهتمت بعض الكنائس بممارسة الطقس لكن دون تقديم كلمة الله الحية ، فالانجيل هو صلب أرثوذكسيتنا ، وكلمة الله يلزم ألا تفارقنا .

+ + +

الفصـــل العاشـــر

الثقافـــة القبطيـــة

الأقبـــاط والثقافـــة

عـــرف الفراعنة بميلهم الشديد للتدين وحبهم للحياة الأخرى ، وإن كانوا لم يدركوا حقيقتها ، ومع هذه الروح نبغوا في العلم فقاموا بأعمال فنية لاتزال تحمل أسراراً لم يدركها العلم الحديث بعد . بهذا آمن المصريون بأهمية الحياة التقوية جنباً إلى جنب مع إضرام المواهب والترقي في كل جوانب العـــلم والمعرفة . ظهر أثر هذا بوضوح في مدرسة الاسكندرية المسيحية فقد كانت مدرسة " دائرة معارف " تقوم بتدريس المواد العلمانية ـ إن صح التعبير ـ مع دراسة الكتاب المقدس .

لقـــد قبل الأقباط الايمان المسيحي الذي يقدس كل ما هو بشري وينميه ، لذا برز الأقباط في الموسيقي والأيقونات والمعمار والمنسوجات وفي الأدب والفلك ، وكان لأعمالهم الثقافية والفنية أثرها في العالم ... الأمر الذي يحتاج إلى الكتابة بشيء من التفصيل في بحث مستقل .

سبـــق لي الحديث بشيء من التفصيل عن المعمار القبطي والأيقونات القبطية وملامحها في كتاب " الكنيسة بيت الله " .

\+ + +

الموســـيقى القبطيـــة

تعتبـــر الموسيقي وأيضاً الرسم من أقدم الوسائل كلغة للعبادة ، يقودان الانسان إلى جو سماوي ويسنداه في تبعيتة لله . وقد ورث الأقباط عن أسلافهم الفراعنة أقدم تقليد للموسيقي .

يقـــول الدكتور راغب مفتاح ، وهو قبطي ثري كرس حياته وممتلكاته لتسجيل الموسيقى القبطية وتحليلها : [يؤكد البحث العلمي أن موسيقى الكنيسة القبطية هي

أقدم موسيقى كنسية موجودة ، وهي تشكل أقدم مدرسة موسيقى في العالم حاليا . لقد حفظت الكنيسة القبطية ميراثا أثريا لا يقدر بثمن من جهة الموسيقى الكنسية ، وذلك بحكم طبيعتها المحافظة التي ورثتها عن العصور القديمة][1] .

كتـــب الدكتور Driston ، عالم المصريات : [يوجد مفتاح سر الموسيقى الفرعونية في طابع حسن في الموسيقى القبطية الكنسية المستخدمة في أيامنا هذه] .

عالـــم الموسيقى الانجليزي ، ايرنست نيولاند سمـــث ، بجامعات أكسفورد ولندن ، الذي قضي فترات الشتاء في مصر (ما بين سنتي ١٩٢٧ ، ١٩٣٦) بناء على دعوة من الدكتور مفتاح ، لكي يضع الموسيقى في " نوتة " ، بقـــول :

[الموســـقى القبطية موسيقى عظيمة ، يمكن القول إنها إحدى عجائب العالم السبع ، وبالحق لو أن " خورسا " مملوء بروح الله يترنم ببعض النغم القبطي في ملحمة دينية عظيمة لكان ذلك كافيا أن يلهب العالم المسيحي (روحانية)] .

[هـــذه الموسيقى التي سلمت من قرون غير معروفة في الكنيسة القبطية ، هي جسر بين الشرق والغرب ، إذ تضع أسلوبا جديدا في أيدي الموسيقيين الغربيين . إنها فن رفيع ، لطيف ، وعظيم ، خاصة من جهة عنصر اللانهائية الذي نفتقر إليه اليوم] .

[الموســـيقى الغربية تجد أصلها في مصـــر القديمة][2] .

ســـماتهـــا

١ ـ في عـــام ١٩٧١ ، في يوم الجمعة العظيمة ، دهش أحد الرعاة الغربيين بكوينز (نيويورك) كيف يمارس الأقباط عبادتهم في ذلك اليوم من السابعة صباحا حتى الغروب ويعودوا مرة أخرى في الساعة الحادية عشرة مساء ليستمروا في العبادة حتى الصباح ، لكنه إذ حضر الخدمة أدرك ما لعبادتنا ـ بألحانها " الحزايني " ـ من قدرة على تقديم راحة للنفس . في مصر غالبية الأطفال يشتركون في هذه الخدمة طوال اليوم بفرح . حقا إن ألحاننا " الحزايني " الخاصة بأسبوع الآلام ، الجمعة العظيمة ، والجنازات تعتبر أقدم وأسمى الموسيقى لدينا . يقول الدكتور مفتاح [لا توجد أي موسيقى كلاسيكية يمكن أن تقارن بالموسيقى " الحزايني " الكنيسة القبطية ، ولا بفاعليتها الهائلة على النفس البشرية والمشاعر التي تثيرها فيها] .

٢ ـ أقـــدم موسيقى قبطية كانت صوتية تماما ، حتى أدخل فيما بعد " الدف " و " المثلث " في العصور الوسطى[3] .

هـــذا المنهج الموسيقـــي أخذه الأقباط عن أسلافهم الفراعنة ، إذ يقول ديمتريوس Demetrius of Phalaron المسئول عن مكتبة الاسكندرية سنة ٢٩٧ ق . م . بأن كهنة مصر اعتادوا أن يترنموا بالتسابيح في الاحتفالات الخاصة بتكريم آلهتهم مستخدمين السبعة حروف الحركية اليونانية ، مقدمين صوتا جميلا رائعا دون استخدام مزمار أو قيثارة[4] .

يقــول فيلون الفيلسوف الاسكندري الذي عاش في القرن الأول الميلادي ، أن مسيحيي زمانه تبنوا بعض تسابيح مصر القديمة في عبادتهم .

٣ ـ في الليتورجيــا القبطية لا يقف الشعب مستمعاً بل يشارك فيها ، لأن الليتورجيا هي خدمة إلهية تقدمها الكنيسة كلها . هذا الاتجاه يمثل فرصة للشعب أن يستخدم الموسيقى أو يسبح . فالكاهن هو قائد التسبيح مع " خورس " الشمامسة ، بينما يقوم الشعب بدور حيوي متجاوباً معهم ، وذلك على خلاف التقليدين اليوناني والروماني .

٤ ـ بعــض النغمات القبطية تحمل أسماء مدن قديمة : مثل " سنغاري " وهي مدينة في شمال الدلتا عرفت في أيام رمسيس الثاني : " أدريبي " ، وهي مدينة وجدت قبلا في صعيد مصر .

٥ ـ قــدم الدكتور مفتاح تجربة قام بها مع خورسه بمعهد الدراسات القبطية في مصر ، حيث سبحوا الحانا " حزايني " في الهيكل الداخلي لمعبد حورس العظيم بأدفو ، في الموضع المخصص لرئيس الكهنة . سمع اللحن بطريقة واضحة حتى في الفناء الخارجي للمعبد والذي كان مخصصاً للشعب . وكان الصوت موزعاً بالتساوي من جهة كثافة النغم أو درجاته ، وذلك خلال المعبد كله . يقول الدكتور مفتاح [حقاً لقد كانت معجزة من جهة توزيع الصوت ، تستحق دراستها بطريقة جادة] .

أخــيرا ، فان الكنيسة القبطية تحمل تناغماً وتوافقاً بين الموسيقى والمباني والطقوس الخ ... فهي تقدس بالروح القدس الثقافة الانسانية لأجل نجاحنا الروحي .

---

1. Ragheb Moftah: The Music of the Coptic Church.
2. London Newspaper: Morning Post, 22 April, 1931.
3. Dr. A. S. Atiya: Hist. of Eastern Christianity, Indiana 1968, p.139.
4. Mourad Kamel: Coptic Egypt, page 64.

\+ + +

MP
ΘΥ
ΙC ΧC

يطلب من :

كنيسة مارجرجس اسبورتنج - الإبراهيمية - الأسكندرية .

كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس - سيدى بشر - الأسكندرية .

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس .